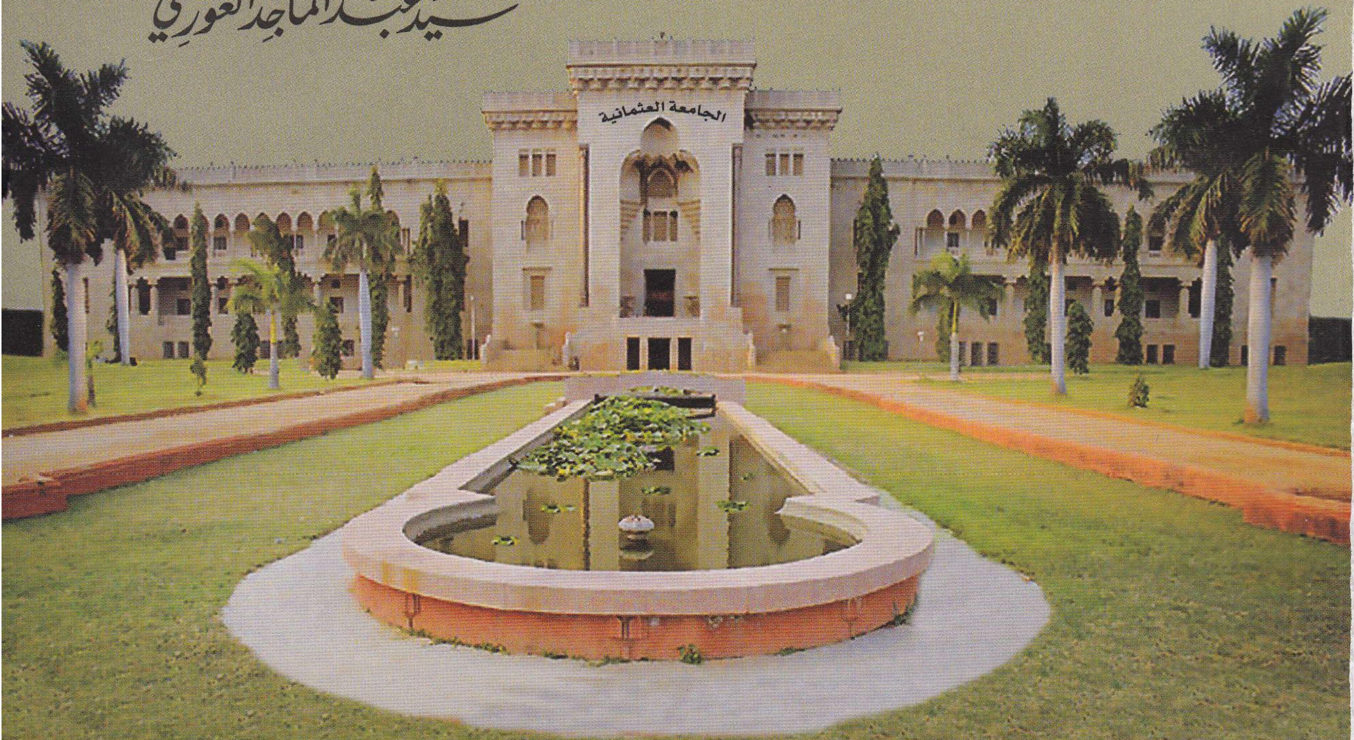
مُحَمَّد حَمِيدُ الله

سَفِيرُ الإِسْلَام
وَأَمِينُ التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ فِي الغَرْبِ

تأليف
سيِّد عبد الماجد الغوري



تقديم
الأستاذ الدكتور نور الدين عتر و الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب

دار ابن كثير



محمد حميد الله

سفير الإسلام
وأمين التراث الإسلامي في الغرب



الطبعة الأولى

1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-22-3

الموضوع : تراجم

العنوان : محمد حميد الله سفير الإسلام و أمين التراث الإسلامي في الغرب

التأليف : سيد عبد الماجد الغوري

الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 225

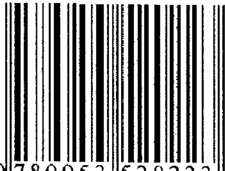
القياس : 17×24

التجليد : غلاف

الوزن : 275 غ

التنفيذ الطباعي : مطبعة بشار الحلبي- دمشق

التجليد : مؤسسة القصيباتي للتجليد - دمشق



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



مُحَمَّد حَمِيدُ الله

سَفِيرُ الإِسْلَام
وَأَمِينُ التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ فِي الغَرْبِ

تأليفُ

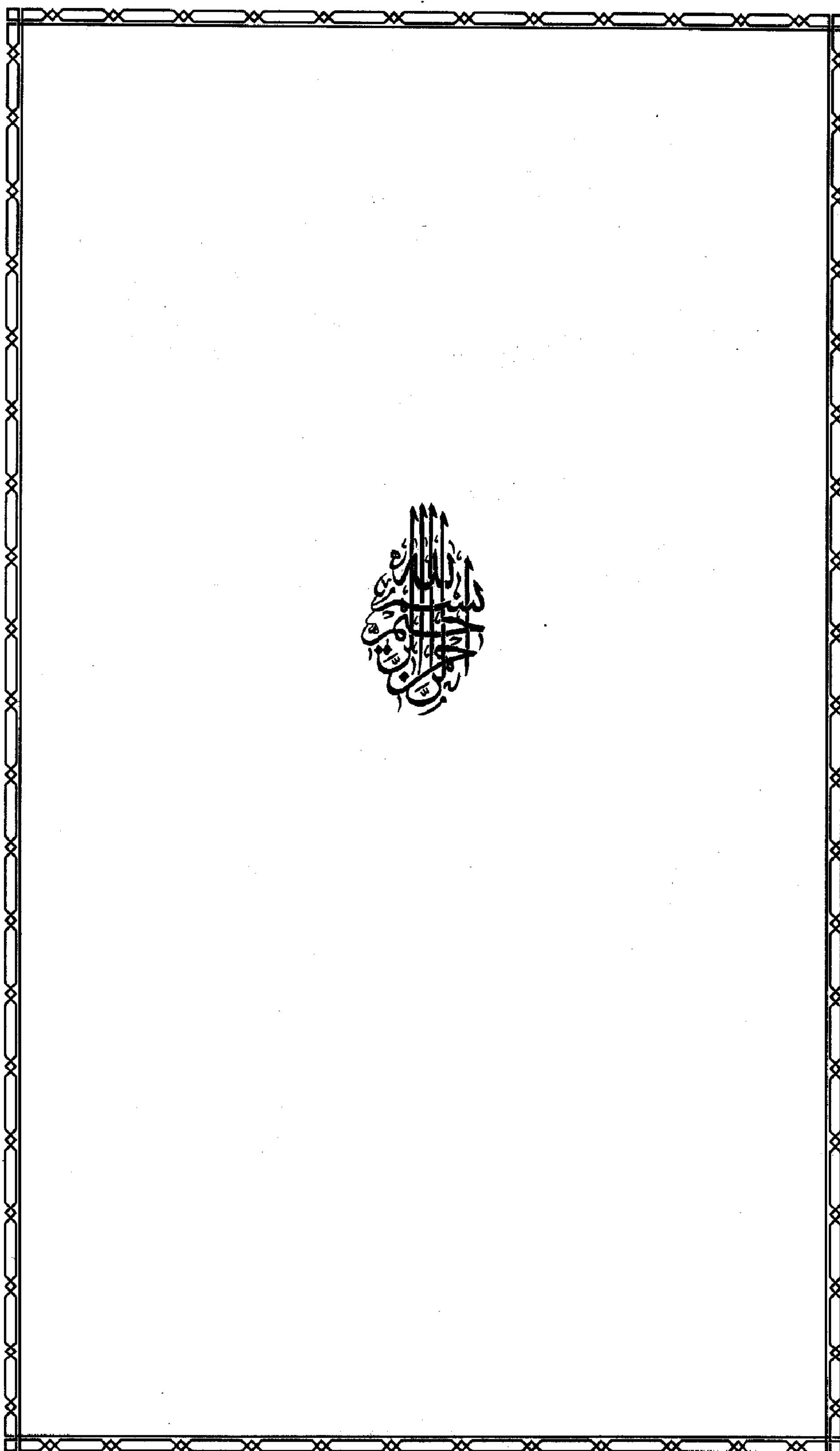
سيِّد عَبْدُ الماجِدِ الغَوْرِي

تقديم

الأستاذ الدكتور نور الدين عتر و الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب

دار ابن كثير

دمشق - بيروت



هذا الرجل

« . . . الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي ، في نظري الرائدُ الأول في تحقيق تدوين الحديث منذ نَشَر صحيفةَ هَمَّام بن مُنَبِّه » .

العالم الموسوعي ، الداعية المفكر

الدكتور صُبحي الصَّالح[1]

« . . . وكنتُ رجوتُ من الصديق المِفْضال العلامة الدكتور محمد حميد الله ، المقيم في باريس حفظه الله تعالىٰ ورعاه ، أن يتكرَّم فيصوِّرها لي[2] ، فوَجَد أمرَ التصوير يتأخَّر طويلاً ، فتفضَّل بنسخها لي بقلمه وخطِّه ، ثم قابَلَها بالأصل ، وأثبت عليها ما على الحواشي الأصل من تعلقياتٍ ، وَبَعث بها إليَّ مشكوراً متكرّماً ، فله أجزَلُ الشكر والثناء والتقدير على هذه المساعدة العلمية الكريمة . . . » .

العلامة المحدِّث ، المحقِّق الضليع

الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة[3]

« . . . كان في أمره كلِّه على توجُّهٍ واحدٍ ؛ هو : الدعوة ، والإسلام ، والعلم ، والبحث العلمي ، مطرحاً أهدافَ الدنيا ، من سمعةٍ ، أو دعايةٍ ، أو مالٍ ، أو شهرةٍ ، سالكاً طريقَ الزهاد ، باذلاً

---

(١) في مقدمة كتابه : « علوم الحديث ومصطلحه : عرض ودراسة » .

(٢) أي مخطوطة « الموقظة في علم مصطلح الحديث » للحافظ الذهبي .

(٣) في مقدمة تحقيقه لـ « الموقظة » للذهبي ، ص : ١٢ .

ما لديه من مالٍ ، كما بَذَل ما عنده من علمٍ وعرفانٍ . . . » .

المحدِّث الفقيه ، العالم البصير
الدكتور نور الدين عِتْر[1]

« . . . إنه أحدُ النماذج الإسلامية الفاعلة المعاصرة ، التي عاشت في الغرب للإسلام بلسانها ، وقلمها ، ودلالة حالها ، وجزاه الله تعالى خير الجزاء ، ورَفَع مقامَه في الفردوس الأعلى . . . » .

الشيخ المربِّي ، العالم الموسوعيّ
الدكتور محمد عجاج الخطيب[2]

« . . . الأستاذ الدكتور محمد حميد الله ، هو من كبار العلماء الذين وقفوا حياتهم لإظهار محاسن تراث العرب والإسلام في مؤلَّفاته ومحاضراته ومقالاته . أُتيح له أن يُتقِن أكثر من عشر لغات حية ، شرقية وغربية ، وكان أستاذاً ، أصيلاً أو زائراً ، في جامعات الهند وألمانية وفرنسة وتركية ، وألَّف كتابَه الشهير « الوثائق السياسية في عهد النبي والخلفاء الراشدين » فأصبح مرجعاً كلاسيكياً في تراثنا الحديث ، وحقَّق الأول من « أنساب الأشراف » للبلاذُري الذي أخرجته جامعةُ الدول العربية ، كما حقَّق قطعةً من كتاب « النبات » للدِّيْنَوَرِي ، وهو مصدرٌ لغويٌّ لا تقدر قيمته . هذا إلى تواليف ومقالات كثيرة نشرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية والعربية . . » .

المحقِّق الضليع ، المؤرِّخ الكبير
الدكتور صلاح الدين المنجِّد[3]

---

(١) في مقدمته لهذا الكتاب .

(٢) في مقدمته لهذا الكتاب .

(٣) في مقدمته لكتاب : « كتاب الذخائر والتحف » (تحقيق الشيخ محمد حميد الله) ، =

« . . . تحيةً إلى الرجل الذي ارتفع بإيمانه الصادق فوق هذه الدنيا حقيقةً لا كلاماً، فكان مذ عرفناه أكبر من هذه الدنيا، وأزهد الناس بها.

تحيةً إلى الرجل الذي وَسِعَ بقلبه الكبير ، وعقلِه الرشيد ، وخُلُقِه الرفيع ، وأُفُقِه الواسع سائرَ الناس ، وأحبَّ لهم ما أحبَّه لنفسه من الهداية والخير ، وبَذَل في إرشادهم وخدمتهم ، من قلبه وفكرِه وعلمِه وجهدِه ، ما تَنُوْءُ بمثله العصبةُ أولو القُوَّة ، فثَبَّت الله به مَن ثَبَت على الهدى ودينِ الحقّ ، وأَخرج به مَن أخرج من المُلحدين والكافرين والضَّائعين من الظُّلمات إلى النُّور ، ومن الضَّلالة المُهلِكة إلى صراطه المستقيم .

وتحيةً إلى الرجل الذي استنفد عمرَه وقُوَاه في خدمة الإسلام والمسلمين والإنسان ، ووَهَب حياتَه لخدمة دينه وأُمّتِه بقلمه ولسانِه وعملِه في كل مكانٍ ، وعلى كل صعيدٍ يراه أولىٰ بالجهد ، أو يرى نفسه أقدر على الإفادة فيه ، مسلَّحاً في ذلك كله بالإيمان والإخلاص ، والعلم والوعي ، والإرادة والدأب ، والتضحية والصبر ، وعددٍ من اللغات الحية ، منها : العربية والأردية والفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية . . . يَفْهَم بها العالَمُ ، ويُخاطِب بها العَالَمَ ، ويخدم بها دعوةَ الله من أجلّ الخدمات . . . » .

الداعية المفكر ، الكاتب المجيد

الأستاذ عصام عَطّار[1]

= ص : ٥ .

(١) في مقال له كتبها عن الشيخ محمد حميد الله ، في مجلة «الرائد» في عدد عام ١٩٨٠م.

« . . . كان أحدَ أعلام الإسلام البارزين ، أفنى عُمُرَه في سبيل العلم والتحقيق والدعوة إلى الله تعالى ، وكان على سيرة السَّلَف الصالح في بساطة العيش ، والتواضعِ ، والزهدِ ، والعزوفِ عن متاع الدنيا ، والصبرِ والجلدِ في العكوف على العلم ، وتنظيمِ الوقت ، والحفاظِ على كل لحظةٍ من عمره ، فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيراً !! » .

الباحث الحصيف ، العالم المفيد

الدكتور محمد أكرم النَّدْوي[١]

كان ـ رحمه الله تعالى ـ أحدَ هؤلاء الأعلام العمالقة والعلماء الفطاحل الراحلين الذين أضاؤوا على العالم الإسلامي خاصةً والعالم بأسره عامةً في جميع مجالات العلم والمعرفة ، وميادين الدعوة والإصلاح ، وأغنوا المكتبات الإسلامية والعربية بإنتاجاتهم العلمية والتحقيقية الوفيرة والقيمة ، والتي تخلد ذكراهم مدى الدهر في ذاكرة الأمة الإسلامية ، بل في ذاكرة العالم بأسره .

العالم الأصولي ، الداعية الرَّحّالة

الدكتور محمد حسن هيتو[٢]

---

(١) في رسالةٍ خاصةٍ موجَّهةٍ إلى المؤلف .

(٢) في كلماته التوجيهية المنشورة في مجلة « التنوير » الفصلية ، عدد عام ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم : فضيلة الأستاذ الدكتور نور الدين عِتْر[1]

أستاذ التفسير والحديث في كليات الشريعة والآداب بجامعتي دمشق وحلب سابقاً ، رئيس قسم علوم القرآن والسنة في كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقاً ، رئيس قسم علوم القرآن والسنة في قسم الدراسات العليا في فرع جامعة الأزهر ، وفرع جامعة أم درمان الإسلامية بدمشق حالياً

الحمد لله الوهَّاب المنَّان، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

---

(١) هو المحدِّث الفقيه ، العالم البصير ، المحقِّق الضليع ، العلامة الجليل : الدكتور نور الدين عِتْر. وُلد في سنة ١٩٣٧م في مدينة حلب، في أسرة عريقة في العلم والصلاح والتمسكِ بالكتاب والسنة، والعكوفِ على نشر علومهما في بلاد الشام تأليفاً وتحقيقاً تَدريساً وتعليماً. تلقَّى الدراسةَ الابتدائية في إحدى مدارس حلب، ثم حصل على الشهادة الثانوية الشرعية عام ١٩٥٤م. ثم التحق بجامعة الأزهر حيث أتمَّ دراستَه الجامعية كلَّها على كبار أساتذتها وشيوخها، وحاز منها على الشهادة العالمية (الدكتوراه) من شعبة التفسير والحديث عام ١٩٦٤م، بتقدير ممتاز بتقديم رسالته: «الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين»، والتي تُعَدُّ اليوم من أهم مراجع هذا الموضوع .
قام بتدريس الحديث النبوي وعلومه في عدة جامعات بدأً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث درَّس إلى عام ١٩٦٥ ، ثم انتقل إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق، حيث عمل أستاذاً فرئيساً لقسم القرآن والسنة، ولم يزل على هذا المنصب مدةَ عشرين عاماً إلى أن تركه سنة ٢٠٠٢م بحكم السِنِّ القانوني . وهو يشغل الآن رئاسةَ أقسام الدراسات العليا في التخصص بعلوم القرآن والحديث، في فرع جامعة الأزهر، وفي فرع جامعة أم درمان الإسلامية بدمشق.
يُعَدُّ الشيخُ أحد كبار علماء الحديث اليوم في العالم الإسلامي، وقد اشتهر بين المَعْنِيِّين بهذا الشأن بأسلوبه الجامعي المبتكر في مؤلفاته، وبدقةِ علمه في تحقيقاته. وله أكثر من أربعين كتاباً من التأليف والتحقيق، فمن أشهرها من تأليفاته : «منهج النقد في علوم=

أما بعد : فهذه أخي القارىء ترجَمَةٌ لرجلٍ لا كالرجال ، هو رجلٌ صامتٌ عن ذكر نفسه ، عاملٌ دعوته لهدي ربِّه ، توجَّه منذ حداثته إلى مختلف العلوم ، ابتداءً بالأخذ عن أبويه وآل بيته ، ثم من معاهد العلم على يد خيرة الأساتذة ، وانتهاءً بالاهتمام بمختلف اللغات ، حتى كأنه هيئةُ أممٍ ، وتحصيلِ درجة الدراسات العليا لعددٍ من الاختصاصات من عدَّة جامعاتٍ ، لينتهي في درجة الدكتوراه إلى رحاب الحديث النبوي ، في أطروحته اللطيفة : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » .

وهكذا عاش أعماراً في عُمره في طلب العلم ، ليُواجِه عالمَه بل عوالمه من الاسم التي أوصلته إليها درايته باللغات ، أو وثَّقت علاقته في علومه ومعارفه المتنوِّعة المتعمِّقة .

وكان في أمره كلِّه على توجُّهٍ واحدٍ ؛ هو : الدعوة ، والإسلام ، والعلم ، والبحث العلمي ، مطرحاً أهدافَ الدنيا ، من سمعةٍ ، أو دعايةٍ ، أو مالٍ ، أو شهرةٍ ، سالكاً طريقَ الزهاد ، باذلاً ما لديه من مالٍ ، كما بذل ما عنده من علمٍ وعرفانٍ ، حتى غدا على دخلٍ يسيرٍ ، وهو في غاية الرضا والإباء . فكان همُّه الدعويُّ يشغله عن كل شيءٍ ، فطوبى له عمله وجهاده ، أنه يبلغ من اهتدوا به للإسلام خمسين ألفاً ، والحديثُ يقول : « من يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من الدنيا وما فيها »[1] ، فكيف مَن له خيرٌ من الدنيا وما فيها من أكثر من خمسين ألف مرَّة !

= الحديث»، و«الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين»، و«أصول الجرح والتعديل»، و«لمحات موجزة في علم العلل»، و«إعلام الأنام شرح بلوغ المرام». ومن تحقيقاته المشهورة: «علوم الحديث» لابن الصلاح، و«نزهة النظر شرح نخبة الفكر» لابن حجر، و«شرح علل الترمذي» لابن رجب، و«المغني في الضعفاء» للذهبي، وغير ذلك من التأليفات القيمة والتحقيقات النفيسة الكثيرة.

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في « الزهد » برقم : (١٣٧٥) ، ص : ٤٨٤ .

إنَّها ترجَمةٌ تفيض لها المشاعرُ حُبّاً وإعظاماً ، وتقديراً أو عبراً أو خشوعاً ، لِمَا فيها من المواقف ، وفضائل العلم والعمل والعبادة ، مما يجعلها غنيةً بالدروس التي ينبغي الوقوف عندها ، وما أكثرها ، مما يضيق المقامُ عن بسطها ، لكن لا بُدَّ لنا من وقفاتٍ مع نماذج منها ، تمسُّ إليها حاجةُ عصرنا أكثر من غيرها ، ويغفل الناسُ والمربُّون عنها ، ومن مهمَّات هذه الدروس والعِبَر هذه التي نذكرها :

١ ـ أهمية المرأة في تغذية المواهب المتفوِّقة ، والكفاءات الأعلى ، وهي هنا أمٌّ تغذِّي وليدَها بالسِّيرة العطرة والمثل العليا ، وأختان يزوِّد منهما أخوهما بأنواعٍ من العلوم والمعارف ، والتربية والفضائل . وذلك يُوجب الاهتمامَ بتكوين المرأة العلمي والثقافي ؛ لتقوم بهذه المهمة ، لا لقصد العمل وهجرِ البيت .

٢ ـ أهمية البيت في تنشئة العباقرة ، وأن يلتفت البيتُ المسلم للأبناء ولا يتكلَّ على أيِّ جهةٍ أخرى ، فمع أنَّ وضع العلم في المدارس كان أفضل ، لم يفوِّض الآباء في طبقتنا ومن قبلها أبناءَهم مسلِّمين إياهم للمدرسة ، بل كان البيتُ الركنَ الأساسيَّ في التعليم والتربية .

٣ ـ يكثر الغلطُ عن مربِّين أو آباء يتركون المتفوِّقَ لنفسه اعتماداً على مقدرته ، وهو عكس الواجب ، واجب رعايته بما ينمِّي مواهبَه ويُبرز تفوُّقَه ، وإشغاله بما يناسب قدراته المتفوقة .

٤ ـ اهتمام الشباب في مرحلة التحصيل بالتوسُّع في العلوم والمعارف ، لكن مع ملاحظة تكاملها بعضها ببعضٍ ، حتى يكون الواحدُ كأنه عاشَ عُمُرَيْن أو ثلاثة ، كما عبَّر لي بعضُ طلابي النابغين .

٥ ـ تأثير فضائل الأخلاق العظيم في النفوس ، وقد آتى الله الشيخَ حميد الله من ذلك حظّاً عظيماً ، فكان يحسُّ بأهمية الأنشطة الشبابية ، فيُقيم للشباب مخيَّماتٍ يلقي فيها محاضراتٍ ، يدعوهم إلى الله ، وإذا هو كما وصفه مَنْ خالَطَه فيها أنه يلقي المحاضرات كداعيةٍ حكيمٍ ، ومربٍّ

كبيرٍ ، ويجلس معهم إلى الطعام كواحد منهم ، وبعد الطعام يغسل آنيَته وصحونه بيده كأيِّ طالبٍ أو شابٍّ مشاركٍ في المخيَّم ، وينام على الأرض كما ينام الطلاب المشاركون ، ولا يدع أحداً يخدمه أو يساعده في مثل تلك الأعمال الخاصة .

فكان ـ رحمه الله تعالى ـ في حياته محقِّقاً للحديث : « من تواضع لله ؛ رفعه »[1] .

وهكذا كان الشيخُ حميد الله مثالاً للبساطة في جميع شؤون الحياة ، ظلَّ يخدم نفسَه بنفسه حتى آخر لحظةٍ من حياته ، . . وهو مع ذلك أنيقٌ في مظهره وثيابه ، أنيقٌ في الاعتناء بشعره ، كما أنه وسيمٌ جميل الوجه ، جمع جمالَ الظاهر والباطن ، فتحقَّق به الحديثُ الصحيح : « إنَّ الله جميلٌ ، يُحِبُّ الجمالَ »[2] ، الذي ورد في تجميل الإنسان شعره وثيابه ونعله .

٦ ـ التجرُّد من المصالح الشخصية في نجاح الداعية ، وهذا من أوْلَيات ما يُطلَب من الداعية أن يكون متجرِّداً من المصالح الشخصية لدى مَن يوجِّه لهم دعوته إلى الله ، كأجرٍ ماليٍّ يطلبه منهم على ما يقوم به من أداء رسالته ، أو زعامةٍ ، أو جاهٍ ، أو رغبةٍ في الاستعلاء على الأتباع والاستنصار بهم للاستعلاء في الأرض على الناس ، فهذا يقيم عقبةً صُلْبَةً كثيفةً بين الداعي وبين المدعو ، لذا حرَّض اللهُ رُسُلَه بالتجرُّد من المصالح الشخصية والدنيوية لدى من يوجِّهون لهم رسالاته في مواضع مختلفةٍ وبمناسباتٍ عديدةٍ في كتابه ، كما في سورة ص ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ، وفي سورة الفرقان : ﴿ قُلْ مَآ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٧/ ١٢٠) برقم: (٣٤٦٦٣) عن جرير بن عبد الله بن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، برقم : (١٤٧) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما .

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ، وفي سورة الشعراء : ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وفي سورة يونس : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ، وفي سورة هود : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ ، وفي سورة الشورى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ، وغير ذلك آياتٌ كثيرةٌ في سور أخرى .

فكان هذا سِرُّ تأثير دعوة الشيخ حميد الله في قلوب الناس أنه ـ رحمه الله تعالى ـ كان مخلصاً لله في أدائه رسالتَه ، متجرِّداً من المصالح الشخصية الدنيوية لدى من يوجِّه لهم رسالته ؛ ليكون أداؤه لها بينهم مَرْجُوَّ التأثير .

٧ـ تأثير التعبُّد والخشوع في نجاح الداعية ، ولينُ القلوب له ، لذلك حرَّض الله تعالى النبيَّ ﷺ على قيام الليل ، لمواجهة الصعوبات العظيمة التي لقيها من قومه ، وذلك في آيات كثيرة ، منها مطلع سورة المزمِّل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ . وفي آخر سورة الدهر : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ ، وفي سورة الإسراء : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

وهكذا كان الشيخُ حميد الله ـ اللهم ارحمه وأعلى مقامه ـ كان قليلَ النوم ، مواظباً على قيام الليل . فبارك الله تعالى له في قوله وكتبه ، وعلمه وعمله ، وأورثه بذلك غايةَ التعظيم لشعائر الله ، ومن ذلك التعظيم أنه لمّا زار دارَ المصنِّفين[1] دخلها وهو حافي القدمين ، فلما

(١) انظر لتعريفها حاشية صفحة : (٧٠) .

سُئل عن سبب ذلك قال : ما طاب لي أن أدخل هذه الدار التي تَمَّ فيها تأليفُ كتابٍ عظيمٍ في السيرة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ وأنا منتعلٌ .

والدروسُ في حياة هذا الهُمَام كثيرةٌ ، وهذا الكتابُ ـ للأخ الكريم ، صديق اليوم وتلميذ الأمس الوفيّ : السيد عبد الماجد الغَوْري حفظه الله ونفع به ـ بين يديك ، تأمَّلْه وتأمَّلْه ، وخُذْ منه لحياتك في الدنيا والآخرة .

لكن أوَدُّ أن أختم تقديمي هذا بتسجيل موقفٍ جليلٍ قدوةٍ بنيت عليه حياةُ الشيخ محمد حميد الله، عليه سحائب الرحمة؛ ذلك ردُّه على الباطل الديني الذي أحاط به ، لقد عاشَ الشيخُ في باريس يُحيط به في عمله المستشرقون ينالون من الإسلام والسنة ، ويُحيط به في المجتمع قومٌ عابثون ، في الشهوات مغرقون ، فكان موقفُ الرَّدِّ منه حكيماً قوياً ، إنَّه ردَّ على المستشرقين ببيان حقائق الإسلام ، وبالبيان العملي الذي يُثبِت توثيقَ السنة منذ عهد النبيِّ ﷺ في أطروحته : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوية والخلافة الراشدة » ، وإخراجه « صحيفةَ هَمَّام بن مُنَبِّه » ، وغير ذلك من بحوثٍ ومقالاتٍ ، سلك فيها طريقَ الحكمة والهدوء العلمي ، وردّه على المجتمع الماديّ بالزهد والعزوف عن الدنيا، وزينتها ومظاهرها . . . ، ورفضِ الجوائز الكبرى ، والابتعادِ عن أضواء الشهرة ، ولكن الله تعالى عوَّضه شهرةً ذاعت له في الناس ، مصداقاً للحديث : « ثم يُوْضَع له القبولُ في الأرض »[1] .

كتبه

نُورُ الدِّين عِتْر

دمشق ٧/ رجب ١٤٢٩هـ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ، برقم : (٣٢٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب الحسيني (1)

وكيل كلية الشريعة ، ورئيس قسم علوم القرآن والسنة النبوية بجامعة دمشق سابقاً . عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الشارقة سابقاً . أستاذ العلوم الإسلامية وثقافتها، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة وجامعات الخليج العربي سابقاً . أستاذ الحديث وعلومه بقسم الدراسات العليا بمعهد الفتح الإسلامي بدمشق حالياً .

الحمد لله ربِّ العالمين ، حمداً كثيراً يوافي نعمَه ويكافئ مزيدَه ، الحمد لله كما ينبغي لجلاله ولعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام

---

(1) هو العالم الفاضل، الأستاذ المربِّي، الشيخ الجليل: العلامة الدكتور محمد عَجَاج الخطيب الحسيني. وُلد في سنة ١٩٣٢م بدمشق، في أسرة عريقة في العلم. تخرَّج حاملاً شهادة الليسانس في كلية الشريعة من جامعة دمشق عام ١٩٥٩م. وتابع دراسته في جامعة القاهرة، وحصل على الماجستير عام ١٩٦٢م، بتقدير امتياز، بتقديم رسالته بعنوان: «السنة قبل التدوين»، والتي تُعَدُّ من أشهر أعماله العلمية. ومن ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها في مطلع عام ١٩٦٦م، بتقدير الشرف الأولى ، بتقديم أطروحته بعنوان: «نشأة علوم الحديث ومصطلحه مع تحقيق كتاب المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الرَّامَهُرْمُزِيّ».

قام بتدريس علوم الحديث في عدة جامعات البلاد العربية الكبرى، بدأً بكلية الشريعة في جامعة دمشق حيث درَّس من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٨٠م. ثم أُعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض حتى ١٩٧٣م. وفي جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٩٧٩م. ثم أعير إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة من عام ١٩٨٠ حتى ١٩٩٧م. ثم انتقل إلى جامعة الشارقة وعمل فيها حتى ٢٠٠٢م. كما أنه عمل عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في دبي. وهو الآن يعمل أستاذاً =

على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الكرام العلماء الميامين ، وعلى من اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد : فبين يديّ ترجمةٌ ضافيةٌ لأحد أكابر علماء الإسلام المعاصرين من بلاد شبه القارة الهندية ، من « حيدرآباد » (الدَّكَنْ) : الأستاذ الدكتور محمد حميد الله (١٣٢٦ ـ ١٤٢٣هـ) الموافق (١٩٠٨ ـ ٢٠٠٢م) ، الذي نشأ في أسرة علم عريقة ، بين أبوين فاضلين على جانبٍ كبيرٍ من العلم والتقوى ، وإخوانٍ وأخواتٍ نهلوا من ذلك المَعِين الثَرِّ ، من القرآن والسنة والتفسير والسيرة . . . والتزموا بالإسلام عقيدةً وشريعةً وعبادةً وأخلاقاً وآداباً وسلوكاً ، وسُرعان ما نبغ الفتى الذكيُّ محمد حميد الله ، وتابع دراستَه في المدرسة النظامية ، ونال منها درجةَ البكالوريوس (الليسانس) في علوم الشريعة سنة ١٣٤١هـ (الموافق ١٩٢٣م) وتأثَّر بشيوخه العلماء الكبار ، كما نال درجةَ الليسانس من قسم الدراسات

= للحديث وعلومه في قسم الدراسات العليا بمعهد الفتح الإسلامي في دمشق.
وله نحو عشرين كتاباً من التأليف والتحقيق، ومن أشهر تأليفاته: «السنة قبل التدوين»، و«أبو هريرة راوية الإسلام»، و«أصول الحديث ومصطلحه»، و«قبسات من هدي النبوة»، و«لمحات في المكتبة والبحث»، و«التربية الإسلامية: أهدافها ـ أسسها ـ وسائلها ـ طرق تدريسها»، و«الموجز في أحاديث الأحكام»، و«الوجيز في علوم الحديث ونصوصه» و«أضواء على الإعلام في صدر الإسلام»، «نظام الأسرة في الإسلام»، و«في رحاب أسماء الله الحسنى»، و«الفهرس الوصفي لكتب الحديث وعلومه». ومن تحقيقاته: «المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي» للرَّامَهُرْمُزِيّ، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري (المجلد الخامس)، وغير ذلك من التأليفات والتحقيقات الكثيرة .

الإسلامية من الجامعة العثمانية ـ أكبر جامعات الهند آنذاك ـ عام ١٩٢٨م ، ونال درجةَ الماجستير في الدراسات الإسلامية سنة ١٩٣٠م ، ثم درجةَ الماجستير في القانون ، مما يَسَّر له الابتعاثَ إلى الخارج للدراسات العليا في القانون الدولي الإسلامي ، وتابع بعثتَه إلى الجامعات في الشرق الأوسط للاطِّلاع على نفائس المخطوطات ، فزار الحجازَ ومصر وسورية وتركيا ، والتقى في زياراته بأكابر علماء تلك البلاد ، كما التقى ببعض المستشرقين ، فأُتيحت له متابعةُ دراسته في ألمانيا ، كما أقام في بريطانيا عدة سنواتٍ ، ونال درجةَ الدكتوراه من جامعة السوربون سنة ١٩٣٤م برسالته المشهورة : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » ، وعاد إلى حيدرآباد (الدكن) فدرَّس فيها العلومَ الإسلامية ، كما درَّس القانونَ الدولي في كلية الحقوق ، إلى جانب نشاطه الثقافي بإلقاء المحاضرات العامة ، ثم انتقل إلى فرنسا عام ١٩٤٨م وعكف على التحقيق والبحث العلمي والردِّ على بعض المستشرقين وبخاصةٍ « جولد زيهر » ، إلى جانب كتابة البحوث والمقالات في بعض الدوريات ، وقد ترأَّس كثيراً من المؤسَّسات العلمية ، وشاركَ في عديدٍ من المؤتمرات العلمية ، هذا إلى جانب إلقاء الدروس في مساجد فرنسا وأوربَّة ، والدعوةِ إلى الله عزَّ وجلَّ في بلاد الغرب بمختلف الوسائل المشروعة ، والأنشطة العلمية الهادفة . . . وقد أثمرت جهوده فأسلم على يديه أكثرُ من ثلاثين ألف فرنسيٍّ ـ وقيل نحو خمسين ألفاً ـ بينهم مفكِّرون وأعلام ومثقَّفون وطلبة ، وقد أتقن نحوَ عشر لغات عالمية ، ولم يدَّخر وُسْعاً في خدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء على علمٍ وبصيرةٍ ،

بسكينةٍ وهدوءٍ وتواضعٍ متجنباً السُّمعةَ والشهرة ، إنه أحد النماذج الإسلامية الفاعلة المعاصرة ، التي عاشت في الغرب للإسلام بلسانها وقلمها ودلالة حالها ، وجزاه الله تعالى خير الجزاء ، ورفع مقامَه في الفردوس الأعلى .

وما ذكرتُه غيضٌ من فيضٍ قدَّمه الأستاذ سيد عبد الماجد الغَوْري النَّدْوي ـ أحدُ علماء الهند المشتغلين في الحديث النبوي وعلومه ، وله فيه مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ ـ في كتابه القيِّم : « محمد حميد الله : سفير الإسلام وأمين التراث الإسلامي في الغرب » ، وبهذا فقد انضمَّ الأستاذ محمد حميد الله إلى سلسلة أعلام علماء أُمَّتنا العاملين المخلصين على مرِّ العصور ، وقد بذل مؤلِّفُ الكتابِ جهداً كبيراً في سبيل جمع هذه الترجمة ، جزاه الله تعالى عنَّا وعن المسلمين خيرَ الجزاء ، ونفع به العبادَ والبلاد ، إنه خير مسؤول وبالإجابة جدير .

كتبه

دمشق ١٤/ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ — محمَّد عجَاج الخَطِيب الحَسَنِيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلِّف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد أُعجِبتُ بشخصية الداعية البصير ، العالم الموسوعيّ ، المحقِّق البارع : الشيخ محمد حميد الله الحَيْدَرْآبادي أشدَّ الإعجاب منذ أن كنتُ طالباً في دارالعلوم لندوة العلماء ، إذ قرأتُ أيام دراستي فيها كتابَه القيِّم « خُطَب بَـهَاوَلْـفُور » ، والذي يحتوي على تلك المحاضرات التي ألقاها في باكستان عام ١٤٠٠هـ ، وقد وضع فيها عصارةَ مطالعة عُمره للعلوم الإسلامية ، لعمري إني أدين لهذا الكتاب بالفضل عليَّ ما دمتُ حياً ، وقد فتحتْ لي قراءتُه الآفاقَ في إدراك كُنْهِ تلك العلوم التي يتعذَّر عادةً على الطلاب وَعْيُها . كذلك لكتابه النفيس الآخر مِنَّةٌ كبيرةٌ عليَّ في تذوُّقي بجمال العربية خطابةً وكتابةً ، وهو « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » ، والذي قرأته مَثْنى وثُلاث ورُباع أيامَ دراستي في دمشق ، وهو أنموذجٌ رائعٌ للكتابة العربية المجرَّدة عن التصنُّع والتكلُّف في أوائل الفجر الإسلامي ، والذي لا غِنى عنه لطالبٍ متذوِّقٍ للغة العربية وآدابها .

كما أنني تأثرتُ بشخصية هذا العالم الجليل في أمورٍ كثيرةٍ أيضاً ، لا سيّما بشخصيته العلمية الفذَّة ، وحرصِه الشديد على طلب العلم سواء كان ذلك في الوطن أو في الغربة ، وسبرِه الدقيق في البحث والتحقيق ، وصبرِه الحثيث على مشاق الغربة الطويلة ، وغيرِ ذلك من الأمور المتعلقة بحياته الخاصة وشخصيته العلمية التي تشجِّع طلبةَ العلم أمثالي على مواكبة السَّيْر العلمي والعملي .

ولكن للأسف . . . لم يكن من نصيبي خدمةُ هذا العَلَم الجليل كتابةً عنه أو تأليفاً ، رغم شدّة إلحاح النفس على ذلك دائماً ، سوى بعض محاولاتي المتواضعة في تعريب بعض مقالاته العلمية والفكرية بين الحين والآخر ، وسببُ ذلك أنه قد قضى الحياةَ كلَّها بعيداً عن وطنه ، عزباً فريداً ، زاهداً عن العالم الفاني في عالمه العلمي ، متواضعاً يأبى أن يطَّلع أحدٌ على أخباره الشخصية ومآثره العلمية ، أو يُطلع عليها هو أحداً بنفسه ، وهذا ما جعلني أكفّ عن الكتابة عنه كلما أردتُ ذلك ، ولا غرابةَ إذا كان هذا السببُ أيضاً عائقاً للشيخ عبد الفتَّاح أبي غُدَّة عن ضمِّه ـ أي الشيخ حميد الله ـ إلى العلماء العُزّاب بإدراج ترجمته في كتابه الحافل الممتع « العلماء العُزَّاب الذين آثروا العلم على الزواج » ، مع أنَّ الشيخ أبا غُدَّة ـ رحمه الله تعالى ـ كان على صلةٍ علميةٍ وطيدةٍ به ، فهو قد ذكر في كتابه هذا ترجمةَ الشيخ أبي الوفاء الأفغاني ، وهو أستاذ الشيخ حميد الله ، لكن خفي عليه تلميذُه هذا الذي طار صيته في الآفاق ، والذي ملأ دنيا الإسلام شهرةً وعطاءً ، فائدةً ونُبْلاً ! وهو لا يقلُّ في مكانته وعلمه وعقله وحصافته وآثاره الطيبة عن أولئك الذين ذكرهم الشيخ في هذا الكتاب .

ولا يزال حصول المعلومات الصحيحة عن هذا العَلَم من الأمور

الصعبة ، خاصةً بعد فترة مغادرته الهندَ وإقامته في فرنسا ، لذا من الصَّعب جدّاً الإلمامُ بجميع جوانب شخصيته ، والإحاطةُ بنشاطاته العلمية والدعوية في كتابٍ ، اللهم إلا من عاش معه في المهجر شريكاً له في حياته ، ورفيقاً له في حَلِّه وتَرْحاله ، وذلك لم يكن له ميسَّراً طول عمره ، كما أنه لم يكن أيضاً على صلةٍ بأفراد أسرته المقيمين في الهند أو في خارجها ؛ حتى يكون هؤلاء مرجعاً في حصول المعلومات عنه لمن أراد أن يكتب عنه أو يؤلِّف ، غير قريبٍ له مقيمٌ في مسقط رأسه (حيدرآباد) وهو ابنُ أخيه الأستاذ أحمد عطاء الله ، وهو وحيدٌ من بين أفراد أسرته الذي كان (الشيخ حميد الله) دائمَ الصلة به حتى وفاته ، وقد استطعتُ بفضل الله تعالى أن ألتقي به وأحصل على بعض المعلومات المهمة عن حياته الذاتية ونشاطاته العلمية ، وقد أعطاني كذلك ـ جزاه الله خيراً ـ بعضَ مقالاتٍ بالأردية والإنكليزية التي كُتبت عنه بعد وفاته .

أعتذر من القُرَّاء إذا فاتني أن أذكر في هذه الصفحات المتواضعة من المعلومات عنه ، والتي قد تكون في غاية الأهمية من وجهة نظرهم ، لكني لم أقصد من هدف تأليف هذا الكتاب بأن أتناول فيه الدراسةَ الوافيةَ عن هذا العَلم الجليل من جميع جوانب حياته الذاتية والعلمية شأنَ الرسائل الجامعية ، إنما قصدتُ به أن أقدِّم للقارىء إنتاجَه في مَسْرَدٍ عامٍّ جامعٍ مع إلقاء الضوء على أهمِّ نقاط ترجمته ، وإبرازِ أهمِّ جوانب شخصيته ، فإن كان كذلك ، فغايتي ـ إن شاء الله ـ من تأليف هذا الكتاب محقَّقةٌ ، والمقصودُ به حاصلٌ ، والنفعُ به مأمولٌ .

وأخيراً . . . أرى من اللِّزام عليَّ أن أُوَجِّه جزيلَ شكري لأستاذَيَّ

الكبيرين وشيخَيَّ الجليلين : الدكتور نور الدين عِتْر ، والدكتور محمد عجاج الخطيب - حفظهما الله ، وأمدَّ في عمرهما إمتاعاً لخدمة سُنَّةِ نبيِّه ﷺ - على تقديمهما للكتاب الذي زانه وزاد في قيمته .

كتبه

المعتز بالله تعالى

سيد عبد الماجد الغوري

حيدرآباد (الدَّكَن) ٢٣/ ربيع الأول ١٤٢٩هـ

samghouri@mail.com
samghouri77@yahoo.com

الفَصْل الأول

لمحات من حياته

نسبه وأسرته ومولده .

الدراسة والتدريس .

مغادرته الهندَ وإقامته في فرنسا .

محاضراته في بعض الجامعات الشهيرة في الغرب وفي العالم الإسلامي .

رحلاته .

تكريمه وتقديره .

صفاته الخُلُقية والخِلْقية .

مكانته العلمية .

مرضه ووفاته .

لمحات من حياته

نسبه وأسرته :

ينتسب الشيخ محمد حميد الله إلى أسرة ذات حسبٍ عتيقٍ ونسبٍ عريقٍ ، والتي تُعرَف بـ « النوائط » (وهي جمعُ « نائط ») ، وهي فرعٌ من قريش ، وقد خرج رجال هذه الأسرة من المدينة المنورة خوفاً من ظلم الحجاج بن يوسف الحاكم الثقفي (المتوفى سنة ٩٥هـ) ، وسكنوا البصرة[1] ، ثم هاجر بعض رجال هذه الأسرة إلى الهند في القرن الثامن الهجري ، واستوطنوها في عهد السلطان علاء الدين حسن كَنْكُوْبَهْمَنِي (المتوفى سنة ٧٩٥هـ) ، والذي أكرم مثواهم وعيَّنهم على أعلى مناصب الدولة كالوزارة والديوان ، ثم ظلّوا موضع عناية الملوك والسلاطين الذين حكموا البلاد بعده في أدوارها المختلفة .

لقد أنجبت هذه الأسرةُ العلماءَ الأكابر والأعلامَ الأفاضل الذين تركوا وراءهم صيتاً طيباً فيَ نشر الإسلام وخدمة التراث الديني والعلمي في مختلف أدوار الهند ، ومن الشخصيات البارزة لهذه الأسرة المباركة :

---

(١) ذكره السمعاني في « الأنساب » (١٣/ ١٩ ـ ٢٠) بـ « النايتي » .

١ ـ العلامة الشيخ أبو الحسن علاء الدين علي بن أحمد المَهَائمي (المتوفى سنة ٨٣٥هـ) .

كان من كبار علماء عصره في الهند ، وُلد في قرية « مهائم » الواقعة قرب ميناء « كَوْكَنْ » من سواحل غُجْرات في غرب الهند ، تلقَّى العلومَ الابتدائية من الشريعة واللغات على شيوخ بلدته ، ثم خرج في رحلة طويلة لطلب العلم إلى بلدان نائية ، وأقام في مصر والحجاز وفي كثير من البلدان يستفيد من علمائها ومشائخها في شتى العلوم والفنون من المنقول والمعقول ، ثم عاد إلى الهند ونذر نفسه للتدريس والتأليف .

وكان من العلماء المكثرين من التأليف في الهند ، ومن مصنفاته : « الزوارف في شرح العوارف » ، و« مشرع الخصوص في شرح الفصوص » ، و« استجلاء البصر في الرد على استقصاء النظر » لابن المطهر الحلي ، و« النور الأظهر في كشف سر القضاء والقدر » وشرحه : « الضوء الأزهر في شرح النور الأظهر » ، و « أجلة التأييد في شرح في أدلة التوحيد » ، كما أنه ألف في أسرار الفقه ومحاسن الشريعة كتاباً قيماً باسم : « إنعام الملك العلام بإحكام حكم الأحكام » ، وغير ذلك له رسائل في الفقه الشافعي وغيره من الموضوعات الأخرى ، ولكن من أشهر مؤلفاته تفسيره المسمَّى بـ« تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن » ، ومن خصائص هذا التفسير أنه تعرَّض فيه لربط الآيات بعضها ببعض ، وقد طُبع في القاهرة[١] .

---

(١) انظر لترجمته : « نزهة الخواطر » (٣/ ٨٠) .

٢ ـ الشيخ محمد غوث ناصر الدين محمد (المتوفى سنة ١٢٣٨هـ) .

كان من كبار علماء عصره ، شغل المناصب العلمية العظيمة في عهد الملك عظيم الدولة في إمارة الدكن ، كذلك وهو من العلماء المكثرين في التأليف ، وله كتب قيمة بالعربية والفارسية ، فمن أهمها : « نثر المرجان في رسم نظم القرآن » في سبع مجلدات ضخمة ، طُبع في مجلس إشاعة العلوم بالجامعة النظامية بحيدرآباد (الدكن) ، و« الفوائد الصبغية في شرح الفرائض السراجية » ، و« كفاية المبتدي في الفقه الشافعي » ، وله تعليقات مفيدة على كلٍّ من : « مختصر أبي الشجاع » ، و« قطر الندى . . . » و « القاموس المحيط » وغيرها[1] .

٣ ـ الشيخ محمد صبغة الله بن محمد غوث شرف الملك الملقَّب بالقاضي بدر الدَّوْلَة (المتوفى سنة ١٢٨٠هـ) .

كان قاضي القضاة في إمارة كَرْناتَكْ الإسلامية ، وكان له دور كبير في إصلاح كثير من الأمور المتعلقة بالإمارة . غادر إلى حيدرآبادَ بعد سقوط إمارة كرناتك ، وشغل فيها مناصبَ علمية عديدة .

وله أكثر من خمسين كتاباً بالعربية والفارسية والأردية ، ومنها تفسيره للقرآن الكريم الذي سمَّاه بـ: « فيض الكريم » « لكنه لم يكمل ، وقد وصل فقط إلى تفسير سورة الأنعام فاستأثرت به رحمة الله ، ثم أكمله أبناؤه وأقاربه ، وقد بلغ هذا التفسير نحو سبعة آلاف

---

(١) انظر لترجمته : « نزهة الخواطر . . . » (٧/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) .

في قطع كبيرة من الأوراق . كذلك من أشهر مؤلفاته كتابه المعروف في السيرة النبوية، والذي ألفه بالأردية بعنوان : « الفوائد البدرية » ، وهو من الكتب التي لها رواجٌ عظيمٌ وتأثيرٌ كبيرٌ في الأوساط الدينية والعلمية في جنوب الهند ، وما زال هذا الكتاب يُقرأ في مناسبات دينية عديدة في هذه البلاد . ومن أعماله العلمية كتابه : « رياض النسوان » أيضاً ، ألفه بالأردية في الفقه الشافعي ، عرَّف فيه كثيراً من المسائل الفقهية التي تتعرَّض لها النساء المسلمات في حياتهن اليومية .

كذلك له مؤلفات قيمة بالعربية ، منها : « إزالة الصَّمة في اختلاف الأمة »، و« ذيل على القول المسدَّد في الذَّبِّ عن مسند الإمام أحمد » ، و« هداية السالك لموطأ الإمام مالك » ، و« رسالة في السير ومناقب الأئمة »، وغير ذلك له تعليقات جيدة على : « صحيح مسلم » ، و« جامع الترمذي » ، و« المنتقى لابن الجارود »[1] » .

٤ ـ الشيخ أبو محمد خليل الله (المتوفى سنة ١٣٦٣هـ) .

وهو والد الشيخ محمد حميد الله ، كان عالماً مربِّياً ، ذا اطلاع واسع على مناهج التعليم والتربية ، وصاحب مؤلفات عديدة بالعربية والأردية لا سيما في تربية الأطفال الناشئين وتعليمهم ، وقد نالت معظم مؤلفاته قبولًا طيباً لدي المهتمين بالموضوع ، ومن أشهرها بالعربية : « تحفة الأطفال » ، و« شرح متن أبي شجاع » ، و« أربعين حديثاً » وغيرها .

---

(١) انظر لترجمته « نزهة الخواطر . . . » : (٧/ ٤٤٢ ـ ٢٠٥) .

٥ ـ الشيخ حبيب الله (المتوفى سنة ١٣٩٧هـ) .

وهو الأخ الأكبر للشيخ ، درس على والده ومشايخ بلده العلوم العقلية والنقلية . ثم التحق بالجامعة العثمانية ، وبعد التخرج منها حاملاً شهادة الليسانس شغل وظيفةً مهمةً في الإمارة . كانت له أعمال علمية ضخمة من الترجمة والتأليف والتحقيق ، ومنها : تفسيره للقرآن الكريم بالأردية باسم : « التفسير الحبيبي » وقد راجعه الشيخ حميد الله وقدَّم له مقدمةً علميةً ضافيةً ، ولكن للأسف . . . ما زال هذا التفسير مخطوطاً عند ورثته ، غير أنَّ المقدمة قد طُبعت ونالت استحساناً كبيراً في الأوساط العلمية في شبه القارة الهندية ، وأما الكتب التي نقلها إلى الأردية ؛ فالجدير بالذكرمنها : « كتاب أنساب الأشراف » للبلاذري ، والذي طُبع عام ١٤١٢هـ .

٦ ـ السيدة أَمَة العزيز بنت أبي محمد خليل الله (المتوفاة سنة ١٣٦٦هـ) .

وهي الأخت الكبرى للشيخ ، كانت من النساء الفاضلات لعصرها ، وكان لها إلمامٌ تامٌّ باللغات العديدة كتابةً وخطابةً ، درست العلومَ الشرعية كلها على والدها الفاضل وبرعت فيها براعةً فائقةً مكَّنتها من تأليف وترجمة عدة كتبٍ بعد ، ومن مآثرها العلمية العظيمة الدَّالّة على علوٍّ همتها ودأبها ترجمة كتاب الإمام النووي : « المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج » إلى الأردية بعنوان : « هداية الناظرين . . . » في أربع مجلدات ضخمة .

وقد عُرف رجال هذه الأسرة كلهم منذ قدومهم إلى الهند إلى يومنا هذا بولعهم الشديد واهتمامهم البالغ بنشر العلوم والمعارف

الإسلامية في بلاد الهند ـ خاصةً جنوبها ـ سواء أكان ذلك من خلال التدريس أو التأليف ، كما أنَّ لهم دوراً كبيراً في إماتة الكثير من البِدَع والخرافات الشائعة في بعض مناطق الهند ، والتي أصبحت عند عامة الناس جزءاً أساسياً من ديننا الحنيف ، كما أقام بعض أفراد هذه الأسرة النهضة التعليمية بين النساء ، وألَّف لهن كتباً خاصةً في الفقه ؛ والحديث وفي الفنون الجميلة وغيرها ، كذلك لأفراد هذه الأسرة فضلٌ كبيرٌ على حفظ تراثنا الإسلامي من الضياع ، فبسبب اعتنائهم البالغ بجمع المخطوطات القيمة وصل إلينا كثير من النوادر والنفائس من المخطوطات ، وقد نسخ كثيراً منها أفرادُ هذه الأسرة وحفظوها في مكتباتهم التي كانت تزخر بكتب قيمة لا يكاد يكون لها نظير في الهند ، ويبلغ عدد مجموع تلك المخطوطات النادرة والمنسوخة والكتب القيمة نحو خمسين ألف مخطوطة وكتاب .

مولده ونشأته :

وُلد الشيخ محمد حميد الله في هذا الجوّ الإيماني وفي هذه البيئة العلمية الخالصة في ١٦/ محرم الحرام عام ١٣٢٦هـ (الموافق لـ ١٩/ فبراير عام ١٩٠٨م) في ليلة يوم الأربعاء ، ونشأ نشأةً دينيةً علميةً بحتةً ، وكانت والدته من النساء الفاضلات ، وقد اعتنت بتربيته عنايةً خاصةً لما لاحظت فيه من ملامح النبوغ المبكِّر ، حيث كانت تقص عليه قصص الأنبياء ووقائع السيرة النبوية ، وتحرضه على قراءة الكتب فيها وهو لم يتجاوز العشرةَ الأُوَل من عمره ، فكان لتربيتها على هذا النحو أثر كبير وواضح في تكوين شخصيته كمؤلف كبير في السيرة ، يلاحظ ذلك من يقرأ كتبه فيها .

أمَّا دور والده في تربيته فلا يُنكر ، وهو رحمه الله ـ كما تحدثنا عنه آنفاً ـ كان من كبار العلماء في عصره ، الذين عُرفوا بعنايتهم الخاصة بتربية الناشئين وتعليمهم ، حيث إنه ألف فيهما كتباً قيمةً ، وقد كان الشيخ حميد الله موضع عنايته من بين جميع أولاده ، ومن والده تلقَّى مبادىءَ اللغة العربية والفارسية والأردية ، وعنه أخذ أصولَ العلوم الشرعية . كما أنه أخذ أيضاً بعض مبادىء العلوم عن أختيه الفاضلتين ، وهما : السيدة أمة الصمد والسيدة أمة العزيز .

الدراسة والتدريس

دراسته الابتدائية والمتوسطة :

التحق الشيخُ بمدرسة دارالعلوم الشرقية عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) ، والتي كانت تابعةً وقتئذ لجامعة بنجاب ـ التي تقع اليوم في لاهور بباكستان ـ وكانت مقررات دارالعلوم على وفق « المنهج النظامي » السائد في ذاك الوقت في جميع مدارس شبه القارة الهندية ، وهو منهج ينتمي إلى العلامة الشيخ نظام الدين الأنصاري الفِرَنْكي المَحَلّي (المتوفي سنة ١١٦١هـ) ، يلتزم هذا المنهج تدريس علوم الفلسفة والمنطق وأصول الفقه وعلم الكلام ، ويُعنى عنايةً خاصةً بتدريس الحديث النبوي الشريف وعلومه مع دراسة مقارنة للمذاهب ومحاكمة استدلالية وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه ، كما كانت تُدرَّس في دار العلوم ـ بالإضافة إلى هذه العلوم والفنون ـ جميع العلوم العصرية كعلوم الطبيعة والكيمياء والهندسة والرياضيات والتاريخ والجغرافية واللغة الإنكليزية أيضاً ، وكان تدريس جميع هذه العلوم باللغة الأردية مع تركيزٍ خاصٍّ على تعليم اللغة العربية وآدابها ، وكان الهدف الرئيسي لدارالعلوم أن تزين الطالب بحلية العلم والمعرفة وتفي بمتطلبات العصر الحديث بقدر الحاجة . وبعد تأسيس الجامعة العثمانية ـ سيأتي تعريفها ـ

استقلت دارالعلوم عن جامعة بنجاب وانضمت إلى قسم الدراسات الإسلامية في الجامعة العثمانية .

أتمَّ الشيخ في هذه المدرسة دراسته في الصف السادس المتوسط عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ، وفي أثناء الدراسة ظهرت لمدرِّسيه آثار ذكائه الخارق ونبوغه العجيب ، فأوصوه بمتابعة دراسته في « المدرسة النظامية » والتي كانت تُعدّ حينئذ من أكبر مراكز تعليم المسلمين في شبه القارة الهندية مثل : دار العلوم الإسلامية بدِيُوْبَنْد[1] ، ودار العلوم لندوة العلماء بلكنؤ[2] والجامعة السلفية ببنارس[3] وغيرها .

المدرسة النظامية :

ومما أراه جديراً بالذكر بمناسبة تعرُّض الحديث لهذه المدرسة

---

(١) وهي أكبر جامعةٍ دينيةٍ في الهند تستحقّ أن تسمَّى : « أزهر الهند » ، أسَّسها العالم الرباني الشيخ محمد قاسم النَّانُوْتَوي (المتوفى سنة ١٢٩٨هـ) في عام ١٢٨٣هـ . وكان للمتخرّجين في هذه الجامعة تأثيرٌ كبيرٌ في حياة المسلمين الدينية في الهند ، وفضلٌ كبيرٌ في محو البدع والخرافات ، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين .

(٢) من كبرى الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي ، تأسَّست على يد الشيخ محمد علي المونكيري (المتوفى سنة ١٣٤٦هـ) في عام ١٣١٢هـ ، عُنيت هذه الجامعة منذ تأسيسها بالقرآن الكريم ـ بصفة خاصة ـ، وتدريسه ككتاب كل عصرٍ وجيلٍ ، وعُنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه . واجتهدت أن تخرِّج رجالاً مبشِّرين بالدين الإسلامي الخالد لأهلِ العصر الجديد ، شارحين للشريعة الإسلامية بلغةٍ يفهمها أهلُ العصر ، فأنجبت رجالاً هم خيرُ مثلٍ للعالم المسلم العصري ، لهم آثارٌ جميلةٌ خالدةٌ في الفكر الإسلامي ، واللغة وآدابها .

(٣) عُرفت هذه الجامعة منذ تأسيسها (في عام ١٣٨٣هـ) بأهدافها النبيلة نحو خدمة الدين ، وقد ركَّزت عنايتها بصفةٍ خاصةٍ على تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية ، ومحاربة البدع والخرافات ، والعادات الجاهلية الفاشية في المجتمعات الإسلامية .

أن أقوم هنا ببعض التعريف عنها ، والتي ما زالت تواصل رسالتها منذ أكثر من قرن في مجال التربية ودراسة العلوم الشرعية ، خاصةً أنها تُعَدُّ من المراكز التعليمية التي لها دورٌ كبيرٌ وفضلٌ عظيمٌ في إقامة النهضة الدينية وتشكيل الحضارة الإسلامية في هذه البلاد .

لقد اشتهرت مدينة « حيدرآباد » ـ عاصمة إمارة الدكن الواقعة في جنوب الهند ـ منذ زمن قديم بخدماتها العظيمة في مجالات التربية والتعليم ، لا سيما في مجال التعليم الديني والتربية الإسلامية ، وإيجاد المناخ الإسلامي وإحياء التراث العربي والإسلامي ونشره ، ولا يخفى ذلك كله على كل من يلقي نظرةً عابرةً على تاريخ هذه البلاد ، فقد كان وراء هذه النهضة العلمية والحضارة الثقافية واليقظة الدينية جهود العلماء الربانيين وتوجيهات الأعلام الأفاضل ، فهم الذين أنشؤوا في هذه البلاد تلك المراكز التعليمية والمؤسسات الثقافية ، مما جعل هذه البلادَ حصناً حصيناً لدراسات العلوم والفنون المختلفة وإنعاشها وإبرازها بالطباعة والنشر[1] ، فأُنشئت في هذه البلاد شتَّى المراكز والمنظمات والهيئات والمؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية ، وكان هدف كل واحد منها إبراز معارف الإسلام وآثارها وتعريفها في الخافقين . فكان من هؤلاء العلماء الذين أسهموا بدور كبير في إنشاء هذه المؤسَّسات

---

(١) مثل : « دائرة المعارف » الواقعة في حيدر آباد (الدَّكَنْ) ، والتي تأسَّست عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) ، والتي لها فضلٌ كبيرٌ في إحياء الكتب الدينية والعلمية ، وبعثِها من مدافنها في المكتبات العتيقة ، ونشرِها في العالم الإسلامي . وقد اعترف بجهود هذه المؤسَّسة العظيمة ، وجلالةِ عملها ، وقيمةِ ما نشرتها من التراث الديني والعلمي كبارُ العلماء ، ورجالُ الثقافة في الشرق والغرب .

والمراكز الدينية والعلمية : الشيخ محمد أنوار الله العُمَري (المتوفى سنة ١٣٣٦هـ) ، ذلك الداعي الرباني العالم المخلص الذي أسَّس « المدرسةَ النظامية » في عام ١٢٩٢هـ (الموافقة لسنة ١٨٧٤هـ) ، وكان هدفَها الرئيسي دراسةُ العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه وأصولهما والعقائد وعلم الكلام والمنطق والفلسفة والتاريخ والسِّيَر واللغة العربية وآدابها ، والدعوةُ إلى التمسك بالشريعة الإسلامية ، واتباع السنة النبوية وإحياؤها . وبثُّ الوعي الإسلامي وصيانة المسلمين من كل الفتن . وإماتة البدع والخرافات من المجتمع الإسلامي . ونشر العلوم الإسلامية والحفاظ عليها . وإعدادُ البحوث العلمية وإقامةُ الندوات فيها بين الفترة والفترة . فلتحقيق هذه الأهداف السامية والغايات النبيلة اتخذت « المدرسة النظامية » منهجاً تعليمياً وفق « المنهج النظامي » الذي عرَّفناه آنفاً . وقد خرّجت هذه المدرسة عدداً كبيراً من العلماء الأفاضل الذين لهم دور كبير في نشر الإسلام وإصلاح المجتمع الإسلامي وإحياء التراث الإسلامي وتحقيقه ونشره ، أمثال : العالم الجليل الفقيه الأصولي المحدِّث الشيخ أبي الوفاء الأفغاني (المتوفى سنة ١٣٣٦هـ) ، وصاحبِ الترجَمة الشيخ محمد حميد الله ، وغيرهما كثيرين .

التحق الشيخ حميد الله بهذه المدرسة عام ١٣٣٧هـ (الموافق ١٩١٩م) ، وتخرَّج منها حاملاً شهادة الليسانس في علوم الشريعة عام ١٣٤١هـ (الموافق ١٩٢٣م) . وكان من أبرز الأساتذة والشيوخ الذين أثَّروا في تكوين شخصيته في هذه المدرسة هم : الشيخ أبو الوفاء الأفغاني ، والشيخ المفتي مخدوم بيك ، والشيخ المفتي سيد محمود ، والشيخ إبراهيم رضوي ، والشيخ غلام محمد

والشيخ المفتي رحيم الدين ، ولكن أكثرهم إفادةً له وتأثيراً في حياته هو : الشيخ أبو الوفاء الأفغاني ، ومنه أخذ فنَّ التحقيق ، وعليه تدرَّب فيه ، فأرى من المُستحسَن أن أذكر هنا نبذةً من ترجمته :

الشيخ أبو الوفاء الأفغاني :

هو المحقِّق البارع ، المحدِّث الفقيه ، العالم الجليل : الشيخ أبو الوفاء محمود بن المبارك بن بشير بن عمر بن الكامل الأفغاني ، وُلد بمدينة قندهار في أفغانستان عام ١٣١٠هـ ، ونشأ وترعرع في رعاية والده الذي كان من كبار علماء بلاده ، ولما شارف الرابعةَ عشرة من عمره ؛ توفي والده فسافر ـ وهو فتي السن ـ ابتغاءً للعلم إلى الهند ، فجال مدةً في بلاد الهند يقرأ على الشيوخ في مختلف العلوم والفنون ، ثم شدَّ رحله إلى حيدرآباد والتحق بالمدرسة النظامية ، ولازمها حتى تخرَّج منها على كبار علمائها وشيوخها متضلعاً من جميع العلوم النقلية والعقلية ، وعلى الأخصّ الحديث النبوي الشريف وعلومه والفقه وأصوله . وكان له باعٌ كبيرٌ في العلوم العربية من النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق والفلسفة القديمة ، كذلك كان يتمتع باطلاع واسع على الوقائع التاريخية ، وكان يذكرها بأدق التفاصيل بالشواهد مع العزو إلى مصادرها اعتماداً على ذاكرته القوية فقط ، كما كان يتميز بين معاصريه بسعة نظره على علم رجال الحديث . تولَّى التدريس في المدرسة النظامية ، ودرَّس فيها الفقه والحديث والأدب العربي سنين طوالاً وأجيالاً متتابعة .

كان من مآثره التاريخية تأسيسه بمساعدة زملائه « لجنة إحياء المعارف النعماني » لينشر تحت إشرافها آثار سلفنا المتقدمين من

الفقهاء والمحدثين ، فقامت هذه اللجنة بطبع كثير من الكتب النفيسة من فرائد أئمة القرن الثاني والثالث وما بعدهما ، وكان هو رئيس هذه اللجنة .

لقد عاش حياته كلها عزباً فريداً ، زاهداً ورعاً ، قائمَ الليل محافظاً على السنن النبوية كل الحفاظ ، يكره ترك المستحبات ، ويعمر أوقاته بالمطالعة والإفادة والتحقيق والتعليق ، وتلقين العلم للشباب العلماء والمستفيدين . يصفه العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة[1] في ترجمته له في كتابه الممتع « العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج »[2] ، يقول رحمه الله تعالى : « كان جميلَ الطلعة ، منوَّرَ الشيبة ، دخلتُ عليه بيته في حيدرآباد الدكن بالهند ، فرأيته بيتاً متواضعاً خاوياً إلا من الكتب : مخطوطها

---

(١) هو الأستاذ الحُجَّة ، المحدِّث الأصولي ، الفقيه اللُّغوي النَّظَّار : الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة الشَّامي الحلبي ، أحد كبار العلماء المحقّقين في العصر الأخير ، تعلَّم على جلة علماء وشيوخ مدينتي حلب ودمشق ، وأخذ عن علماء الهند وباكستان ، وتركيا ومصر وغيرها ، وحصل على الشهادة العالية من الأزهر ، واشتغل بالتدريس في كلية الشريعة والآداب بجامعة دمشق ، ثم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
كان تذكاراً للسَّلَف في سعة النظر ، والرسوخ في علوم الحديث والفقه ، والتحقيق في علم الرجال والأسانيد ، مع أخلاق العلماء من أدب وتواضُعٍ ، ورحابة صدرٍ وسموٍّ نفسٍ .
كان له شغفٌ عظيمٌ بآثار الإمام عبد الحي اللَّكْنَوي ، وقد حقَّق معظمها ونشرها . كما كانت له صلةٌ وثيقةٌ بجميع علماء الهند الكبار ، خاصةً المشتغلين منهم بالحديث ، وكان يُحبّ زيارتهم في كل سفرٍ له إلى الهند .
له مؤلَّفاتٌ نفيسةٌ ، وتحقيقاتٌ قيمةٌ في الحديث وعلومه . توفي بمدينة الرياض عام ١٤١٧هـ .

(٢) ص : ١٢٥ .

ومصوَّرها ومطبوعها ، وهي جاثمةٌ حواليه ينهل منها ويعلُّ ، ويقدِّم ثمرات علمه للناس عسلاً مصفًّى » .

توفي في ١٣ من شهر رجب عام ١٣٩٥هـ بمدينة حيدرآباد .

نشر ـ رحمه الله تعالى ـ من النوادر الغالية والنفائس التاريخية بتحقيقه الدقيق وتعليقاته الطيبة مثل : « كتاب الآثار » للإمام القاضي أبي يوسف (المتوفى سنة ١٨٢هـ) ، و« كتاب الرد على سير الأوزاعي » لأبي يوسف أيضاً ، و« كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى » لأبي يوسف أيضاً ، و« كتاب الأصل » « للإمام محمد بن الحسن الشيباني (المتوفى سنة ١٨٥هـ) ، و« كتاب الجامع الكبير » للإمام محمد أيضاً ، و« شرح كتاب الآثار » للإمام محمد أيضاً ، وحقَّق كتاب « مختصر الطحاوي في فقه الحنفية » في مجلد كبير ، والجزءَ الثالث من « التاريخ الكبير » للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) ، و « كتاب النفقات » لأحمد بن عمر بن مهير الشيباني المعروف بالخصَّاف (المتوفى سنة ٢٦١هـ) ، و« أصول الفقه » لمحمد بن أحمد بن سهل أبي بكر السَّرَخْسِيّ (المتوفى سنة ٤٨٣هـ) ، و« شرح الزيادات » له أيضاً ، و« مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه : أبي يوسف ، ومحمد » للحافظ أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ) ، وغير ذلك من الكتب النافعة النادرة[١] .

---

(١) انظر لترجمته الموسَّعة : «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج» للشيخ أبو غدَّة ، (ص : ١٢٥) .

دراسته الجامعية :

أولًا : دراسته في الجامعة العثمانية[1] بالهند :

وبعد التخرج من المدرسة النظامية التحق الشيخ بالجامعة العثمانية سنة ١٩٢٤م ، والتي كانت حديثةَ التأسيس حينذاك ، أنشأها آخر أمراء المملكة الآصفجاهية الأمير عثمان علي خان (المتوفى سنة ١٩٦٧م) عام ١٩١٨م ، والذي كان ممن وهبه الله حِسّاً مرهفاً وفهماً بالغاً وطبعاً سليماً ، ومن العلم والمعرفة حظاً موفوراً ، وقد كان ذا مواهب متعددة ، لم تدرك الهند مثله من بين الأمراء والحكّام المسلمين ، خاصةً بعد سقوط الإمبراطورية المغولية المسلمة ، وكان الأمير عثمان أولىٰ اهتمامه البالغ بالتربية والتعليم ، وكان شديدَ الحرص على تقدُّم الأمة في كلا المجالين ، وخيرُ دليلٍ على هذا : تأسيسه للجامعة العثمانية آنذاك ، والتي كانت أول جامعة في بلاد شبه القارة الهندية قرّرتْ أن تدرِّس جميع العلوم العصرية باللغة الأردية ، والتي كانت ـ وما زالت ـ لغةً علميةً ينطقها معظم المسلمين في تلك البلاد . كذلك عُنيت هذه الجامعةُ عناية كبيرة بنقل العلوم الحديثة وترجُمةِ الكتب المهمة في الفلسفة وعلوم الطبيعة والطِّب والسياسة والاقتصاد والتاريخ إلى الأردية ، ووضع المصطلحات العلمية فيها ، وبذلك أدَّت الجامعةُ خدمةً عظيمةً لمسلمي الهند ، والتي طالما انتظروها طويلاً .

وقد درس الشيخ حميد الله في هذه الجامعة في قسم الدراسات الإسلامية ، وحصل منها شهادة الليسانس عام ١٩٢٨م ، وكان عمره

---

(١) صورتها مُثْبَتَةٌ على غلاف الكتاب .

وقتئذ عشرين عاماً ، وفي هذا العام تُوفيت والدته ، وقد أثَّرت فيه هذه الحادثة الفاجعة أثراً بالغاً ، لكنه استمرَّ في مسيرته العلمية دُون أن يستسلم للحوادث، فسجَّل في الماجستير في الدراسات الإسلامية كذلك ، وحصل على الشهادة من تلك الجامعة عام ١٩٣٠م . ثم سجَّل في نفس هذا العام في الماجستير في القانون ، وقد حصل في هذه الدرجة العلمية مرتبة الشرف الأولى ، مما أدَّى ذلك إلى منح الجامعة له مكافأةً ماليةً ، وبعثته إلى الخارج لإعداد رسالة الماجستير حول موضوع القانون الإسلامي الدولي ، وكان هو أول طالب في جامعات شبه القارة الهندية كلها يقوم بإعداد رسالة جامعية في موضوع دقيق وحرج كهذا . وقد اختارته الجامعة أثناء إعداد الرسالة سكريتراً لهيئة القانون والحقوق في الجامعة عام ١٩٢٩م ، ثم نائباً لها عام ١٩٣٠م ، فكان هذا شرفاً عظيماً لطالبٍ لم تكن خلفيةُ دراستِه عصريةً بحتة . وقد صدرت له في هذه الفترة كتبٌ قيمةٌ ، كما نُشرت له مقالات علمية في موضوعات مختلفة في كبرى المجلات التي كانت تصدر في الهند حينئذ ، وكان من أهمِّ ما صدر له حينئذ كتابه : « نظرات في علاقة الفقه الإسلامي بالقانون الرومي » .

الشيخ مناظر أحسن الكيلاني :

وكان لبعض أساتذة هذه الجامعة فضلٌ كبيرٌ في توجيهه وإرشاده أثناء الدراسة فيها ، وكان أكثرهم فضلاً عليه وأثراً في حياته العلمية ، شخصيةُ العالم الجليل ، خبير التربية والتعليم والمرجع فيهما في عصره : العلامة مناظر أحسن الكيلاني ، والذي كان عالماً بصيراً ، ومؤرخاً بارعاً ، وأديباً عملاقاً ، وكان جامعاً بين القديم والجديد .

وُلد في قرية كيلان من أعمال مدينة بتنة في بيهار عام ١٨٩٢م ، وأخذ العلم عن عمه وغيره من شيوخ وعلماء بلده ، ثم التحق بدارالعلوم الإسلامية بديوبند ، وتخرَّج منها على كبار علمائها أمثال : المحدِّث الفقيه الشيخ محمد أنور شاه الكشميري[١] والمحدِّث الجليل الشيخ محمود الحسن الكَنْكُوهي[٢] .

(١) هو حافظُ العصر ، ومُسند الوقت ، المحدِّثُ المفسِّرُ ، الأصولي المكين ، الإمام الشيخ محمد أنْوَر شاه الحسيني ابن الشيخ محمد معظَّم شاه الكشميري ، والذي انتهت إليه رئاسةُ تدريس الحديث في الهند .
كان دقيقَ النظر في طبقات المحدثين والفقهاء ، نادرةَ عصره في قوَّة الحفظ ، وسَعَة الاطلاع على كتب المتقدِّمين ، والتضلُّع من الفقه والحديث وأصولهما والتفسير وأصوله ، والرسوخ في العلوم الإسلامية والعربية ، يسرد ما قرأه في ريعان شبابه بنصوصه دون إخلال بمعنى ، كان شغوفاً بالقراءة والاطلاع على كل جديدٍ ، شديدَ الغيرة على الإسلام ، كثيرَ الحماية لعقيدة أهل السنَّة والجماعة ، شديدَ العداء والمحاربة للقاديانية .
قرأ المختصرات على والده ثم سافر إلى (بَكْلي) وقرأ على أساتذتها ، ثم ارتحل إلى (دِيُوْبَنْد) وأكمل دراستَه على أساتذتها ، وُلِّي التدريسَ بالمدرسة الأمِيْنيَّة بدهلي ، ثم سافر إلى الحجاز للحَجِّ والزيارة ، وبعد عودته أقام بديوبند للتدريس ، ثم وُلِّي رئاسةَ التدريس بها ، ثم غادر إلى (دَابِيْل) بناءً على طلب بعض تلامذته ، وانتفعت به هذه البلادُ حتى أنهكته الأمراضُ فرجع إلى (ديوبند) وتوفي بها عام ١٣٥٢هـ .
من مؤلَّفاته : تعليقات على « فتح القدير » لابن الهمام إلى كتاب الحج ، وتعليقات على « الأشباه والنظائر » وتعليقات على « صحيح مسلم » وكتاب « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » و« إكفار الملحدين في ضروريات الدين » و« مشكلات القرآن » و« التصريح بما تواتر في نزول المسيح » وغير ذلك من المؤلفات والرسائل .

(٢) هو العالم الكبير ، العلامة المحدِّث : الشيخ محمود حسن الدِّيُوْبَنْدي ، المعروف بـ : « شيخ الهند » ، كان منقطعَ النظير في الملكة في الفقه وأصوله ، وُلد ونشأ في ديوبند ، تلقَّى دراسةَ علوم الشريعة على كبار علماء عصره أمثال الشيخ محمد قاسم النَّانُوْتَوي . وُلِّي التدريس في دار العلوم ديوبند الإسلامية . كان له دورٌ كبيرٌ في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني ، بذل في سبيل ذلك أقصى جهوده . توفي عام ١٣٢٣هـ . وكان قليلَ الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه ، له تعليقات لطيفة على « سنن أبي داود » .

وكان من الكُتَّاب المرموقين لمجلة « القاسم » الصادرة عن دارالعلوم هذه وهو شابٌ يافعٌ لم يكتمل عشرين عاماً من عمره . وقد عُيِّن أستاذاً في قسم الدراسات الإسلامية في الجامعة العثمانية عام ١٩٢٠م ، وكان من أحب الأساتذة إلى تلامذتها ، وإليه يرجع الفضل في تطوير قسم الدراسات الإسلامية في الجامعة ، والذي قطع في عهده شوطاً كبيراً من التقدم والرقي في مجالات التربية والتعليم والثقافة والمعرفة ، وقد نقل خلال فترة التدريس في هذه الجامعة عشرات الكتب القيمة من العربية إلى الأردية ، وقد استفاد من علمه الغزير وسعة اطلاعه في العلوم النقلية والعقلية مئات من رجال الطبقات المثقفة الراقية فضلاً عن طلابه في الجامعة . أُحيل إلى المعاش عام ١٩٤٩م وعاد إلى وطنه وعكف على إنجاز مشاريعه العلمية ،كان من ميزة مؤلفاته ومقالاته : أنها تشتمل على المعلومات الممتعة القيمة ، والمواد التاريخية النفيسة ، والتي تدلُّ على سعة اطلاعه على مصادر جميع العلوم والفنون ومطالعته إياها ، كما نلاحظ ذلك واضحاً في مؤلفاته .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمسقط رأسه « كيلان » عام ١٩٥٦م .

ومن مؤلفاته القيمة : « النبيّ الخاتم » ، و« الدين القيِّم » ، و« تدوين القرآن » ، و « تدوين الحديث » ، و« تدوين الفقه » ، و« النظام التعليمي والتربوي عند المسلمين في الهند » ، و « الاقتصاد الإسلامي » ، و « حياة الإمام أبي حنيفة السياسية » ، و« تفسير سورة الكهف » ، و « سيرة الصحابي الجليل أبي ذرٍّ الغفاري » ، و« المأثرة التجديدية للإمام السَّرْهِنْدي » ، و« الإمام شاه ولي الله الدِّهْلَوي » .

ثانياً : دراسته في الجامعات الأوربية :

بعثته الجامعة العثمانية عام ١٩٣٢م إلى بلاد الشرق الأوسط ليستفيد من نوادر الكتب ونفائس المخطوطات الموجودة في مكتباتها ، فزار الشيخُ الحجازَ ومصر وسورية وتركيا ، والتقى بشخصيات هذه البلاد العلمية والدينية ، وتبادل الآراء والأفكار معها ، واطلع على المخطوطات والكتب في المكتبات العامة والخاصة في تلك البلاد .

وخلال إقامته في إستنبول في هذه الرحلة ؛ وجَّه إليه المستشرق البروفيسر كَرْنِكو[1] ـ أستاذ جامعة بون في ألمانيا آنذاك ـ الدعوة إلى زيارة جامعة بون ، ومتابعة الدراسات العليا فيها ، فسافر الشيخ تلبيةً لهذه الدعوة لما رأى في الإقامة في ألمانيا من الفوائد العلمية الكثيرة ، ومنها الاستفادة من مخطوطات مكتباتها التي تملك كثيراً من نوادرها ،و فعلاً قد انكشف له فيها كثير من المخطوطات النادرة التي طالما سمع عنها من فلان وفلان ، كما توطدت صلاته العلمية أثناء إقامته في ألمانيا ببعض كبار المستشرقين . وقد حصل الشيخ شهادة (دي فل) من جامعة بون بتقديم رسالته الجامعية باللغة

---

(١) فريتس كَرْنِكو (Freitz Krenkow) ، مستشرقٌ ألمانيٌّ ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، كان يسمِّي نفسَه « سالم كرنكو » ، كان يُتقن عدةَ لغاتٍ ، منها العربية ، كان اتفق مع « دائرة المعارف » بحيدر آباد (الدكن) على أن يتولَّى تحقيق بعض المخطوطات العربية . انتدبته « جامعة عليكره الإسلامية » بالهند لتدريس العربية فيها ، فأمضى نحو سنتين ، وعاد إلى لندن فاستقرَّ في « كمبردج » إلى أن توفي عام ١٩٥٣م . قال الأستاذ كرد علي : « أحبَّ الأستاذ كرنكو العربَ والإسلام محبةً لا تُرْجى إلا من العريق فيهما ، يتعصَّب للعرب على سائر أمم الإسلام . . . » وله أكثر من عشرين كتاباً من التأليف والتحقيق . (انظر « الأعلام » للزركلي ، ٥/ ١٤٤) .

الألمانية بعنوان : Die Neutralitat im Islamischen Volkerrecht

وعيَّنته جامعةُ بون نظراً إلى قدراته العلمية العجيبة أستاذاً فيها لتدريس اللغة العربية ، كما طلبت منه هذه الجامعة أن يتولَّى الأستاذيةَ الفخرية أيضاً في قسم اللغة الأردية الذي كان أُنشىء حديثاً آنذاك . لقد غادر الشيخ ألمانيا بعد إقامته فيها مدةً لا بأس بها ، واتَّجه إلى بريطانية ليلتحق بإحدى جامعاتها للحصول على الدكتوراة ، ولكن لم تُناسِبه شروط الجامعات هناك ، ومنها أن يمكث الطالب في بريطانية ثلاث سنوات على الأقل بعد حصوله على الشهادة ؛ لذا توجَّه إلى فرنسا والتحق بجامعة السوربون عام ١٩٣٤م ، وحصل منها على الدكتوراه بتقديم رسالته العلمية القيمة باللغة الفرنسية بعنوان : La Diplomatie Musalmane d, l, epoche du Prophete de I, Islam et sees d, I, epoche Caliphs Orthodoxes

والتي طُبعت بالعربية مرّاتٍ بعنوان : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » ، تُعَدّ هذه الرسالةُ من أهمِّ أعماله العلمية وأكثرها شيوعاً ، جمع فيها الوثائقَ السياسية الخاصة بعهد الرسول ﷺ وبأيام الخلافة الراشدة ، والتي تصل إلى (٣٧٣) وثيقة .

وبعد الحصول على الشهادات الجامعية من جامعات أوربة ؛ تاقت نفسه إلى السفر إلى روسيا لتعلُّم اللغة الروسية ثم الالتحاق بجامعة موسكو ليحصل منها على الدكتوراه في العلوم الشرقية ، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية حالت دون تحقيق هذه الأمنية . فاتجه إلى المدينة المنورة ـ على صاحبها ألف ألف سلام ـ ولازم

المقرئَ المشهور الشيخ حسن بن إبراهيم الشاعر[1] ، وأسمعه القرآن الكريم بكامله ، واستجاز من الشيخ ، وكانت هذه الإجازة أحبّ إليه من جميع تلك الشهادات الجامعية التي حصلها من كبرى جامعات العالم يومئذ .

انخراطه في سلك التدريس :

عاد الشيخ حميد الله إلى مسقط رأسه « حيدرآباد » عام ١٩٣٥م ، استقبله والده وأعيان البلد ووجهاؤه استقبالاً حاراً . وعيَّنته الجامعة العثمانية أستاذاً في قسم الدراسات الإسلامية التابع لها ، كما فوَّضت إليه الجامعة التدريس في كلية الحقوق والقانون الدولي ، كذلك عيَّنته أيضاً رئيساً لها بعدُ .

وفي أثناء تدريسه في هذه الجامعة ألقى الشيخ محاضرات علمية قيمة على طلاب الدراسات العليا في موضوعات علمية دقيقة ، فكان من أشهرها ست محاضرات له ألقاها في السيرة النبوية ، كان موضوع المحاضرة الأولى : « لماذا نقرأ السيرة النبوية ؟ وكيف نستفيد منها » استعرض فيها الشيخُ حياةَ النبي ﷺ السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ، وذكر : أنه ﷺ أسوة لجميع

(١) شيخ القرّاء بالمدينة المنوَّرة ، حفظ القرآن الكريم وهو في التاسعة من عمره ، وجوَّده . وتلقَّى القراءات السبع ، ثم العشر ، ثم الأربع عشرة على مشاهير قراء جامعة الأزهر . درَّس في مختلف المعاهد والكليات في المدينة المنورة . أخذ عنه القرآنَ والقراءات ألوفُ الطلاب من مختلف البلدان الإسلامية . قضى عمرَه في المدينة المنورة بخدمة القرآن الكريم وعلومه . توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٣٩٨هـ . من مؤلفاته : « تحفة الإخوان في بيان أحكام تجويد القرآن » . (انظر لترجمته : « موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين » للأستاذ أحمد سعيد بن سالم ٢/ ٩٤) .

طبقات البشر على اختلاف صنائعهم ومهنهم وظروفهم وبيئاتهم في كل زمان ومكان ، ونصح الطلبةَ أن يطالع سيرة النبي ﷺ كفاتحٍ وقائدٍ ظفر بعدوِّه في غزوات كثيرة مثل : بدر ، وحُنين . وكملكٍ حين ملك أمرَ العرب ، وغلب على آفاقهم ، ودانَ لطاعته وجهاؤهم وعظماؤهم . وكمعلِّمٍ يعلِّم أصحابه في صحن المسجد . وكتاجرٍ حين خرج إلى بصرى وهو سيد القافلة التجارية . وكقاضٍ أو مدبِّرٍ أو حَكَمٍ قصد الكعبة قبل طلوع الشمس ليضع الحجر الأسود في محله ، وقد كاد رؤساء مكة يقتتلون . كما بيَّن الشيخ في هذه المحاضرة أن كل جانب من جوانب حياته ﷺ أسوة لنا ، ويجب علينا الاقتداء بها في أمور دنيانا وشؤون حياتنا .

والمحاضرة الثانية كانت بعنوان : « أوضاع البلاد المجاورة للحجاز قبل طلوع فجر الإسلام » .

والمحاضرة الثالثة بعنوان : « أوضاع مكة المكرمة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والجغرافية قبل الإسلام » .

والمحاضرة الرابعة بعنوان : « أحوال النبي ﷺ الشخصية التي تتعلق بأموره وشؤونه الخاصة والعامة » .

والمحاضرة الخامسة بعنوان : « الوقائع والأحداث من النبوة إلى الهجرة » .

والمحاضرة السادسة بعنوان : « الوقائع والأحداث من الهجرة إلى الوفاة » .

وقد نالت هذه المحاضرات كلها قبولاً عظيماً لدى الطلبة ، وطُبعت بعد في كتاب مستقل .

وقد ظلَّ الشيخ في حيدرآباد مشغولاً بسلك التدريس في الجامعة العثمانية ، وعاكفاً على الأعمال العلمية كالتأليف والتحقيق إلى أن سافر في وفدٍ رسميٍّ لحيدرآباد إلى هيئة الأمم المتحدة في أغسطس عام ١٩٤٨م ؛ لعرض قضية استقلال حيدرآباد (الدَّكَنْ) وعدم رغبتها لانضمامها إلى الهند التي استقلت عن الاستعمار البريطاني عام ١٩٤٧م ، وانضَّمتْ إليها جميعُ الولايات والإمارات عدا إمارة « الدكن » ، والتي بقيت وحدها مُصِرّةً على أن تكون مملكةً مستقلةً ـ كما كانت في عهد الاستعمار البريطاني ـ مع إبقاء صلة صداقة بالهند كدولة مستقلة دون الانضمام إلى الهند ، ولأجل : أنَّ إمارة حيدرآباد كانت من دول العالم الإسلامي الغنية حينئذ ، ثم لما كانت تتمتع به من موقعٍ جغرافيٍّ استراتيجيٍّ عظيمٍ ؛ ظلَّت (أي : الإمارة) في نظر الهند عائقاً كبيراً في سياستها الجديدة ، لا تتحمل وجودها بأيِّ ثمن ، فأصبحتْ مصرةً على ضمِّ هذه الإمارة إليها بإسقاطها وعزلِ ملكها للأبد . فأمر رئيس وزراء الهند آنذاك السيد جواهر لالْ نَهْرُو[1] القُوّات الهندية بمحاصرة هذه الإمارة من أطرافها وشنِّ الغارة عليها ، فنفذت القوات أوامره وهاجمتها دون منحها فرصةً للصُّلح أو الهُدْنة .

وهكذا اندرست هذه الإمارةُ الإسلاميةُ من خريطة العالم الإسلامي بعد أن حكمت زهاء قرنين ، والتي لها منةٌ عظيمةٌ على الأمة الإسلامية ، فما من مشروعٍ إسلاميٍّ في العالم الإسلامي إلا

(١) أحدُ زعماء حركة الاستقلال في الهند ، وأوَّلُ رئيس للوزراء بعد الاستقلال ، شغل المنصبَ من عام ١٩٤٧م إلى عام ١٩٦٤م ، حيث توفي فيه .

وكانت هذه الإمارةُ في مقدمة الداعمين لها مالياً ، وقد فتحتْ خزائنها لإنشاء المراكز التربوية والتعليمية في الهند كلها ، وخيرُ دليلٍ على ذلك : « الجامعة العثمانية » والتي قد تحدَّثْنا عنها في الصفحات السابقة ، كما كانت لها أيادٍ بيضاء في إحياء التراث الإسلامي وبعثِه من مدافنه ونشرِه في العالم الإسلامي من خلال « دائرة المعارف العثمانية » التي كانت تدعمها هذه الإمارةُ مالياً ، والتي أسهمت في نشر أكثر من مئتي كتابٍ قيِّمٍ من كتب الحديث ، وأسماء الرجال ، والتاريخ ، والعلوم الرياضية ، والحكمة ، والتي لم تكن تر النورَ منذ أن ألَّفها مؤلِّفوها ، وغيرُ ذلك من إسهامات هذه الإمارة في نشر العلم ، وإحياء التراث ، ودعم المشاريع الإسلامية التي لا يسع المقام هنا لذكرها ، كما هي غيرُ مخفيةٍ على دارسي التاريخ المعاصر ، والمهتمين بحاضر العالم الإسلامي .

مغادرته الهندَ وإقامته في فرنسا

لقد كان الشيخ حميد الله وقت سقوط إمارة « حيدرآباد » مقيماً في « فرنسا » ، مشغولاً بأعماله العلمية هناك ، فخبرُ سقوط الإمارة على يد القوات الهندية صرعه بصدمة عنيفة ، فما طاب له أن يرجع إلى الهند بعد ، وكان يحمل وقتئذ جواز السفر الصادر عن إمارة « الدكن » ، فآثر الإقامةَ معه في فرنسا ، فلما أرادت حكومة فرنسا أن تمنحه الجنسية ؛ اعتذر عن قبولها فأصدرت له الحكومة وثيقةً خاصةً للإقامة الدائمة فيها ، فبقي غريباً في فرنسا مع هذه الوثيقة مصداقاً للحديث النبوي : « كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »(١) .

التحق الشيخ عام ١٩٥٤م بالمعهد القومي للأبحاث العلمية ، واستمر في العمل في هذا المعهد حتى أُحيل للمعاش عام ١٩٧٤م ، فكان يحصل منحة التقاعد شهرياً ، وكانت له فيها كفاية لسدِّ حاجاته الضرورية .

ولم ينقطع الشيخ خلال هذه المدة المديدة عن خدمة الدين سواء أكان ذلك بطريق الكتابة والتأليف أو إلقاء الدروس في جوامع باريس

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، في كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا . . . » برقم (٦٤١٦) .

والمحاضرات في جامعات أوروبة ، وكان له درسٌ أسبوعيٌّ في جامع باريس الكبير ، وكان لهذا الدرس فضلٌ كبيرٌ في إصلاح شباب المسلمين في باريس .

كما كانت له دروسٌ أيضاً في بيته المتواضع في التعريف بالإسلام بأسلوبه العلمي الرزين ، وقد خصَّصها فقط لهؤلاء الذين كانوا حديثي العهد بالإسلام أوالمهتمين بدراسة الإسلام وهم على دينهم ، وقد شرح الله صدور آلاف من الأشخاص لاعتناق الإسلام على يده من خلال هذا الدروس ، وتأثروا به وبسلوكه الجميل المتواضع .

وكذلك كان له نشاطٌ فعّالٌ أيضاً في الجاليات الإسلامية المقيمة هناك ، وكان يقيم لأبنائها المخيَّمات الدعوية والإصلاحية ويلقي عليهم الكلمات التربوية والتوجيهية ، ويشارك معهم في أعمال وأنشطة المخيمات دون أن يقيم لصحته وما هو فيه من عمر الشيخوخة أيَّ اعتبارٍ لأجل ما كان يجري في دماء عروقه من حماسٍ يتدفَّق خدمةً للإسلام والمسلمين . ومما يجب ذكره : أنَّ المغاربة علماءً وطلاباً استفادوا منه كثيراً أثناء اتصالهم به أيام الطلب وبعده في باريس .

وقد تولَّى أثناءَ إقامته في باريس رئاسةَ تحرير مجلة « الإسلام في فرنسا » الفرنسية ، وكان الأمينَ العام لجمعية الصداقة الإسلامية أيضاً ، كذلك أنشأ في باريس مع صديقه الفاضل العلامة الدكتور صبحي الصالح[١] مركزاً إسلامياً لتعريف الإسلام لغير المسلمين .

---

(١) أحد أبرز رجالات الفكر والعلم في العالم الإسلامي ، من مواليد عام ١٣٤٥ في =

وقد استمرّت سلسلة خدمـاته العلمية ونشاطاته الدعوية والإصلاحية إلى عام ١٩٩٦م ، والذي غادر فيه إلى أمريكا مودِّعاً فرنسا التي قضى فيها زهاء ستين سنة ، وذلك بعد تدهور صحته بسبب ضعفه الشديد الذي كان يُعيق أعماله العلمية ونشاطاته الدعوية في باريس .

= طرابلس ـ لبنان ، جمع منذ بداية دراسته الثانوية بين العلوم الشرعية والمدنية ، ولمع نجمه وهو ابن الثانية عشرة من عمره خطيباً مفوهاً في مساجد طرابلس ، سافر إلى مصر وحصل من جامعة الأزهر الشهادة العالية سنة ١٩٤٧هـ ، وعلى الشهادة العالمية (الدكتوراة) سنة ١٩٤٩هـ ، ثم انتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، وحصل على الإجازة في الأدب العربي بامتياز سنة ١٩٥٠م . ثم التحق بجامعة السوربون ، حيث نال شهادةَ الدكتوراة في الآداب إثر أطروحتين باللغة الفرنسية ، الأولى بعنوان : « الدار الآخرة في القرآن الكريم » والثانية : « الإسلام وتحدِّيات العصر » .
وأثناء إقامته في باريس تعرَّف بالشيخ حميد الله ثم توثَّقت الصلة بينهما ، فأنشأا أولَ مركزٍ إسلاميٍّ في باريس ، وعملا في مجال الدعوة وتحقيق التراث معاً حتى عاد إلى مسقط رأسه « طرابلس » عام ١٩٥٤م . حيث تولَّى التدريس في عدة جامعات في لبنان وسورية والأردن ، وحاضر في عدد من الجامعات الأخرى .
وكان عضواً لمجامع اللغة العربية في كلٍّ من دمشق والقاهرة وبغداد . ظلَّ على امتداد أكثر من نصف قرنٍ يزوِّد كبرى المجلات الإسلامية والفكرية والأدبية بمئات البحوث والدراسات المستفيضة في كلّ شأنٍ ومجالٍ ، وأضاف إلى نتاج من سبقه من المباحث الإسلامية واللغوية ما يُثري المكتبةَ الإسلامية بالكثير من البحوث والمؤلفات ، مثل : « مباحث في علوم القرآن » ، و« علوم الحديث ومصطلحه : عرض ودراسة » و« معالم الشريعة الإسلامية » و« الإسلام ومستقبل الحضارة » و« المرأة في الإسلام » و« الإسلام والمجتمع العصري » و« النظم الإسلامية : نشأتها وتطوّرها » و« دراسات في فقه اللغة » وغير ذلك من الكتب والبحوث القيمة . وكان عُيِّن قبل استشهاده رئيساً لـ : « المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى » في لبنان .
اغتيل بإطلاق الرصاص عليه أيام الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) .
وكان لوفاته أثرٌ عميقٌ على الشيخ حميد الله ؛ إذ كان ـ رحمه الله تعالى ـ صديقَه الحميم منذ أن تعرَّف به عام ١٩٥١م في باريس إلى أن استشهد .

محاضراته في الجامعات الشهيرة في الغرب وفي العالم الإسلامي

كانت شخصية الشيخ حميد الله مقبولةً جداً في المراكز العلمية والجامعات الكبيرة في أوروبة ، وذلك بسبب موسوعيته في العلوم الإسلامية والدراسات الشرقية ، ثم بسبب أعماله العلمية التي كانت في قمة الدقة العلمية والتحقيق الفائق ، لذا كانت جامعات باريس وجامعات ألمانيا ، وبخاصة جامعة بون حريصةً كل الحرص على الاستفادة منه ، فكانت تدعوه لإلقاء المحاضرات فيها بين الفترة والأخرى ، وقد حاولتُ جاهداً أن أطلع على بعض محاضراته التي ألقاها الشيخ في تلك الجامعات ، ولكني للأسف . . . لم أظفر منها بشيء .

- لقد وجَّه إليه الدكتور زكي وليدي طوغان[1] دعوةً

---

(١) مؤرخٌ كبيرٌ مختصٌّ بتاريخ الترك ، ومفكِّرٌ ذو أيديولوجية قوميةٍ تركيةٍ . من مواليد عام ١٨٩٠م في قرية باشكورستان . عاش في تركيا مدرِّساً في مدارسها في مدنها المختلفة ، ثم أستاذاً في جامعة إستنبول . حصل على دكتوراة دولة في عام ١٩٣٥م وأصبح أستاذاً في جامعة بون ما بين عام ١٩٣٥ و١٩٣٧م . وعُيِّن المنظِّمَ لمعهد الدراسات الإسلامية في جامعة إستنبول عام ١٩٥٣م ، وحصل على شهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة مانشستر ببريطانية عام ١٩٦٧م . وقد ساهم في تحرير « موسوعة الشعوب التركية » ، وكتب مئات من المقالات عن الثقافة واللغة والتاريخ للشعوب التركية ، والتي تُرجمت إلى لغات عديدة . وقد توثَّقت صلته بالشيخ حميد الله خلال=

لزيارة جامعة إستنبول كأستاد زائر ، والذي كان شديدَ الإعجاب بشخصيته العلمية ، وكان الحضور في تلك المحاضرات من العلماء الكبار وأعيان المدينة ، وكانت تغصُّ بهم القاعة وتضيق ، حتى أصبح لتلك المحاضرات دويٌّ في جميع الحلقات الدينية والأوساط العلميـة في تركيا حسب ما أخبرني بعض أصدقائي الفضلاء الأتراك ، وكـان الشيـخ يلقـي المحـاضـرات تـارةً بـاللغـة العـربيـة وأخرى بالإنكليزية ، وحيناً بالفرنسية وآخر بالألمانيـة ، وكان يتـولَّى مهمةَ الترجمة كبارُ العلماء والأساتذة الفضلاء أمثـال : الأستـاذ فـؤاد سـزكيـن[1] والـدكتـور صـالـح

= زيارته له في ألمانيا ، وذلك أيام دراسة الشيخ في جامعة بون . توفي سنة ١٩٧٠م .

(١) أحد كبار الباحثين الإسلاميين الأتراك ، من مواليد عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) ، التحق بالجامعة بعد إكمال المرحلة الثانوية عام ١٩٤٢م ، وحصل على درجة الماجستير في قسم الشرقيات والرياضيات والدراسات الرومانية عام ١٩٤٧م ، وحصل على درجة الدكتوراة في العلوم الإسلامية والدراسات الإيرانية وفي الفلسفة عام ١٩٥٠م .
عمل معيداً في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة إستنبول ثم أستاذاً بها . قام بالتدريس في معهد اللغات السامية في ماريورن بألمانيا الغربية لمدة سنتين . حصل على درجة الأستاذية من معهد العلوم الطبيعية في فرانكفورت . كما أنه عُيّن أستاذاً لتاريخ العلوم الطبيعية بتدريس العلوم الطبيعية في معهد تاريخ العلوم في فرانكفورت .
وله خدمات علمية جليلة من التأليف والتحقيق ، منها : في التحقيق : « تاريخ البلاغة العربية (مجاز القرآن) » لأبي عبيدة معمر ابن المثنَّى ، وفي التأليف : « تاريخ التراث العربي الإسلامي » (وهو مترجم إلى العربية) ، و« دراسات حول مصادر الجامع الصحيح للبخاري » و« تاريخ التراث العربي » وهو كتابٌ موسوعيٌّ عظيمٌ أرّخ فيه للعلوم والفنون العربية والإسلامية ، مستدركاً على ما فات المستشرقَ بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي ». حاز جائزةَ الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
وهو ممن لازموا الشيخَ حميد الله أثناء زياراته لتركيا كأستاذٍ زائرٍ في جامعاتها ، وخصّوه=

طوغ[1] والدكتور يوسف ضياء قاوقجي[2] وغيرهم ، وقد ظلَّ الشيخ يُدعى إلى هذه الجامعة لمدة خمسة وعشرين عاماً ، وكان يقضي في تركيا ثلاثة أشهر من كل سنة ، والشهور المتبقية كان يقضيها في باريس .

أما موضوعات المحاضرات التي ألقاها الشيخ فلم أطلع عليها غير اثنين ، أولهما : « تاريخ الدستور عند المسلمين » ، والثاني : « أديان العالم ومقارنتها على حِدَة مع الإسلام » .

لقد استفاد منه وتتلمذ عليه خلال هذه المدة المديدة آلافُ من الطلبة ، وقد شغل عدد كبير منهم أعلى الوظائف والمناصب في الحكومة ، وكان من أحب التلامذة الأتراك إليه : الدكتور صالح طوغ ، والدكتور يوسف ضياء قاوقجي ، والمؤلف الكبير الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين ، والدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو[3] ، والذي يشغل

= بالاستفادة منه .

(١) أحد كبار الخبراء في الاقتصاد الإسلامي . قام بإعداد رسالته للدكتوراه بإشراف الشيخ حميد الله ، بعنوان : « نظام الاقتصاد الإسلامي في العهد النبوي والصحابة » . عمل مديراً لقسم الإلٰهيات في جامعة مرمارا . وهو عضوٌ لمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجُدَّة .

(٢) أحد الدعاة النشطاء اليوم في أمريكا ، لازمَ الشيخَ حميد الله في تركيا وفي أمريكا ، واستفاد منه كثيراً .

(٣) أحدُ أبرز مثقِّفي العالم الإسلامي المعاصر ، ومن رجال المواريث العثمانية الإسلامية بتركيا ، اشتهر في الفترة الأخيرة من خلال منظَّمته الثقافية الشهيرة . وهو ابنُ الشيخ إحسان أوغلو ، والذي كان مساعداً لآخر شيوخ الإسلام في الخلافة العثمانية العلامة مصطفى صبري . =

هذه الأيام منصبَ الأمين العام لمنظَّمة المؤتمر الإسلامي (OIC) .

ـ في عام ١٩٧٤م دعته الجامعة الوطنية بماليزيا كأستاذ زائر لإلقاء المحاضرات في قسم الأديان ، وأقام الشيخ فيها نحو سنة . ثم تكرّرت زياراته لها حيناً بدعوة الجامعة الإسلامية العالمية ، وآخر بدعوة من الجامعة الوطنية .

ـ سافر إلى السعودية عام ١٩٧٤م على دعوةٍ من بعض جامعاتها لإلقاء المحاضرات فيها ، وقد أتاح له هذا السفر زيارة ودراسة جميع الآثار الإسلامية المنتشرة في مناطق

= ولد الأستاذ أكمل الدين إحسان أوغلو في القاهرة في أواسط الأربعينات ، عمل في دار الكتب المصرية ، وتخرَّج في جامعة القاهرة من قسم الفيزياء ، ثم عُني عنايةً بالغةً بتاريخ العلوم العربية ، وعاد إلى تركيا في عام ١٩٧٧م واستقرَّ فيها . وبسبب صلاته الوطيدة بالهيئات الثقافية العربية والمستجدة بالأوساط العلمية بأنقرة وإستنبول ؛ عُهد إليه بإنشاء وإدارة مركز التاريخ والفنون والآثار في بعض قاعات قصر يلدز بإستنبول ، وهنا توثَّقت صلاته بكل المهتمين بتاريخ العلوم والفنون الإسلامية وغيرها .

ولا يمكن لأيٍّ باحثٍ في المأثورات الإسلامية التركية أن يشتغل من دون أن يتعرَّف على جهود هذا الرجل الذي كان وراء رفع اسم منظَّمته الرسمية وهي وقفية تركية معاصرة ، وقد نجح في ربطها بأكثر من جهةٍ في العالم الإسلامي ، وبنى لها علاقات متنوعة ووشيجة مع العديد من المنظَّمات في العالم الإسلامي ، وأبرزها : « منظَّمة المؤتمر الإسلامي » ، و« منظَّمة الإسيسكو » وغيرها من المؤسَّسات والمراكز والجامعات .

وهو ليس مفكِّراً ومؤرِّخاً فحسب ، بل هو إداريٌّ قديرٌ ، ورجلُ علاقاتٍ من الطراز الأول ، مما استحقَّ بجدارة ذلك كله أن يتولَّى الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي (OIC) منذ سنوات .

كان على صلةٍ وطيدةٍ بالشيخ حميد الله ، وقد استفاد من الشيخ أثناء زياراته المتعدِّدة لتركيا .

المملكة ، وكان يرافقه فيها كبار رجال العلم والمتخصصين في التاريخ والآثار .

- زار باكستان عام ١٩٨٠م تلبيةً لدعوةٍ رسميةٍ خاصةٍ من رئيس الجمهورية الشهيد محمد ضياء الحق[١] ، وأثناء إقامته في باكستان رغبت منه الجامعة الإسلامية ببهاولبور لإلقاء المحاضرات العلمية على طلابها ، وقبل الشيخ هذه الدعوةَ المخلصة رغم تدهور صحته وكثرة مشاغله ، فبدأ سلسلة محاضراته في ٨/ مارس ، والتي استمرت اثنا عشر يوماً ، كان يلقيها مرتجلاً دون تحضير سابق ما بين صلاة العصر والمغرب في موضوعات متنوعة في أسلوبٍ علميٍّ راقٍ مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الفقهاء والعلماء ، وكان جلّ اعتماده في ذلك على ذاكرته القوية ومطالعته الواسعة فقط .

وكانت هذه المحاضرات تُبَثّ مباشرةً من إذاعة باكستان الرسمية ، ويحضرها كبار الشخصيات من الوزراء

---

(١) لواءٌ باكستانيٌّ ، وزعيمٌ سياسيٌّ كبيرٌ ، ورئيس جمهورية باكستان الإسلامية منذ عام ١٩٧٧م وحتى وفاته . من مواليد عام ١٩٢٤م . رُقِّي إلى رتبة الجيش الباكستاني في عام ١٩٧٢م ، عيَّنه ذو الفقار علي بوتو (رئيس الجمهورية حينئذ) رئيساً لأركان الجيش عام ١٩٧٦م ، ثم أطاح به ضياءُ الحقّ أعقاب القلاقل السياسية عام ١٩٧٧م ، وأصبح رئيساً للجمهورية ، وصدَّر الحكمَ بإعدام بوتو في عام ١٩٧٩م ، وحَسَّن وضعَ البلاد السياسي والاقتصادي إلى حدٍّ كبير ، وكان على صلةٍ وثيقةٍ بكبار علماء العالم الإسلامي ، أمثال : الإمام أبي الحسن علي الندوي ، والشيخ محمد حميد الله ، والقاضي الشيخ محمد تقي العثماني وغيرهم ، وكان يستشيرهم قبل اتخاذ أيّ قرارٍ رسميٍّ .
توفي إثر حادثٍ مدبَّرٍ في عام ١٩٨٨م .

والدبلوماسيين والعلماء وأساتذة الجامعات فضلاً عن طلابها الذين كانت تكتظُّ بهم القاعةُ . وكانت أسئلة الحضور حول موضوع المحاضرة تلي فور ختامها .

وقد طُبعت هذه المحاضرات كلها في كتابٍ مستقلٍّ ، والذي قُوبل بعد في جميع الطبقات المثقفة والأوساط الدينية والعلمية بحفاوة بالغة وقبول عظيم ، ونُقل إلى الإنكليزية بعنوان : « The Emergence of Islam » .

رحـــلاته

لقد عاش الشيخ حميد الله حياته كلَّها بعد مغادرة وطنه « حيدرآباد » في سفرٍ متواصلٍ دائمٍ ، وكان يرحل إلى كلِّ بقعةٍ من بُقاع العالم سوى الإمارة الآصفية (الدكن) لأجل أنها محتلَّةٌ ومغتصبةٌ من المسلمين خداعاً ، وكان يُبدي هذا الرأيَ لكلِّ من يزوره أويلقاه ، ويعبِّر عن ألمه الشديد على ما آل إليه حالها بعد سقوطها ، واحتلال غير المسلمين على مراكزها العلمية التي كانت رمزاً لمجد المسلمين وعزِّهم في عهد تلك الإمارة ، لذا لم يرحل إليها قطُّ حتى وفاته .

وكان على علاقةٍ جيدةٍ برجالات الدعوة والإصلاح وأساطين العلم والأدب في العالم الإسلامي والعربي ، كما كانت له صلةٌ وثيقةٌ بالجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية في البلاد الإسلامية والعربية ، يزورها بين الحين والآخر بناءً على دعوةٍ منها بصفة أستاذٍ زائرٍ ، أو بصفة ضيفِ شرفٍ في المناسبات العديدة .

وكان كثيرَ التنقُّلِ بين فرنسا وتركيا وماليزيا وباكستان بصفة محاضرٍ في جامعات هذه البلاد ومؤسَّساتها الثقافية ، كما كان يتنقَّل في أنحاء أوروبة كلها مشاركاً في المؤتمرات الدينية والندوات العلمية والثقافية والفكرية ، معرِّفاً بالإسلام ، ومعمِّقاً لمفهومه ، وداعياً إليه بالحكمة والموعظة الحسنة بأسلوبٍ عصريٍّ متطوّرٍ جاذباً من خلاله كثيراً من أبناء الغرب إلى دين الإسلام .

تكريمه وتقديره

ـ لقد تواجدت باكستان على خريطة العالم الإسلامي كجمهورية إسلامية في عام ١٩٤٧م ، فكانت من متطلَّباتها الأساسية على الفور وضعُ دستورٍ إسلاميٍّ تحكم به البلاد ، فشكَّل العلماء ورجال القانون لجنةً مؤلفةً من كبار العلماء والقانونيين من كلٍّ من باكستان والهند برئاسة العلامة سيد سليمان الندوي[١] لمناقشة الموضوع ، فكان الشيخ حميد الله من رؤوس أعضاء هذه اللجنة ، والذي دُعي خاصةً للمشاركة فيها عام ١٩٤٨م، وساهم مع العلامة سيد سليمان الندوي والمفتي الشيخ محمد شفيع العثماني[٢] والشيخ مناظر أحسن

(١) هو العلامة الكبير الشيخ السيد سليمان الندوي ، من كبار المؤلِّفين في « السيرة النبوية » . دَرَسَ في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ على كبار أساتذتها ، ثم قام بالتدريس فيها ، وتخرَّجَ على يديه نخبةٌ طيبةٌ من العلماء والمفكِّرين ، والكتّاب ، والمُصلحين ، أمثال العلامة أبي الحسن الندوي ، والأستاذ مسعود الندوي وغيرهما . انتقل إلى باكستان في أواخر عمره ، وشارَكَ في وضع الدستور الإسلامي للحكومة الوليدة ، وأشرف على جامعاتها ، ومعاهدها التعليمية ، دام على نشاطاته العلمية إلى أن استأثرت به رحمةُ الله تعالى عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) . وله كتبٌ قيمةٌ بالعربية والأردية في السيرة والتاريخ .

(٢) هو العلامة المفسِّر ، المحدث الفقيه ، العالم البصير : الشيخ محمد شفيع بن محمد ياسين العثماني . تلقَّى العلومَ في مدرسة دِيُوْبَنْد ، واشتغل بالفتوى في هذه المدرسة من ١٣٥٠ إلى ١٣٦٢هـ ، وكتب في هذه المدة أربعين ألف فتوى ، وقد طُبع منها عدد=

الكيلاني[1] وغيرهم في إعداد وثيقة باسم « الأصول الأساسية لإدارة الجمهورية الإسلامية » ، وللمساهمة في وضع خطة التعليم والتربية في باكستان ، لكنه لم يمكث في باكستان أكثر من أيام قلائل لما شعر بفراسته الإيمانية بأنهم مهما أخلصوا لصالح هذه الجمهورية الوليدة في وضع القوانين وخطط برامج التعليم والتربية لها ؛ لا يُوَفَّقُون في تنفيذ أيِّ قرارٍ ما دام اتجاهُ ولاة الأمور غيرَ دينيٍّ ، لذا عاد إلى فرنسا ، لكنه بقي على صلة باللجنة ورئيسها العلامة سيد سليمان الندوي .

= قليل في مجلَّد ضخم يقارب ألف صفحة باسم « إمداد المفتين » .
أدَّى الشيخ دوراً بارزاً في طرد الاستعمار البريطاني من شبه القارة الهندية ، وبالتَّالي تأسيس دولة إسلامية وهي (باكستان) في المناطق ذات الأغلبية المسلمة إلى أن حقَّق الله أمنيتَه سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م) حيث برزت دولة باكستان الإسلامية على خريطة العالم ، فهاجر إليها وجعل وضعَ دستور إسلامي للدولة نُصْبَ عينيه ؛ فبذل ليله ونهاره في تحقيق هذا الغرض مع إخوانه العلماء ، فكثَّفوا جهودهم ، ووحَّدوا كلمتهم ، وشدَّدوا ضغوطهم بكل حكمةٍ وبصيرةٍ على الحكومة التي كانت تحاول أن تضع دستوراً شبهَ علمانيٍّ ، حتى نجحوا بوضع خطوط عريضة للدستور الأساسي في البلاد باسم « القرار الأساسي » للدولة ، وهذا القرارُ يحول دون النفوذ العلماني الدستوري في البلاد ، واليوم قد ضمَّ القرار المذكور إلى دستور باكستان كجزءٍ مهمٍّ منه ، والفضل يرجع بعد الله إلى جهود الشيخ محمد شفيع وأصحابه من العلماء .
أنشأ الشيخ مركزاً تعليمياً في مدينة كراتشي باسم « دار العلوم ـ كراتشي » ، والذي يُعَدُّ اليوم أكبرَ مركزٍ علميٍّ في منطقة جنوب آسية ، توفي عام ١٣٩٦هـ .
خلَّف ـ رحمه الله ـ آثاراً علمية كثيرة تُرشد المسلمين في كل مجال من مجالات الحياة إلى خير ، من أشهرها تفسيره للقرآن الكريم بالأردوية باسم : « معارف القرآن » ؛ والذي قد تُرجم أخيراً إلى الإنكليزية . (انظر : « محمد تقي العثماني : للأستاذ لقمان الحكيم » ص : ١٨ ـ ١٩) .

(١) قد سبقت ترجمته في صفحة (٤١) .

- أراد الجنرال أيوب خان[1] رئيس جمهورية باكستان وقتئذ ، أن يوجِّه إليه دعوةً رسميةً لزيارة باكستان لتستفيد الحكومة من خبراته العلمية لا سيما في القانون الإسلامي والدولي ، وذلك بتعيينه في منصب حكومي مهمّ ، فأرسل وفداً مؤلَّفاً من كبار الشخصيات برئاسة قاضي القضاة السيد جاويد إقبال (نجل شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال) لإقناعه لقبول ذاك المنصب ، لكنه اعتذر عن زيارة باكستان وقبول المنصب المعروض عليه لأسباب شخصية .

- دعاه الرئيس الشهيد الجنرال محمد ضياء الحق لزيارة باكستان الرسمية عام ١٩٨٠م ، والذي كان شديدَ الإعجاب بشخصية الشيخ العلمية وبخدماته العظيمة في نشر الإسلام في الغرب ، والشيخُ أيضاً كان كثيرَ التقدير لشخصية الرئيس ضياء الحق الغيورة على الإسلام ، وكان يراه جديراً ببقائه في مركزه الرئيسي القيادي ليتمّ بواسطته تطبيقُ النظام الإسلامي الحكومي ، وتنفيذُ القانون الإسلامي ، والمحافظةُ على سلامة البلاد وكرامتها ،

---

(١) زعيمٌ سياسيٌّ كبيرٌ ، من مواليد عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) ، كان من أوائل خرِّيجي جامعة عليكره الإسلامية في الهند ، تدرَّب في الأكاديمية العسكرية الملكية البريطانية ، شهد خدمةً ميدانيةً في بورما أثناء الحرب العالمية الثانية ، اختير القائد الأعلى لجيش باكستان ، أصبح في عام ١٩٥٨ رئيساً لباكستان ، وعمل على تحسين التنمية الاقتصادية في البلاد ، وأصبح ذا شعبية كبيرة نتيجةً للحرب مع الهند بسبب الخلاف حول كشمير ، أرغم على الاستقالة في عام ١٩٦٩م بسبب الأوضاع السياسية والاختلافات الداخلية المتوترة وقتئذ ، توفي عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

وضربُ المثل العملي المثالي لقادة الأقطار الإسلامية وحكامها . لذا لم يتردد الشيخ في قبول دعوة الرئيس الرسمية لزيارة باكستان حين وجَّهها إليه ، فزارها وأقام فيهـا عدة أيام ، وألقى خلال إقامته فيهـا محـاضرات قيمة في الجامعة الإسلامية ببهاولبور ، والتي اشتهرت بـ : « خطبات بهاولبور » وقد سبق الحديث عنها آنفاً .

- بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري أرادت حكومة باكستان أن تكرِّمه بمنح جائزة الدولة التقديرية اعترافاً بخدماته الجليلة في مجال الدعوة والعمل العلمي ، لكنه تردَّد في قبوله في بداية الأمر ، فلما أصرَّ الرئيس الشهيد ضياء الحق على قبوله ؛ اقتنع به بشرط أن تتبرع لجنة الجائزة بجميع مبلغ الجائزة للجامعة الإسلامية بإسلام آباد ، والذي كان مقداره مليون روبية .

- استحقَّ جديراً لخدماته الجليلة في نشر الإسلام ولتحقيقاته القيمة في الحديث والسيرة بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، لكنه اعتذر عن قبولها قبل أن يُعلَن بالترشُّح لها رسمياً من قبل لجنة الجائزة ، مع احترامه لمشاعر من رشَّحوه لها زهداً منه في الشهرة والظهور والذكر الزائد .

- قـابلـه رئيس وزراء بـاكستـان السـابـق السيـد نـواز شريف[١] مقابلةً شخصيةً خاصةً في باريس عام١٩٩٤م ،

---

(١) أحدُ كبار الزعماء السياسيين في باكستان . من مواليد عام ١٩٤٩م . ينتمي إلى أسرةٍ=

حين كان هو في زيارة رسمية لفرنسا ، جلس الرئيسُ طويلاً يتبادل الحديث معه ، ويستشيره في الأمور المتعلقة بتنفيذ الشريعة في باكستان ، وكان لحديثه مع الرئيس أثرٌ عميقٌ في نفسه .

ـ أُقيمت مراسم تكريمه في باريس في قاعة « اديار » للمؤتمرات عام ٢٠٠٠م تحت عنوان : « تراث الإسلام في الغرب » . وكان هدف هذه المراسم تعريفَ الغرب بهذه الشخصية الإسلامية العظيمة .

= ثريةٍ . تخرَّج من جامعة البنجاب حاملاً شهادةَ اللِّيسانس في الحقوق . عُيِّن عضواً في مجلس البنجاب الإقليمي فترةً من الوقت ، ثم انضمَّ إلى مجلس وزراء البنجاب حيث عمل وزيراً للمالية عام ١٩٨١م ، وتقلَّد أيضاً منصبَ وزير الرياضة . فاز بأغلبيةٍ ساحقةٍ في انتخابات المجلس الإقليمي عام ١٩٨٥م ، وأصبح كبيرَ وزراء ولاية البنجاب . أصبح رئيسَ وزراء البلاد في عام ١٩٩٠م ، وخلال فترة حُكمه بذل جهوداً لتشجيع القطاع الصناعي بمساعدة القطاع الخاص ، وعمل على تقوية العلاقات مع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى . أطيح بحكومته في انقلابٍ عسكريٍّ في عام ١٩٩٩م ، وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة ، ثم نفي إلى السعودية حيث عاش قرابة ستَّ سنواتٍ ، ثم عاد إلى بلاده في عام ٢٠٠٧م ، ليُشارك في الانتخابات العامة . عُرف طيلة فترة حُكمه بحسن علاقاته بالعلماء ، وتكريمه لهم .

صفاته الخُلُقِيّة والخِلْقِيّة

شكله ومظهره :

كان صبوحَ الوجه ، جميل الصورة ، حسن الهيئة ، خفيف اللحية ، ممشوق القامة ، نحيف البدن ، وقوراً ، مهيب الطلعة ، بشوشاً ، ودوداً ، أنيقاً في مظهره ولباسه ، دائم النشاط ، يتخفَّف في ثيابه وطعامه وفراشه ، قليلَ النوم ، وكثيرَ القيام في الليل ، شديد التألُّم للمظاهر الكاذبة ، وكثير الكراهة للتكلف والتصنع والمجاملات الزائدة .

إحساسه المرهف :

كان سخيَّ الدمعة ، سريع التأثر ، جريح المُقْلَةِ ، تفيض عيناه بالدمع إذا قرأ شيئاً من سيرة النبي ﷺ ، أو سمع قصيدةً في مدح النبي ﷺ ، وقد ذكر لي أحد معارفه : أنه لما سمع من الشاعر الهندوسي الكبير « جَكَنْ ناته آزاد »[1] مدائح نبوية شريفة من

(١) من كبار شعراء الأردية ، ومن المُعْجبين بالإسلام أشدَّ الإعجاب . فُتِنَ بشعر محمد إقبال منذ صغره ، حتى إنه حفظ جميعَ دواوينه الشعرية بالأردية والفارسية مما جعله مرجعاً ثرّاً في الدراسات حول محمد إقبال . شغل مناصبَ دبلوماسيةً عديدةً إلى جانب ممارسته تدريسَ الأدب الإنكليزي في كبرى جامعات الهند ، استقرَّ في آخر عمره في كشمير ، حيث توفي في عام ٢٠٠٤م ، وله دواوين شعرية بالأردية .

شعره ؛ فاضت عيناه بالدمع ، وبادر إلى ترجمتها باللغة الفرنسية .

ومما يجدر بالذكر هنا أيضاً : أنه حين زار دارَ المصنِّفين[١] للقاء العلامة سيد سليمان الندوي[٢] ، دخلها وهو حافي القدمين ، فلما سُئل عن سبب ذلك قال : ما طاب لي أن أدخل هذه الدارَ التي تمَّ فيها تأليفُ كتابٍ عظيمٍ في السيرة النبوية[٣] ـ على صاحبها ألف ألف سلام ـ منتعلاً .

أخلاقه وتواضعه :

كان مصداقاً في التواضع للأثر الشريف : « مَن تواضع لله ؛ رفعه »[٤] ، وقد عُرف في حياته كلها بالتواضع ولين الجانب مع الناس جميعاً ، وكان كثير الكراهة للتشيخ والاستعلاء على معارفه

---

(١) وهي من المؤسَّسات العلمية الكبيرة في الهند ، تأسَّست في عام ١٩١٤م على يد بعض العلماء المتخرِّجين في دار العلوم لندوة العلماء . قامت هذه المؤسسة بنشر كتبٍ قيمةٍ في الفقه والقضاء والتفسير ، والسيرة والتاريخ والأدب ، كما قامت بترجمة أهمِّ مؤلفات المفكِّرين الغربيين ، وذلك لإيقاظ أفكار العلماء من كُتّاب الأردوية وتعريفهم بالفكر الغربي ، حتى يكونوا على درايةٍ بما يدور في الجانب الآخر من العالم . تُصدر هذه المؤسسةُ مجلَّةً علميةً شهريةً بعنوان « معارف » والتي يكتب فيها كبارُ كُتّاب الأردوية ، وكان الشيخ حميد الله ممن يُكثر الكتابةَ فيها .

(٢) وهو من كبار المؤلِّفين للسيرة النبوية ، سبقت ترجمته في حاشية صفحة (٦٣) ، وقد ألّف فيها كتاباً ضخماً أيام إدارته لهذه المؤسَّسة .

(٣) وهو كتابٌ عظيمٌ ضخمٌ في السيرة النبوية ، ليس له نظيرٌ في أيّ لغةٍ من لغات العالم الإسلامي . بدأ بتأليفه العلامة المؤرخ الشيخ محمد شبلي النعماني (المتوفى سنة ١٣٣٢هـ) ، وأكمل جزأين منه ؛ إذ عاجلتْه منيتُه ، فعُني بتأليف الأجزاء التالية تلميذه العلامة سيد سليمان الندوي حتى أكمله في سبع مجلَّدات ضخمة . وقد محَّض المؤلِّفان في هذا الكتاب السيرةَ النبويةَ عن الروايات الزائفة ، وسدَّا فراغاً كبيراً في فضح دخيلة المستشرقين والردّ عليهم .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٧/ ١٢٠) برقم : (٣٤٦٦٣) عن جرير بن عبد الله بن جابر ، رضي الله عنه .

ومحبيه ، ولم يكن يسمح لأحد أن يكتب عنه شيئاً ، وكما لا يَسُرُّه إذا كُتب عنه شيء ، وكان يحب أن يعيش بعيداً عن الأضواء .

كما كان قدوةً يُحتذى به في حُسن السلوك ودماثة الخلق ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، يقول الأستاذ خورشيد أحمد[1] الذي شارك مع الشيخ ذات مرة في إحدى المخيَّمات الإسلامية والتربوية التي أقامها هو في فرنسا لمدة خمسة أيام تحت إشراف منظَّمة اتحاد الطلاب المسلمين ، فرآه الأستاذ خورشيد : أنه يلقي المحاضرات كداعيةٍ حكيمٍ ومربٍّ كبيرٍ ، ولكن بعد الطعام يغسل آنيته وصحونه بيده كأيِّ طالبٍ أو شابٍّ مشاركٍ في المخيَّم ، وينام على الأرض كما ينام الطلاب المشاركون ، ولا يدع أحداً أن يخدمه أو يساعده في مثل تلك الأعمال الخاصة ، وكان يترجم كلمات الأستاذ خورشيد

---

(١) مفكِّرٌ إسلاميٌّ ، وكاتبٌ شهيرٌ بالأردوية ، وأحد كبار الخبراء في الاقتصاد الإسلامي ، من مواليد ١٣٥٠هـ ، و(١٩٣٢م) في الهند . تخرَّج في كلية الحقوق ، ثم حصل على شهادتي ماجستير إحداهما في الحقوق ، والأخرى في الدراسات الإسلامية .
له تحرُّكٌ دائمٌ في مختلف مناطق العالم ؛ داعياً ومحاضراً ، ومناظراً في المراكز الإسلامية ، وبين الأقليات والجاليات الإسلامية . يُعَدّ من أفضل المحاضرين الإسلاميين بالإنجليزية عن الإسلام . شارك في عدد كبير من الندوات في أمريكة وأوروبة . وهو الآن نائب رئيس الجماعة الإسلامية في باكستان ، ورئيس مؤسسة الدراسات السياسية والمؤسسات العالمية للدراسات الإسلامية الاقتصادية في باكستان ، ورئيسٌ للمؤسسة الإسلامية في ليستر ببريطانية ، كذلك هو عضوٌ للمجلس الإسلامي الأوروبي .
ألَّف ونشر بالإنجليزية ما يزيد على ثلاثين كتاباً ، وبالأردية على عشرين كتاباً ، وقد تناولت كتبه موضوعاتٍ إسلامية متنوّعة ، كما تتميز كتاباته ومحاضراته بأسلوبها المحبّب النَّفَّاذ إلى قلوب قرّائه ومستمعيه على اختلاف أنواعهم . وكان على صلةٍ جيدةٍ بالشيخ حميد الله ، وكتب إثر وفاته مقالاً نفيساً عنه . وقد حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) .

لطلاب المخيَّم إلى الفرنسية رغم كبرِ سنه ورفعة مستواه[١] .

زهدُه ووَرَعُه :

وكان من أزهد الناس في الدنيا ، لم يكن يهمه العيش الرغيد ، غادر وطنه المألوف « حيدرآباد » (الدكن) بعد الاحتلال الهندي له مغادرةً لم تنته حتى وفاته ، ولم يحصل كذلك على جنسيةٍ لبلدٍ آخر رغم إصرار بعض البلاد الإسلامية على منحها له ، فآثر أن يعيش في فرنسا كلاجىءٍ ، وقد قضى معظم حياته في باريس في شقة صغيرة متواضعة استأجرها منذ أن قدمها عام ١٩٤٨م ، والتي كانت تقع في الدور الرابع في إحدى العمارات القديمة في أحد أحياءٍ واقعةٍ في وسط المدينة ، حيث لم يتوفَّر في تلك الشقة الأثاث الفاخر ، ولا أسباب الرفاه والترف ، تتراكم فيها الكتب : المطبوعة والمخطوطة على مدّ البصر .

وقد زاره في هذه الشُّقَّة المتواضعة كبارُ العلماء والدعاة ، وأساطينُ العلم والأدب ، ورجالُ السياسة والقيادة من مختلف بلدان العالم الإسلامي ، ولو بدأتُ أذكر واحداً واحداً من هؤلاء ؛ أخشى أن يفوتني الكثير من أسماء تلك الشخصيات الإسلامية البارزة التي زارته ، لذا أكفُّ عن سوق تلك الأسماء مكتفياً فقط بالحديث عن زيارة العلاَّمة المحدِّث ، الفقيه الأصولي ، الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة[٢] للشيخ حميد الله في هذه الشقة ، والتي أخبرني عنها أحدُ

---

(١) انظر مجلة « ترجمان القرآن » المجلد (١٣٠) ، عدد يناير ، عام ٢٠٠٣م ، ص : ٨٨ .

(٢) سبقت ترجمته في حاشية صفحة (٣٨) .

الأخوة الجزائريين نقلاً عن صديقه الأستاذ الطبيب فؤاد العريس : أنه أثناء صحبته للشيخ أبو غُدَّة في باريس ؛ طلب منه الشيخُ معرفةَ مكان إقامة الشيخ حميد الله ، الذي يَعرف عنه : أنه مقيمٌ في باريس ، وبعد لأيٍ ومشقَّةٍ وطولِ سؤالٍ اهتدَى الشيخُ أبو غُدَّة ومَن معه مِن الشبابِ إلى منزلِ الشيخ حميد الله الذي يُؤْثِر العُزْلَةَ ، ويُقيم مع كتبه للبحث العلمي في منزلٍ متواضعٍ جداً على سطح مبنى قديم رقم (٦) في شارع لوكسمور في باريس ، فصعِدوا إليه فإذا به يعيش حياةَ زُهدٍ وتَقَشُّفٍ يشغل وقتَه في العلم والعبادة ، ولُوحظ : أن سَمْعَ الشيخ حميد الله ضعيفٌ جداً ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ الشيخ أبا غُدَّة يُعاني من ضَعْفِ بصره ، فصارا يتخاطبان بصعوبةٍ ويستعين الشيخُ حميد الله بالإشارات . وما تكبَّد الشيخُ أبو غُدَّة ـ رحمه الله تعالى ـ هذه المشقات وألحَّ على السؤال عن مكان إقامة الشيخ حميد الله إلا ليشكره على خدمةٍ أسداها إليه قبل أكثر من عشر سنوات تتعلَّق بمخطوطة الكتاب « الموقظة » للإمام الذهبي ، رحمه الله تعالى ، حيث يقول عن نسخة الكتاب الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس ما يلي : « وكنتُ رجوتُ من الصَّديق المِفْضال العلاَّمة الدكتور محمد حميد الله ، المقيم في باريس ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ أن يتكرَّم فيصوِّرها لي ، فوجد أمرَ التصوير يتأخر قليلاً ، فتفضَّل بنسخها لي بقلمه وخطّه ، ثم قابلها بالأصل ، وأثبت عليها ما على حواشي الأصل من تعليقاتٍ ، وبعث بها إليَّ مشكوراً متكرِّماً في ١٨ ذي الحجَّة ١٣٩٩هـ ، فله أجزل الشكر والثناء والتقدير على هذه المساعدة العلمية الكريمة » .

هذا ما كتبه الشيخ أبو غُدَّة في مقدمة الكتاب مؤرَّخاً في ٢٣ من

شوال ١٤٠٤هـ ، ومشتملاً على الشكر ، ومع ذلك وبعد حوالَيْ اثنتيْ عَشْرة سنة ينتهز فرصةَ وُجوده في باريس ويُلِحُّ على مقابلة الشيخ حميد الله ، ولو تكبَّد ـ رحمه الله تعالى ـ المشاق وعلى كِبَر سنّه ، وانشغاله بالعلاج فقط ؛ ليُسدي له الشكر . الله أكبر ما أندر هذا الوفاء ! وما أعزَّ هذه الأخلاق !

كذلك كان الشيخ حميد الله مثالاً في البساطة في جميع شؤون الحياة ، ظلَّ يخدم نفسه بنفسه لآخر لحظة من حياته ، يغسل ثيابه ، ويرتِّب أموره ، ويكنس بيته ، ويتكفَّل بتأمين حاجياته وغير ذلك من الشؤون الذاتية والأعمال الخاصة .

أما زهده فيما يمتلكه من المال فأمثلة ذلك كثيرة في حياته ، أكتفي هنا بما كتبه العالم الجليل الداعية الإسلامي الكبير الشيخ شاه بليغ الدين[١] حيث إنَّه زاره مرةً مع زملائه ليطلب منه دعماً مادياً لمعهد ديني ، فقدَّم إليه الشيخ محفظته قائلاً : « خُذْ منها ما شئتَ » وألحَّ على ذلك إلحاحاً شديداً حتى أخذوا منها ما شاؤوا ، وحين أرادوا أن يستأذنوه ؛ وَدَّعهم الشيخ ووجهه يتهلَّل بالفرح[٢] .

وكان لا يقبل ترشيحه للجوائز الكبرى ، ويكره الأضواء والذكر

---

(١) أحدُ كبار العلماء والدعاة في باكستان . درس في « المدرسة النظامية » ، ثم في الجامعة العثمانية بحيدرآباد (الدَّكَنْ) ، ثم هاجر إلى باكستان واستقرَّ فيها . له نشاطٌ كبيرٌ في الدعوة إلى الله في باكستان وغيرها من بلاد أمريكة وأوروبَّة ، حيث يتردَّد إليها داعياً ومحاضراً . وهو من زملاء الشيخ حميد الله أيام الدراسة . له مؤلَّفات كثيرة بالأردوية في موضوعات مختلفة .

(٢) انظر المقال بعنوان : « انطباعاتي الشخصية عن العالم المحقق الدكتور محمد حميد الله » بقلم الأستاذ شاه بليغ الدين ، المنشور في المجلّة « العثمانية » عدد يونيو ، عام ١٩٩٧م .

الزائد ، كما سبق أن ذكرتُ أنَّ حكومة باكستان أرادت أن تكرِّمه بمنح جائزة الدولة التقديرية بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري ، وكان مع الجائزة مبلغ مقداره مليون روبية نقداً ، وقد تبرَّع بهذا المبلغ كله للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد . كذلك اعتذر عن قبول جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام مع احترامه لمشاعر من رشَّحوه لها خشيةً الشهرة التي تجلبها له هذه الجائزة بعد ، وكان أحقَّ الناس بأن ينالها ، ويُكرَم بها .

ومن الجدير بالذكر هنا أيضاً : أنه لم يقبل طيلة حياته أي مبلغ أو مكافأة مادية من حقوق كتبه من التأليف والتحقيق والترجمة ، وقد قام بتلك الأعمال العلمية كلها مخلصاً وجهه لله تعالى دون ابتغاء شيء من ورائها من المال والشهرة ، كان يحب أن تكون حياة الداعية مصداقاً للحديث النبوي : « إنما أنا والدنيا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راحَ وتركها »[1] .

وكان يكره التصويرَ أشدَّ الكراهية ، ويحرِّمه على نفسه بشدة ملحوظة ، وكان يرى تحريمه بجميع أنواعه وأقسامه ، كما هو مذهب سادة علماء الهند الورعين أيضاً ، والذين ما زالوا متفقين على حرمته .

وكذلك مما يَحسُن ذكره هنا من أمثلة ورعه : أنه لم يذق اللحمَ منذ أن أقام في فرنسا إلى حين وفاته ، بسبب عدم توفره حلالاً فيها ، وحين توفَّر ؛ تجنَّب أكله ؛ لأن ذلك في رأيه الشخصي غير مباحٍ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في أبواب الزهد ، باب مثل الدنيا ، برقم : (٤١٠٩) .

لأجل طريقة الذبح حيث أنه يكون بالآلات ، ولم يكن يشتريه من الجزارين اليهود مع علمه : أنَّ ذبيحتهم حلال ؛ لأنه كان يعلم أنهم يتبرَّعون لإسرائيل بمقدارٍ من دخلهم الشهري ، فكان يعيش على البقول ، والخضروات .

مكانته العلمية

كان واسعَ الاطلاع على كتب التاريخ الإسلامي خاصةً ، وكتب التاريخ العالمي عامةً ، يستخرج منها الوقائعَ والأحداث المهمة بمجرَّد قراءته العابرة لها ، وإذا ما تحدَّثنا عن اطلاعه في السيرة النبوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ وحياةِ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فحدِّث ولا حرج ، فما من كتابٍ فيها إلا وقد قرأه ، وخيرُ دليلٍ على ذلك ما ألَّفه من كتبٍ في السيرة باللغات العديدة كالأردية والفرنسية والإنكليزية وغيرها ، كذلك ما حقَّقه من المخطوطات النادرة كـ : « سيرة ابن إسحاق . . . » ، وهذه كلُّها تشهد على سعة اطلاعه بجميع ما كُتب وأُلِّف في السيرة ، وفي حياة الصحابة سواء أكان ذلك قديماً أوحديثاً ، مخطوطاً كان أم مطبوعاً .

وكان له شغفٌ عجيبٌ بآثار النبيِّ ﷺ وصحابته ، رضي الله عنهم ، ومن طريف ما يدلُّ على ذلك : أنه صعد جبلَ أُحد مرَّتين في شيخوخته ليحدِّد المكان الذي استراح فيه الرسولُ ﷺ حينما جُرح في الغزوة ، وخَلُص إليه فيه أصحابه ، رضي الله عنهم . كما أنه مشى مرةً من مكة المكرمة إلى حُنَين على قدميه ، وامتطى مرةً أخرى ظهر حمار ليستوعب تجربة الصحابة في الغزوات والسَّرايا ، وليكتب من خلال تلك التجربة والمعاناة .

وكان مرجعاً ثرّاً في الفقه الإسلامي ، والقانون الدولي ، ومِن أبرز إسهاماته تأسيسُه لمبدأ الحياد في القانون الإسلامي ، كما أنه كان على قناعةٍ تامةٍ بأنَّ جُلَّ فكرة القانون الدولي مستمدَّةٌ من أصولٍ إسلاميةٍ ، كما أنَّ له الفضل في إدخال مصطلحاتٍ جديدةٍ في القاموس الإسلامي مثل : « دولة المدينة » و« دستور المدينة » .

وكان معتدلاً من ناحية مذهبه الفقهي غير متعصِّبٍ لاتجاهاتها المختلفة ، فعلى الرغم من كونه شافعيَّ المذهب ، ومن كونه عاش في بيئةٍ يسودها المذهبُ المالكي ، إلا أنه قام بخدمة مختلف المذاهب الفقهية باعتدالٍ عجيبٍ وإنصافٍ غريبٍ ، حيث قام بتحقيق كثيرٍ من كتب الأحناف ومخطوطاتهم الفقهية .

كذلك هو أولُ مَن أبرز إبداعاتِ الحافظ ابن قيِّم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) في القانون الدولي من خلال مقدمته القيِّمة لكتاب ابن القيم « أحكام أهل الذمة » ، والذي حقَّقه الدكتور صبحي الصالح (المتوفى سنة ١٤٠٧هـ) .

وكان من العلماء المُكثِرين من التأليف والتحقيق ، وكتابةِ البحوث والمقالات إلى جانب نشاطاته الدينية والدعوية ، تشهد على ذلك كُرّاستُه التي أعدَّها في أواخر عُمره ، حيث جمع فيها مئاتٍ من العناوين لمؤلفاته وتحقيقاته وبحوثه ومقالاته التي كتبها بين الحين والآخر باللغات العديدة منذ أن كان عمره خمسة عشر عاماً ، لو قُسِّمَتْ هذه العناوينُ على أيام عمره ؛ لبدا لنا العجبُ في ما أُوتي من بركة الوقت ، وعظمةِ الجهد ، وتوافرِ الطاقة التي لا تَكِلُّ ولا تَمَلُّ ، وقد امتاز انتاجُه العلمي بالجِدّة والأصالة ، والعُمقِ والسَّعةِ ، والعراقةِ

والطرافةِ ، وكان لا يؤمن بغير المنهجية العلمية القائمة على الأدلة .

وكان له تأثيرٌ حسنٌ على كلٍّ من يتصل به مرةً واحدةً ولو عن طريق الكتابة ، وقد كانت تتوارد عليه أسبوعياً عشراتُ الرسائل من أنحاء العالم الإسلامي ، معظمُها تشتمل على الأسئلة التي تتعلق بدقائق المسائل العلمية ونوادر المخطوطات ، وكان يردّ على كلّ رسالةٍ منها يزوِّد صاحبَها بالمعلومات المفيدة عن مسألته أكثر مما سأله .

وإلى جانب جميع هذه الصفات الموهوبة والمحمودة من العلم الغزير والتفاني في خدمة الإسلام ؛ كان مَضْرَباً للمثل في التواضع والبساطة في جميع شؤون الحياة ، وهذا ما نفتقده اليومَ ـ للأسف الشديد ـ في كثيرٍ من العلماء والدعاة الذين أصبحت الدنيا أكبرَ همِّهم ، والسعيُ إلى ترشيح أنفسهم للجوائز ، وإشهار ذواتهم من خلال مختلف القنوات الفضائية وغيرها من الوسائل المقروءة والمسموعة ؛ ليكون لهم اسمٌ يلمع ، وذكرٌ يعمُّ .

مرضه ووفاته

لقد عاش الشيخ حميد الله حياته كلها عزباً ، وكان دأبُه في مقتبل شبابه تحصيلَ العلم والرحلةَ في سبيله من بلد إلى بلد ، وإنَّ عكوفَه الدائم على أعماله العلمية في كهولته شغله عن التفكير في الزواج . فلما أقبل عليه الهرم ؛ كفَّ عن التفكير فيه رغم شدة حاجته في ذاك الحين إلى من تقف بجانبه تُسانِده وتُعاضِده ، لكنه ظلَّ مشغولاً في الدعوة إلى الله وفي إصلاح المجتمع ، ومنهمكاً في إنجاز الأعمال العلمية ، حيث لم تُتَحْ له فرصةٌ للتفكير في الزواج ، فقضى حياته كلها عزباً فريداً ، متبتِّلاً متعبِّداً .

ولا تخفى على كلِّ لبيبٍ ما في التبتُّل والانقطاع عن الزواج من صعوبةٍ في حياة الإنسان ، وهو يفقد بها أُنْسَه الروحي ، وسكونَه النفسي ، ويتحمَّل معها مشاقَّ العزوبة في شؤون الطعام والشراب والنظافة وخدمة البيت والمسكن ، ويُحرَم بسببها من رعاية المرأة وحنانها عند نزول الأمراض والأسقام عليه ، ومن خدمة بنيه له في وقت حلول الشيخوخة ومتاعبها لديه ، وهذه شدائدُ متراكمةٌ ، ومشاقٌّ متعاظمةٌ ، لا يتحمَّلها إلا من رأى الصبرَ عليها أهون عليه من فقد الازدياد من العلم وتحصيله وبثِّه ، فآثر ما يراه له أغنم وأعظم على ما يراه له ألذّ وأنعم ، كشأن بعض العلماء العُزَّاب الذين جمع

تراجمَهم وأخبارَهم الشيخُ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه القيِّم النفيس الماتع الممتع : « العلماء العُزّاب الذين آثروا العلمَ على الزواج » .

مرضه :

تحمَّل الشيخ حميد الله مشاقّاً كثيرةً في أواخر عمره ، حيث تراكمت عليه أمراضُ الشيخوخة والضعف ، مما جعل بعضَ أقاربه يخشون عليه وهو يعيش في العزلة عنهم وحيداً منقطعاً عن أقاربه وأصدقائه في بلدٍ لا يكاد لأحدٍ منهم تردُّدٌ إليه أو زيارةٌ له .

أُغمي عليه في أواخر عمره في شهر رمضان ـ وهو معتكفٌ في جامع باريس ـ إثر ضغطِ دمٍ بسبب خُلُوِّ المعدة ، وأُدخل المستشفى على الفور حيث بقي أياماً ، وما طاب له أن يخبر بذلك أحداً من أقاربه حتى لا يقلقوا عليه ، حتى دخل في غيبوبةٍ وأُصيب بشللٍ تامٍّ ، وطلبت الجهاتُ المشرفة على علاجه الإذنَ من أسرته بسحب أجهزة الإنعاش ليموت بهدوءٍ ، ورفضت الأسرةُ إعطاء ذلك الإذن ، لكن مما أدهش الأطباءَ أنه استعاد نشاطَه في اليوم الرابع من غيبوبته ، وطلب إفطارَه قائلاً لهم إنه يريد أن يُواصِل صومَه ، وإنه لم يفته يومٌ من أيام رمضان دون الصوم منذ أن كان في التاسعة من عمره !

وبعد هذه الحادثة ، قَدِمَتْ حفيدةُ شقيقِه الكبير السيدة سديدة عطاء الله إلى باريس ، وألحَّت عليه أن يسافر معها إلى أمريكا حيث كانت هي مقيمةً مع زوجها منذ مدة ، فلم يجد الشيخُ بُدّاً من أن يقبل إلحاحَها سيما وهي أحبّ الأقارب إليه بسبب اهتمامها بالتدقيق والتحقيق في المسائل العلمية وانشغالها بالعمل الدعوي والإصلاحي ، فغادر معها الشيخ فرنسا في عام ١٩٩٦م ، وأقام

عندها في أمريكا نحو ستِّ سنوات في مدينة جاكسلفانيا (في ولاية فلوريدا) ، وكان طيلةَ هذه المدة حِلْسَ البيت ، ورهينَ الفراش ، لا يكاد يخرج من البيت ويسافر خارج البلاد إلا لضرورة قصوى ، وكان يُعالَجُ في آخر أيام عمره برعاية طبيب مسلم مشهور في مدينة جاكسلفانيا .

وفاتـــه :

أُغمي عليه سويعات في ليلة ١٦/ ديسمبر لعام ٢٠٠٢م ، وأُدخل على الفور إلى المستشفى في العناية المركَّزة ، ولكن مشيئة الله كانت أسبق إليه من محاولات الأطباء المضنية في سبيل إنعاشه ، وبذلك وافاه الأجل المحتوم في صباح١٣/ شوال من عام ١٤٢٣هـ (الموافق ١٧/ ديسمبر ، عام ٢٠٠٢م) ، وانضمَّ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى صفوف أولئك الرجال من المؤمنين الذين أشاد الله بذكرهم في تبيانه : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، وكان عمرُه وقتئذ أربعةً وتسعين عاماً ، وما أن أُعلن عن وفاته حتى توافد إلى مقرِّه محبوه ، وقد صلَّى على جثمانه تلميذُه الداعية التركي الدكتور يوسف ضياء قاوقجي ، ودُفن في مقبرة مدينة جاكسلفانيا في ولاية فلوريدا ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وأمطر على مثواه شآبيب الرحمة والمغفرة ، وأسكنه فسيح جناته العُلى .

أثر وفاته في العالم الإسلامي :

كان ـ رحمه الله تعالى ـ أحدَ هؤلاء الأعلام العمالقة والعلماء الفطاحل الراحلين الذين أضاؤوا على العالم الإسلامي خاصةً والعالم بأسره عامةً في جميع مجالات العلم والمعرفة ، وميادين الدعوة

والإصلاح ، وأغنوا المكتبات الإسلامية والعربية بانتاجاتهم العلمية والتحقيقية الوفيرة والقيمة ، والتي تخلد ذكراهم مدى الدهر في ذاكرة الأمة الإسلامية ، بل في ذاكرة العالم بأسره[1] .

وكان لوفاته أثرٌ عميقٌ في الأوساط الدينية والعلمية في العالم الإسلامي كله، وقد عُقدت حفلات التأبين إثر وفاته في كثير من بلدان العالم الإسلامي والغرب، منها في مركز البحوث والتحقيق الإسلامي التابع للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان)، وفي جامعة إستنبول في تركيا ، وفي الجامعة العثمانية بحيدرآباد (الهند)، وفي بعض المراكز الإسلامية والعلمية في بريطانية وفرنسا وألمانيا. كما صدرت عن سيرته وشخصيته أعدادٌ ممتازةٌ من مختلف المجلات الإسلامية، والتي نُشرت فيها مقالات قيمة بقلم كبار العلماء والكُتّاب من شتّى البقاع كالهند وباكستان وتركيا وبريطانية وفرنسا ، منها الجدير بالذكر : مجلة « التنوير » العربية الصادرة عن الجامعة العثمانية بحيدرآباد، ومجلة «فكر ونظر» الأردية الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، والمجلة «العثمانية» الأردية الصادرة عن كراتشي، ومجلة «إمباكت انترنيشنل» الإنكليزية الصادرة عن لندن ، ومجلة « يدي اقليم » التركية الصادرة عن إستنبول وغيرها .

كلماتٌ في الرثاء لهُ :

لقد كُتبت مقالات عديدة ، وقيلت كلمات فياضة في رثائه في مختلف الجرائد والمجلات الإسلامية الصادرة عن كل من البلاد

---

(١) من مقال الدكتور محمد حسن هيتو ، المنشور في مجلة « التنوير » الفصلية ، عدد عام ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ، ص : (٦ ـ ٩) .

العربية وعن الهند وباكستان وفرنسا وبريطانية ، ولا يتسع المقام هنا لسوق تلك الكلمات ، ولكن يجدر بي أن أنقل هنا كلمةً فيَّاضةً للداعية الإسلامي الكبير الأستاذ عصام عطار[1] ، والتي كتبها في مجلَّة « الرائد » ـ التي يُصدرها من ألمانيا ـ عن صديقه الشيخ حميد الله في حياته قبل خمس وعشرين سنة بعنوان : « تحيةً إلى الدكتور محمد حميد الله » ، والتي أعيد نشرها ككلمة رثاءٍ له بعد وفاته في كثير من المجلات والمواقع الإسلامية ، وهي كلمةٌ متدفِّقةٌ من إخلاص صاحبها الذي عرف الشيخَ حميد الله عن كثبٍ ، وشاركه في كثيرٍ من نشاطاته الدعوية والإصلاحية في أوروبة ، يقول حفظه الله وأمدَّ في عمره إمتاعاً لخدمة الإسلام والمسلمين :

تحيةً إلى الإنسان العظيم ، والعالم العظيم ، والمسلم العظيم الدكتور محمد حميد الله . .

تحيةً إلى الرجل الذي ارتفع بإيمانه الصَّادق فوق هذه الدنيا حقيقةً لا كلاماً ، فكان مُذْ عرفنَاه أكبرَ مِن هذه الدنيا ، وأزهد الناس بها في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، وفي تواضعه ، ونأيه بنفسه عما يتهافت عليه الناس من المُتَع والملذَّات ، والمكاسب والمناصب ، والشُّهرة والتكريم ؛ وهو لو أراد شيئاً من ذلك ؛ لبلغ منه الكثير دون عناءٍ . .

تحيةً إلى الرجل الذي وَسِعَ بقلبه الكبير ، وعقلِه الرشيد ، وخُلُقِه الرفيع ، وأُفقِه الواسع سائرَ الناس ، وأحبَّ لهم ما أحبَّه

---

(١) هو الداعية الإسلامي الكبير ، المفكِّر المربِّي ، الكاتب المجيد : الأستاذ عصام عطار ، صهرُ أديب العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي . هاجر إلى ألمانيا في السبعينات واستقرَّ هناك ، وأنشأ مجلةً فكريةً باسم « الرائد » ، والتي تُعَدُّ من أهمِّ وأفضل المجلات الإسلامية التي تتناول الموضوعات الفكرية الجادة ، وله نشاطاتٌ جمّةٌ في مجال الدعوة في ألمانيا . كان وثيقَ الصّلة بالشيخ حميد الله منذ قدومه إلى ألمانيا .

لنفسه من الهداية والخير ، وبَذَلَ في إرشادهم وخدمتهم ، من قلبه وفكره وعلمه وجهده ما تَنُوْءُ بمثله العصبةُ أولو القُوَّة ، فثبَّتَ الله به من ثَبَّت على الهدى ودين الحقّ ، وأخرج به من أخرج من المُلحِدين والكافرين والضائعين من الظُّلمات إلى النُّور ، ومن الضَّلالة المُهلكة إلى صراطِهِ المستقيم .

تحيةً إلى الرجل الذي عاش في الغرب فلم يفتنه الغرب ، ولم يُلَوِّثه الغرب ، وكان حيثما وُجِد منارةً هاديةً ، ودعوةً دائبةً ، وتعريفاً حيّاً بالإسلام ، وفضائل الإسلام بلسان الحال ، لا بمجرَّد المقال : تعريفاً رائعاً ما يزال له في كثير من النفوس أجمل الآثار ، وما يزالُ يفتح القلوبَ لدعوة الله عزَّ وجلَّ ، ويُولِّد لها عند المنصفين المحبةَ والإعجاب والإكبار .

تحيةً إلى الرجل الذي استنفد عُمُره وقُواه في خدمة الإسلام والمسلمين والإنسان ، ووهب حياته لخدمة دينه وأُمَّته بقلمه ولسانه وعمله ، في كلِّ مكانٍ ، وعلى كلِّ صعيدٍ يراه أولى بالجهد ، أو يرى نفسه أقدر على الإفادة فيه ؛ مُتَسَلِّحاً في ذلك كله بالإيمان والإخلاص ، والعلم والوعي ، والإرادة والدأب ، والتضحية والصبر ، وعددٍ من اللغات الحيَّة ، منها : العربيَّة والأردية والفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية . . يفهم بها العالم ، ويخاطب بها العالم ، ويخدم بها دعوة الله أجلّ الخدمات .

تحيةً من أعمق القلب والحبِّ والعرفان إلى محمد حميد الله ، وهو يحمل الآن على كاهله المكدود[1] ، وهيكله العظميِّ الناحل ،

---

(١) لا يغربنَّ عن بال القارئ أن الكاتب يتحدَّث عن الشيخ وهو على قيد الحياة .

أعباء سِنيه الثماني والسبعين ، ويفتّش حيث يعيش من عشرات السنين في باريس عن « مأوى عجزة » متواضعٍ ، يقضي فيه ما بقي من أيام شيخوخته ، بعد أن أعطى صِباه وشبابه وكهولته وخيرَ أيّام الشيخوخة والحياة للإسلام والمسلمين ؛ فلا يجد « مأوى عجزة » يقبله براتبه التقاعديّ الضئيل .

لا أكتب هذا الكلامَ ـ كما قد يتبادر لبعض الأذهان ـ لأستثير شعور المسلمين بالمسؤولية عن هذا الرجل العظيم ، ولأدفعهم إلى الوقوف معه في هذه المرحلة من شيخوخته ، ومساعدته على توفير الشروط الملائمة لوضعه الصِّحّيّ ، ولاستمرار إنتاجه وعطائه الجليل الذي لا يُعوِّضُه في مجاله سِواه ؛ فالأستاذ الدكتور محمد حميد الله لا يقبل مساعدة أحد مهما اشتدَّتْ به الحال ؛ بل لقد كان ـ وما يزال ـ يقتطع من ضرورات حياته الأساسية ما يساعد به الناس ، ويُحَوِّلُ رَيْعَ كتبه ـ إن قبل أن يأخذ لكتبه ريعاً ـ إلى الجهات التي تخدم الإسلام والمسلمين . .

إنما أكتب لأسجِّل واقعاً مأساوياً ، ما أمَرَّه وما آلمه من واقعٍ ! وما أدْماهُ للنفوس التي لم يَمُتْ فيها كلُّ إحساسٍ ، ولم ينعدم فيها كلُّ وفاءٍ ، ولم تفقد كلَّ الفقد أدنى شعورٍ بالمسؤولية والواجب !

أيْ محمد حميد الله ! أيُّها الشمسُ التي أنارت طويلاً ، وبدأت تَجْنَحُ الآنَ للغروب . .

أيُّها الشَّفقُ الملتهبُ على الأُفُق بالإيمان والمحبة والإخلاص والذي يتهيَّأُ الآنَ للمغيب . .

أيُّها الفارسُ القديمُ الذي حمل رايةَ الإسلام في بلاده التي حُرِمَ منها (حيدر آباد) ، وفي ديار الغرب ، وفي بقاعٍ أخرى متباينةٍ من

الأرض ، بثباتٍ وصبرٍ ، وتواضُعٍ وصمتٍ ؛ والذي يُوشِك ضعفُ الجَسَدِ أن ينزلَ بهِ الآنَ قسراً عن جواده العتيد . .

أيُّها الخُلُقُ الرفيع ، أيُّها الزُّهْدُ الصادق ، أيُّها التواضُعُ النادر ، أيُّها العملُ الدائب ، والعطاءُ القلبيُّ المتواصل ، على صعيد البحث والتأليف ، والتوجيه والتعليم ، وخدمة كلِّ محتاجٍ بما تستطيع من مالٍ أو جاهٍ ، أو مشاركةٍ عاطفيَّةٍ فكريَّةٍ أخويَّةٍ ، تَأْسُو الجراحَ ، وتُسدِّدُ الخُطى ، وتُعِينُ على متابعةِ الطريق .

أي محمَّد حميد الله ! إن كان قد عقَّك المسلمون ، وقصَّر في حقِّك المقصِّرون ، ولم تَرَ أقلَّ القليل مما تستأهِلُه من العرفان والتكريم ، والمساعدة على القيام بالواجب ؛ فإنَّ الأجيال الإسلامية الجديدة ، والطلائعَ الإسلامية الأصلية ، لتُعَبِّر لك في هذه المرحلة المتقدِّمة من مراحل حياتك وجهادك الطويل النبيل عن أعمقِ مشاعر المحبَّة والعرفان والشُّكر والتقدير ، وتُرسلُ إليك ـ عبر الرائد[1] ـ بهذه التحيَّة الصَّادقة الخالصة المنبعثة من أعماق القلوب ، وإن كنتَ قد عملتَ ما عملت في حياتك المباركة كلِّها ، وأنت لا تنظر إلَّا إلى الله ، ومرضاة الله ، ولا تريد من أحدٍ من النَّاس جزاءً ولا شكوراً .

فجزاك الله عنَّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ! ومدَّ الله في حياتك الغالية ، ومتَّعَكَ بالصِّحة والعافية ، وأبقاك بيننا ، وحفظك فينا أخاً حبيباً كبيراً ، وقُدْوةً عزيزةً ، وذُخْراً ، ولا حَرَمَنا من ثَمرات علمك وفكرك وعلمك النافع !

والسلام عليك حيثما كنت ، ورحمة الله والبركات .

---

(١) اسم المجلة التي أنشأها الأستاذ عصام عطار .

الفَصْلُ الثّاني

مُحَمَّد حَمِيدُ الله

المفسِّر ، الداعية ، الناقد ، العالم الغيور

خدماته الجليلة في تفسير القرآن الكريم وترجمته باللغات اللاتينية .

مساهمته في الدعوة إلى الله وتبليغ الدين .

تعقيباته على أعمال المستشرقين العلمية بالرد والنقد .

اعتناؤه بالمخطوطات جمعاً وتحقيقاً .

تضلُّعه من لغات العالم الراقية .

خدماته الجليلة في تفسير القرآن الكريم وترجمتُه باللغات اللاتينية

لقد قام كثير من الناس بنقل القرآن الكريم إلى لغاتٍ شتّى ، وبلغت ترجمات القرآن باللغات الأجنبية على حسب إحصاء بعض الباحثين مئة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة ما بين شرقية وغربية ، وتكرَّر طبعُ هذه الترجمات حتى إنَّ إحداها ـ وهي ترجمة « جورج سيل »[1] الإنكليزية ـ طُبعت أكثر من خمسين مرةً ، وأوفر هذه الترجمات وأكثرها طبعاً هي الترجمات : الإنكليزية فالفارسية فالألمانية فالإيطالية ، كما توجد في بعض اللغات الشرقية ترجماتٌ للقرآن الكريم في غاية الكثرة ، مثل الأردية والفارسية والتركية .

ويُعَدُّ الشيخ حميد الله ذاك الشخص الأوحد الفريد الذي قام بترجمة القرآن الكريم وتفسيره إلى ثلاث لغات عالمية ، هي الفرنسية والألمانية والإنجليزية ، فأما ترجمته للقرآن وتفسيره إلى اللغة الفرنسية ؛ فقد اكتملت بفضل الله تعالى ، وتميزت بروعة الأسلوب ودقة الصياغة وجمال العبارة ، ولا غرابةَ في ذلك فقد كان على إتقان

---

(١) مستشرقٌ بريطانيٌّ ، كان يشتغل بالمحاماة ، تعلَّم اللغة العربية في أوقات فراغه حتى أتقنها ، واقتنى مجموعةً وافرةً من مخطوطاتها ، واشتدَّ اهتمامه بالإسلام حتى وُصف بأنه نصفُ مسلم . ترجم القرآن الكريم إلى الإنكليزية ، لكنه أطال الكلام في الترجمة عن مباحث وموضوعات ، لا تتعلّق بالقرآن . توفي سنة ١٧٣٦م .

عجيب باللغتين كليهما العربية والفرنسية ، وعلى معرفة تامة لأساليبهما وخصائصهما .

وقد كانت صدرت قبل ترجمة الشيخ حميد الله ـ للقرآن الكريم بهذه اللغة ـ ترجماتٌ أخرى للقرآن الكريم سبقتها[1] ، وإن كان لتلك الترجمات شأنٌ من ناحية اللسان والبيان ، إلا أنها لا تُعتبر مقبولةً من ناحية العزو والصحة ، لذا لا يمكن الاعتماد عليها ، لهذا قام الشيخ بترجمة القرآن الكريم من جديد إلى الفرنسية بقلمه الرشيق وأسلوبه الأخاذ ، فتمت بحمد الله ترجمته إلى الفرنسية في حلة جميلة بديعة منثورة في (٦١٧) قرطاس من القراطيس ، وقد سبقت هذه الترجمة مقدمةٌ جامعة في نحو (٦٧) صفحة من صفحات الكتاب ، والتي حوت كلَّ ما يتعلق بنزول القرآن الكريم وكتابته وتدوينه بالإضافة إلى فهرسة شاملة لترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية . ومن الجدير بالذكر هنا : أنَّ الشيخ اهتمَّ فيه بتطبيق معظم القواعد والأصول التي وضعتها جامعة الأزهر لترجمة القرآن الكريم وتفسيره باللغات الأجنبية[2] .

ومما لا يفوتني ذكره هنا في هذا المقام : أنَّ هذا العمل يُعتبر

---

(١) ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية سنة ١٦٤٧م ، على يد « أندري ديوريور » ، وكان لهذه الترجمة صدى كبير لفترة طويلة من الزمن ، لكنها كانت محتويةً على مختصرٍ لديانة الأتراك وبعض المستندات . ثم ظهرت ترجمة المستشرق « سافاري » سنة ١٧٥١م ، والتي كانت من حيث اللغة والأسلوب جيدةً ، لكن دقّتها كانت نسبيةً . ثم ظهرت ترجمة « كزيمرسكي » سنة ١٨٤٠م ، والتي تعتبر ـ مقارنة مع ترجمة « سافاري » ـ أكثر عراقة واستعمالاً ، ثم ظهرت ترجمة « إدوار مونتيه » سنة ١٩٢٥م ، والتي امتازت بالضبط والدقة أكثر من الترجمات السَّابقة . ثم ظهرت ترجمة « بلاشير » سنة ١٩٤٩م ، والتي تعتبر من أدق ترجمات القرآن بالفرنسية ، وهذا ما جعلها أكثر الترجمات الفرنسية انتشاراً .

(٢) انظر للاطلاع عليها مجلة « الأزهر » مجلد (٦٤٨/٧) .

إنجازاً عظيماً طالما انتظره الناطقون بهذه اللغة منذ أمد بعيد ، والذي يستحق أن يُسطَّر بماء العسجد ، بل ويخلِّد ذكر صاحبه على صفحات التاريخ مدى الدَّهر ، فقد لقيت هذه الترجمةُ من قبل الناس رواجاً عظيماً وحفاوةً بالغةً ، وخيرُ دليلٍ على ذلك نفاذ (١٢٠٠) نسخة من نسخ الترجمة خلال أسبوعين من أول صدورها . ثم تولَّى طباعةَ هذه الترجمة مجمعُ الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، وقام بتوزيع آلاف النسخ مجاناً في سائر تلك البلاد التي تَنْطق باللغة الفرنسية .

أما ترجمة الشيخ للقرآن الكريم باللغة الألمانية ، فقد وصل فيها إلى ترجمة سورة الأنعام ، ولم تُتح له فرصة إكمالها بسبب الأعمال العلمية والدعوية التي شغلته عنها ، وكذلك الحالُ بالنسبة لترجمة القرآن إلى اللغة الإنكليزية ، فقد ترجم فقط سورة البقرة ، وقد نُشرت هذه الترجمة ما بين عامين ١٩٦٠ و١٩٦٥م في مجلة « الهادي الأمين » الإنكليزية الصادرة عن مدينة دربن في جنوب إفريقيا .

مساهمته في الدعوة إلى الله وتبليغ الدين

إنَّ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى عماد حياة الأمة الإسلامية ، والقطب الذي يدور حوله نشاطها وحياتها ، وجدّها وكفاحها ، فهي الغاية التي خُلقت هذه الأمة لأجلها ، وبُعثت لصالحها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ثم إنَّ الدعوة إلى الله مهمة الأنبياء والمرسلين ووظيفتهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فمِن هذا المنطلق يجب على كل داعية اتباع سبيل الأنبياء والمصلحين والدعاة الصادقين ؛ ليبلغوا رسالات الله عزَّ وجلَّ وأحكامه إلى عباد الله ، ويهتموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يخشون في الله لومة لائم .

أما ميدان عمل الداعية فقد قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، فهدفُ كل داعية محاولة نشر تعاليم الإسلام الصحيح ، وصبغُ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها ؛ وذلك بإشاعة الآداب والأخلاق والسلوكيات الإسلامية بين

عامة الناس وإرشادهم إلى الخير ومحاربة الرذائل والمنكرات .

وأما فضل الدعوة إلى الله ، فيقول جلَّ شأنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] ، ففي هذه الآية أثنى سبحانه وتعالى على الداعية أنه لا أحدَ أحسن قولاً منه بدعوته إلى الحق وإنكار الباطل والتحذير منه ، وأمره أن يعلنها ويجهر بأنه من المسلمين . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الداعية ، منها ما رواه سهل ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لأن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك مِن أن تكون لك حُمْرُ النَّعَم »[1] ، وعن أبي مسعود البدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « من دَلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله »[2] ، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى ؛ كان له من الأجر مثلُ أجور من تَبِعَه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ؛ كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَن تَبِعَه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »[3] ، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت في شأن الداعية فضلاً له وإشادةً به .

وينبغي للداعية أن يتحلَّى ببعض الصفات الأساسية ، منها : التقوى ، والإخلاص ، والتواضع ، والحلم ، والعلم ، والقدوة ، والصبر على الأذى ، فخُلُوّه من أية واحدة من هذه الصفات يؤدِّي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، برقم : ٣٠٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ، برقم : ١٨٩٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب من سنَّ في الإسلام سنة حسنة . . ، برقم : ٢٦٧٤ .

إلى عدم تأثيره في المدعو . كما لا بد منه أن يتخذ في دعوته إلى الله منهجاً وسلوكاً وسبيلاً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر أن تكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يكون الجدال بالحسن ، وقال جل شأنه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، فالمرادُ هنا (بِٱلۡحِكۡمَةِ) : الحجة القاطعة المزيحة للشبه ، والمرادُ بـ (وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ) : الكلام الصائب الواقع من النفس أجمل موقع بالأساليب المؤثرة ، وباللغة التي يفهمها المدعو حتى لا تبقى عنده شبهة ، حيث لا يخفى عليه الحقُّ ، وأما المراد بـ (وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ) : فيعني أن تكون المجادلة في الدعوة بالرفق واللين ، واختيار الوجه الأيسر ؛ لأن الناس متباينو الطباع مختلفو المدارك والأمزجة والمشاعر ، فمنهم العوام أصحاب نفوسٍ ضعيفةِ الاستعداد ، شديدةِ الإلف بالمحسوسات ، قويةِ التعلق بالرسوم والعادات ، قاصرةٍ عن درجة قبول البرهان ، لكن لا عناد عندهم ، وهؤلاء يُدْعَوْن بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم ، ومنهم من يُعاند ويُجادل بالباطل ليدحض به الحق ، بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر ، والرفق واللين ، بل لا بد من إقامة الحجج بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته ، وتزول شكيمته ؛ فهؤلاء الذين أمره سبحانه وتعالى بجدالهم بالتي هي أحسن . فهذا هو منهج الدعوة ودستورها ، ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان وبالجدل وبالحجة[١] .

---

(١) انظر « تفسير روح المعاني » للآلوسي (١٤/ ٢٥٤) ، و « في ظلال القرآن » لسيد قطب (٤/ ٢٢١٢) .

لقد كرَّم الله سبحانه وتعالى شخصية الشيخ حميد الله بجميع هذه الصفات المذكورة آنفاً ، فكان قدوةً يُحتذى به لكل من ينخرط في سلك الدعوة ، لقد كان إنساناً اجتماعياً مألوفاً ودوداً ، ولم يكن ممن ينطوي على نفسه في عقر داره لا يألف الناسَ ولا يألفه الناسُ بحجة الانشغال بالأعمال العلمية كما يفعله الكثيرون ، بل كان يشارك أهلَ دينه من المسلمين في نشاطاتهم المختلفة ، لقد كان حقاً محبَّباً وبخاصة إلى فئة الشباب لأجل أنه كان يبذل لهم الكثير من وقته وجهده ، وكان يلقي لهم في جامع باريس كل أحد من الأسبوع محاضرةً دينيةً يدعو فيها إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويعلِّمهم مايصلحهم في دينهم ودنياهم ، ويُقيم لهم المخيَّمات الدعوية والتربوية بين الحين والآخر ، ويدعوهم إلى التمسك بأخلاق الإسلام في سلوكهم وفي واقعهم العملي الذي يعيشونه ، وكان همُّه تقويم شخصيتهم على أساس راسخ من هدي الإسلام في كتاب الله وسنة رسوله ، وقد تربَّى على يديه كثير من الشباب المسلمين في باريس ، وكلهم يقدِّرون فضله ، ويعترفون بما أسدى إليهم من نصائح وتوجيهات ومن دروس وملاحظات ومن دعوة إلى الخير والإصلاح .

وكان يرى : أنَّ من واجب المسلم : أنه أينما كان أن يعتبر نفسه مسؤولاً عن مجتمعه ، ولا يتعامى عن الأخطار ، فإنَّ على المسلم ـ في كل مكان ـ أن يهتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالإصلاح وإزالة الفساد ، وليعتبر نفسه في ذلك راكباً على سفينة النجاة التي إذا غرقت غرق الجميعُ ، وقد ضرب النبيُّ ﷺ لذلك مثالاً رائعاً ، كما روى عنه النعمانُ بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال : « مثلُ

القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قومٍ استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا ؛ هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم ؛ نجوا ، ونجوا جميعاً »[١] .

كما أنه كان أميناً عاماً لأقدم لجنة إسلامية في فرنسا ، والتي كانت تُصدر مجلةً شهريةً باسم « نور الإسلام » ، وكان كلُّ ما يأتيه في أواخر عمره من مالٍ ينفقه في دعم هذه المجلة ، وكان ينشر فيها الكثيرَ من مقالاته الدعوية والإصلاحية والتربوية والعلمية ، وهذه اللجنة كان لها دورٌ بارزٌ في الاهتمام بما يتعلق بقضايا المسلمين الدينية ، والتي ساهم فيها الشيخ بالكثير من وقته وفكره وجهده وماله . كذلك أنشأ مع صديقه الفاضل العلاَّمة الدكتور صبحي الصالح (المتوفى سنة ١٤٠٧هـ) أولَ مركزٍ ثقافيٍّ إسلاميٍّ في باريس ، وقد انتفع به كثيرٌ من المسلمين وغيرهم .

ولم تكن نشاطاته الدعوية محصورة بين المسلمين فقط ، بل كانت دائرتها ممتدةً إلى غير المسلمين أيضاً ، وكان يرى : أنَّ البشرية بحاجةٍ ماسّةٍ ملحّةٍ إلى رسالة الإسلام رغم بلوغها ما بلغت من العلم المادي والتطور التكنولوجي ، كحاجة الظمآن إلى الماء والسقيم إلى الشفاء ، والأمة الإسلامية هي وحدها التي تملك دواء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ؟ برقم : ٢٤٩٣ .

هذا الداء . لقد كرَّمه الله بأن حَلاَّه بأخلاق أهل الإسلام وأهل القرآن ، فقد منحه سبحانه وتعالى نصيباً وافراً من حُسن السيرة وجمال الشمائل ، كان يتحلَّى بقدر كبير من التواضع والانكسار ولين الجانب وخفض الجناح مما كان له أبرز الأثر في إظهار أخلاق أهل الإسلام ؛ ونتيجة لذلك فقد تأثَّر به كثيرٌ من أهل فرنسا من غير المسلمين ممن كتب الله تبارك وتعالى لهم الهداية بعد ذلك على يديه اللتين لا تكلاّن ، ولا تملاّن من بذل الجهود الجبارة في سبيل الله ودعوتهم إلى الله وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية والإسلام .

وقد أسلم على يديه أكثر من ثلاثين ألف فرنسي ، حتى قال بعض المترجمين له : إنه أسلم على يديه نحو خمسين ألفًا من الفرنسيين ، من بينهم بعضُ المفكرين والمثقفين الذين لمعت أسماؤهم على المستوى العالمي . ومما يحضرني في هذا المقام أن أذكر ما قاله الشيخ ذات مرةٍ خلال حوارٍ أجراه معه الصحفي الباكستاني الكبير الأستاذ محمد صلاح الدين[1] : أنه تشرَّف بالإسلام في فرنسا إلى عهده مئة ألف شخص ، ومتوسِّط عدد الذين يهتدون إلى الدين الإسلامي يومياً يتراوح ما بين ثمانية أفراد إلى عشرة أفراد ، فيهم الرجال والنساء ، والبعض من هؤلاء أصحاب

(١) أحدُ كبار الصحفيين الإسلاميِّين ، ومؤسِّس مجلة « التكبير » الأسبوعية ، والتي تُعَدّ من أشهر المَجلاَّت الأردوية الصادرة اليوم عن باكستان . عاصَرَ الكثيرَ من رؤوساء جمهورية باكستان الإسلامية ، ورافقهم في أسفارهم الرسمية خارجَ البلاد . كان كاتباً جريئاً لا يخاف لومةَ لائمٍ في قول كلمة الحقّ . توفي عام ١٩٩٥م بكراتشي ، إثر حادث الاغتيال المدبَّر .

مناصب كبرى من أساتذة الجامعات ، وسفراء البلدان ، ورجال الدين ، وقد نُقل عنه قوله : « ما طلعت شمسُ يومٍ على فرنسا إلا ويعتنق الإسلامَ فيها ما لا يقلُّ عن خمسة أشخاصٍ من أهلها » .

وكان يستشعر بعظيم مسئوليته تجاه نشر الدعوة الإسلامية من أقصى الأرض إلى أقصاها ؛ لذلك فقد بذل جهداً حثيثاً في سبيل تعلُّم اللغات الأجنبية العديدة كالفرنسية ، والإنجليزية ، والألمانية ، والإيطالية ، والتركية ، وغيرها من اللغات الكثيرة .

تعقيباته على أعمال المستشرقين التأليفية والتحقيقية بالنقد والردّ

أولًا : تعريف الاستشراق والمستشرقين :

ترجع البداياتُ الأولى للاستشراق لدى بعض الباحثين إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي ، ويرى بعض المستشرقين : أنَّ بداية الدراسات الشرقية ـ أو العربية والإسلامية ـ في أوروبة تعود إلى القرن الثاني عشر . ولكن لا يُعرف بالضبط من هو أول غربيٍّ عُني بالدراسات الشرقية ولا في أيّ وقتٍ كان ذلك ، ولكن المؤكّد : أنَّ بعض الرهبان الغربيين أمّوا الأندلس في أيام عِزّها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم والفنون في الطِّبّ والفلسفة والرياضيات . ومن هؤلاء الرهبان : الراهب الفرنسي « جربردي »[1] ، الذي كان تعلَّم في معاهد الأندلس ، وانتُخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م ، و« بطرس

(١) جربردي أورألياك (Jerbert de oraliac) من الرهبانية البندكية ، قصد الأندلسَ ، وأخذ على أساتذتها في مدارس ريبول وإشبيلية وقرطبة ، ثم أصبح أوسعَ علماء عصره ثقافةً بالعربية والرياضيات والفلك ، ولما ارتحل إلى روما ؛ سما على أقرانه وانتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني ، فكان أولَ بابا فرنسيٍّ وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين ، الأولى في روما مقرّ خلافته ، وله دراسة عن كتاب إقليدس بالعربية ، توفي سنة ١٠٠٣م .

المكرَّم »[١] ، و« جيرادي كريمونا »[٢] ، فنشر هؤلاء الرهبان ثقافة العرب في بلادهم بعد عودتهم إليها ، وعكفوا على نقل الكتب العربية إلى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبة يومئذ ، ثم أُسِّست المعاهد للدراسات العربية في بلاد الغرب ، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرِّس تلك الكتب المترجَمة إلى اللاتينية ، واستمرت الجامعات تعتمد علىكتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجودُ أفرادٍ درسوا الإسلام واللغة العربية ، وترجموا القرآن وبعض الكتب العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر ـ وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على مملكاته ـ فإذا بعددٍ من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ، ويُصدرون لذلك المجلاَّت في جميع الممالك الغربية ، ويُغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية ، فيشترونها من أصحابها الجهلة بثمن بخس ، أو

---

(١) بطرس المكرم (Venerable le Peirre) من الرهبانية البندكية ، انطلقت منه حركة إصلاحٍ عَمَّتْ النصرانية الأوروبية ، وجعل من رهبان الأسبان وعلى رأسهم الأب أبيلار ـ بعد أن أووا إليه في القرن الثاني عشر ـ مركزاً خطيراً لنشر الثقافة العربية ، وقصد الأندلسَ ما بين عامي ١١٤١ و١١٤٣م ، فيمن قصدها مستزيداً من علومها ، ولما رجع إلى ديره ؛ نظَّمه وطفق يصنِّف الكتب في الرد على علماء الجدل المسلمين وشجب اليهود ، توفي سنة ١١٥٦م .

(٢) جيراردي كريمونا (Gremona de Gerard) إيطاليٌّ من الرهبانية البندكية ، قصد طليطلة ، حيث تضلَّع من العربية ، وعكف على مصنفاتها ، فترجم منها ما لا يقلّ عن (٨٧) مصنَّفاً في الفلسفة والطِّبّ والرياضيات والفلك ، فقدت معظم أصول هذه الكتب بالعربية ، وسلمت ترجمتها اللاتينية ، فمهَّدت مع مثيلاتها إلى انتشار العلوم في أوروبة ، وتوثيق صلتها بالشرق ، توفي في طليطلة سنة ١١٨٧م .

يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى ، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم .

أمَّا ميدان الاستشراق ؛ فرأينا : أنه بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام ، وانتهى ـ بعد توسع الاستعمار الغربي في الشرق ـ إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته ، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهمّ ما يُعنى به المستشرقون حتى اليوم ؛ نظراً للدوافع الدينية والاستعمارية والسياسية التي شجعتهم على الدراسات الشرقية .

أمَّا الدافع الديني فكما ذكرنا أنَّ الاستشراق بدأ بالرهبان الذين كان همُّهم الطعنَ في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه ؛ وذلك للإثبات لجماهيرهم التي تخضع لهم تحت زعامتهم الدينية أنَّ الإسلام كان الخصمَ الوحيدَ للمسيحية في نظر الغربيين ، وهو دينٌ لا يستحق الانتشار ، وأنَّ المسلمين هم قومٌ همجٌ لصوصٌ وسفَّاكو دماء ، وأنهم نشروا دينهم بقوة السيف وغير ذلك من الاتهامات التي ما زال الإسلام في قفصها . ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أُسس العقيدة عند الغربيين ، وأخذت تشكِّكهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى ، فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدةٍ وكتبٍ مقدَّسةٍ ، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبة بعد

ذلك من خوفٍ من قوة الإسلام وكرهٍ لأهله ، فاستغلوا هذا الجوَّ النفسيَّ ، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية . ولا ننسى كذلك أنَّ الهدف التبشيري لم يتناسوه في دراساتهم العلمية ، وهم قبل كلِّ شيءٍ رجال دين ، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس روّاد ثقافتهم من المسلمين ، ولإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية ، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يمتُّ بصلةٍ إلى الإسلام من علمٍ وأدبٍ وتراثٍ .

أمَّا الدافع الاستعماري فالحديث فيه طويل ، وأختصره هنا نظراً لما له من صلة قوية بالموضوع السابق والآتي : لمَّا انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين - وهي حروب دينية ظاهراً ، لكنها في الحقيقة كانت حروباً استعماريةً - لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام ، فاتجهوا إلى دراسةٍ لهذه البلاد من جميع نواحيها العَقَدية والأخلاقية والقومية والاقتصادية ؛ ليتعرفوا على مواطن الضعف فيغتنموه ، وعلى مواضع الخلل فيوسِّعوه ، ولمَّا تمَّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية ؛ كان من دوافع تشجيعهم ضعف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين ، وبثّ الوهن والارتباك في تفكيرهم ؛ وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراثٍ ، وما عندهم من عقيدةٍ وقِيَمٍ إنسانيةٍ ، فيفقدون الثقة بأنفسهم ، ويرتمون في أحضان الغرب مُسْتَجْدِين منه المقاييس الأخلاقية والمبادىء العقائدية ، وبذلك يتمُّ للغربيين ما يريدون من إخضاع المسلمين لحضارة هؤلاء وثقافتهم خضوعاً تامّاً . فشجَّع الغربيون في بلاد العرب القوميات التاريخية التي عفى عليها الزمن ، واندثرت منذ

حمل العرب رسالة الإسلام ، ولكن منذ أول دخول المستعمرين الغربيين في البلاد العربية ، بدؤوا إثارة النعرات القومية أوالعرقية ليشغلوا المسلمين فيه عن دينهم وعقيدتهم ، فأحيوا الفرعونية في مصر ، والفينيقيةَ في سوريا ولبنان وفلسطين ، والآشوريةَ في العراق ، والبربريةَ في المغرب وهكذا دواليك ، فنجاحهم في هدفهم الخبيث هذا إلى حدّما لا يخفى على دارس أوضاع هذه البلاد الراهنة .

وأمَّا الدافع السياسي الذي تجلَّى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية ، فقد ظهر من خلال السفارات الغربية لدى كثير من البلاد العربية والإسلامية ، فكان في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتيرٌ أو ملحقٌ ثقافيٌ يُحسن اللغة العربية ؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم ، ويبثُّ فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته ، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثرُه الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون ـ ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية ـ يبثّون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها عن بعض ، كذلك ما بين الدول العربية والدول الإسلامية ، بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماماً نفسية كثير من المسؤولين في تلك البلاد ، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة ، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم[١] .

---

(١) انظر : « الاستشراق والمستشرقون » للدكتور مصطفى السباعي ، ص : ١٧ ـ ٢٤ ، =

ولكن في هذا الميدان المشوب بهذه الملابسات المختلفة والدوافع الخبيثة التي تآمرت على الإسلام والمسلمين ؛ كان هناك كثيرٌ من المستشرقين الذين أقبلوا على دراسة الإسلام وتعلُّم اللغة العربية وخدمة تراثهما بدافعٍ علميٍّ بحتٍ ، فمن الغمط لحقِّهم نكران جهودهم ، وجهودِ خدماتهم ، وقد أوقفوا حياتهم وطاقاتهم لدراسة العلوم الإسلامية ، ولتبنِّي الموضوعات الشرقية سواء أكان ذلك بتأثير العوامل السياسية والاقتصادية والدينية أو بدونها ، وقد ظهر كثيرٌ من نوادر العلم والمعارف ونفائسها بسبب عنايتهم ، والتي لم ترَ ضوءَ الشمس منذ قرون إلى طباعتها ونشرها ، فأصبحت مصونةً من الورثة الجاهلين وعاهة الأرضة ، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها قيمتها العلمية ومكانتها القيمة صدرت ولأول مرة بفضل جهودهم وعنايتهم واهتمامهم ، وقرَّتْ بها عيون العلماء . فمن الغمط لحقِّهم الإنكار عليهم وعلى خدماتهم ، فمنهم المتعصِّبون[1] ، ومنهم

= و« مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين » للعلامة أبي الحسن الندوي ، ص : ١٥ ـ ٢٦ .

(١) ومن أبرزهم :

١ـ **جولد زيهر** (المتوفى سنة ١٩٢٠م) : مجري يهودي ، من كتبه : « تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي » .

٢ـ د . س . **مرجليوث** (المتوفى سنة ١٩٤٠م) : انجليزيٌّ ، ومن كتبه : « التطورات المبكّرة في الإسلام » ، و« محمد ومطلع الإسلام » ، و« الجامعة الإسلامية » .

٣ـ د . ب . **ماكدونالد** (المتوفى سنة ١٩٤٣م) : أمريكيٌّ ، منصِّرٌ ، من كتبه : « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية » ، و« الموقف الديني والحياة في الإسلام » .

٤ـ **هنري لا مانس اليسوعي** (المتوفى سنة ١٩٣٧م) : فرنسيٌّ من محرِّري « دائرة =

المعتدلون[1] ، فالمتعصبون وهم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ من الرهبان والقسس والمبشِّرين الذين اشتغلوا بالاستشراق ، وهم الأغلبية مقارنةً بالصنف الثاني . وأمَّا المنصفون منهم فقد أقبلوا على الاستشراق بدافع حبِّ الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها

= المعارف الإسلامية » ، من كتبه : « الإسلام » و« الطائف » .

٥ـ ر .أ .**نيكولسون** (المتوفى سنة ١٩٤٥م) : إنجليزيٌّ ، من كتبه : « متصوفو الإسلام » و« التاريخ الأدبي للعرب » .

٦ـ س . م . **زويمر** (المتوفى سنة ١٩٥٢م) : من كبار المنصِّرين في هذا القرن ، وهو مؤسِّس « مجلة العالم الإسلامي الأمريكية » ، من كتبه : « الإسلام تحدٍّ للعقيدة » .

٧ـ **لوي ماسينيون** (المتوفى سنة ١٩٦٢م) : فرنسيٌّ ، من المنصِّرين النشيطين ، من كتبه : « الحلاَّج الصوفي الشهير في الإسلام » .

٨ـ **هـ .أ . ر . جب** (المتوفى سنة ١٩٦٥) : إنجليزيٌّ ، من كتبه : « المذهب المحمدي » و« الاتجاهات الحديثة في الإسلام » .

٩ـ **جوزيف (يوسف) شاخت** (المتوفى سنة ١٩٦٩م) : ألمانيٌّ ، من كتبه : « المدخل إلى الفقه الإسلامي » ، و« أصول الشريعة المحمدية » .

١٠ـ **أ . ج . أر . آربري** : إنجليزيٌّ ، من كتبه : « الإسلام اليوم » ، و« التصوّف ».

١١ـ **غ . فون . غرونباوم** : ألمانيٌّ يهوديٌّ ، من كتبه : « الأعياد المحمدية » و« دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية » .

١٢ـ **أ . ج . فينسنك** : من كتبه : « عقيدة الإسلام » .

(١) ومن أبرزهم :

١ـ **هادريان ربلاند** (المتوفى سنة ١٧١٨م) : هولنديٌّ ، له كتابٌ قيِّمٌ في السيرة بعنوان « الديانة المحمدية » في جزأين ، وضعته الكنيسة في قائمة الكتب المحرم تداولها لما فيه من بعض الإنصاف للإسلام ، والتبجيل لشخصية رسوله ﷺ .

٢ـ **يوهان ج . رايسكه** (المتوفى سنة ١٧٧٤م) : ألمانيٌّ ، اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من بعض جوانب الإسلام .

٣ـ **توماس آرنولد** (المتوفى سنة ١٩٣٠م) : إنجليزيٌّ ، من أساتذة شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال ، من كتبه : « الدعوة إلى الإسلام » .

٤ـ **زيغريد هونكه** : مستشرقة ألمانية طائرة الشهرة ، التي أبرزت تأثيرَ الحضارة الإسلامية على الغرب من خلال كتابها الشهير « شمس العرب تسطع على الغرب » .

وعاداتها وأخلاقها وثقافاتها ولغاتها ، واهتموا على وجه الخصوص بالدراسات الإسلامية والآداب العربية ، وقاموا بخدمة تراثهما محاولين في غاية النزاهة التحرُّرَ في بحوثهم العلمية من أثر العواطف الدينية ، وهؤلاء أقلُّ من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه ؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدسَّ والتحريف ، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم الرصين من أبحاث غالبية جمهور المستشرقين ، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته السامية ، وأمثلةُ هؤلاء كثيرة يصعب هنا ضربها . لذا لا بُدَّ للباحث الإسلامي من المراعاة لهذا الأمر عند الحكم على خدمات المستشرقين للتراث الإسلامي والعربي : أنَّ ليس كلٌّ منهم أقبل عليه فقط للدسِّ والتحريف والتشكيك في ديننا الحنيف ، ولانتقاضِ دوره في الثقافة الإنسانية ؛ بل منهم من كانوا مخلصين أيضاً في خدماتهم لتراثنا الديني والعربي .

ثانياً : الشيخ محمد حميد الله والاستشراق :

لقد قضى الشيخ حميد الله معظم حياته بين علماء الغرب ومستشرقيه ، ولم تكن معرفته بالاستشراق مستقاةً من الكتب فقط مثل كثيرٍ من علمائنا الشرقيين ، بل كانت معرفته به عن رؤيةٍ في غاية القُرب والوضوح ، وذلك بسبب إقامته في ألمانيا إبان دراسته في جامعة بون ، ثم بسبب زياراته لبعض البلاد الأوروبية بين الحين والآخر ، كذلك بسبب إقامته الطويلة في فرنسا ، فقد أتاحت له هذه الإقامةُ في تلك البلاد ـ التي تُعد من أكبر مراكز الاستشراق وقلاعها في أوروبة ـ فرصةً جيدةً للاطِّلاع على الاستشراق وأهدافِه ، كما

أتاحت له تلك الإقامةُ فرصةً كبيرةً لتوطيد صلته العلمية بكبار المستشرقين فيها ، فساعده ذلك في إدارك كُنْه الاستشراق وحقيقة المستشرقين مَن منهم يخدم تراثنا الديني والعربي ومن يعتدي عليهما ، ولم يكن الشيخ متسرِّعاً في الرد عليهم كبقية علمائنا الكثيرين دون الاعتراف بما قام به هؤلاء من خدماتٍ جليلةٍ في إبراز تراثنا الديني والعربي ، وقد لاحظتُ : أنَّه في نقده وردِّه على كتابات المستشرقين يراعي دائماً هذا الجانب المنصف ، وكان يرى : أنَّ الردَّ على الكثير من اعتراضات وتشكيكات ودسائس المستشرقين حول الإسلام والمسلمين لا يمكن بتنميق العبارات وتسويد الصفحات بالحماسة الهوجاء فحسب ، بل يحتاج ذلك إلى سعة الاطلاع على جميع العلوم الشرعية من تفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ ، ثم إلى دراسةٍ عميقةٍ للتاريخ الإسلامي ، والتضلعِ باللغات الأجنبية ؛ ليُتمكَّن من الرد عليهم بالبراهين القاطعة والدلائل الساطعة .

وبهذا المنهج الدقيق ، والأساس العلمي العميق ، سار الشيخُ في ردِّه على كتابات المستشرقين المشوِّهة لصورة الإسلام والمسلمين ، كما قام بدحض آرائهم الخبيثة وافتراءاتهم الكاذبة الجوفاء بكلِّ ما يتعلق بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم .

ومما يُستَحسن هنا سوق بعض النماذج من ردوده العلمية على اعتراضات بعض المستشرقين المتعصبين والمتحاملين على الإسلام والمسلمين ، ونقدِه النزيه على أخطائهم في كتاباتهم عن علومنا الشرعية . وها هي بعضُ تلك النماذج :

إزالته الشبهة حول تدوين الحديث :

الشيخ حميد الله ـ في حدود علمي الضعيف ـ أولُ باحثٍ ومحقِّقٍ قام بإزالة الشبهات والشكوك حول « تدوين الحديث النبوي الشريف » و« تدوين الفقه الإسلامي » .

أما « تدوين الحديث » فقد زعم المستشرقون : أنه بدأ في القرن الثاني والثالث الهجري ، ولذا لا يمكن الاعتماد الكامل عليه . فأزال الشيخ هذا الزعم الخاطىء والشبهة الفاسدة عن أذهان المستشرقين بتقديم الشواهد القاطعة والدلائل المفحمة على بدء تدوين الحديث في العهد النبوي ، كما تدلُّ على ذلك مقدمته العلمية النفيسة في تحقيقه « صحيفة همام بن مُنَبِّه » التي نشرها لأول مرة بتحقيقه في مجلة « المجمع العلمي العربي » الصادرة عن دمشق عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) .

وفي ذلك يقول العالم الشهيد الدكتور صُبحي الصالح في مقدمة كتابه : « علوم الحديث ومصطلحه » : « الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي في نظري الرائدُ الأولُ في تحقيق تدوين الحديث منذ نشر صحيفة همام بن منبه »[١] .

إبطاله ادعاء « جولد زيهر » في تحديد ترتيب الأحاديث على الأبواب الفقهية :

كتب المستشرق « جولد زيهر »[٢] مدعياً : أنَّ أول من سعى إلى

---

(١) طبع دار العلم للملايين ببيروت .

(٢) مستشرقٌ مجريٌّ يهوديٌّ ، معروفٌ بعدائه الشديد للإسلام وبخطورة كتاباته عنه ، رحل إلى سورية سنة ١٨٧٣م ، وتعرَّف على الشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدةً ، وانتقل=

ترتيب الأحاديث على الأبواب الفقهية[1] هو (ابن أبي ذئب)[2] ، ثم نفسُ ذلك الادعاء نقله منه بنَصِّه وفَصِّه المستشرقُ الألماني المعروف بروكلمان[3] في كتابه الشهير : « تاريخ الأدب العربي » .

وأبطل الشيخ حميد الله هذا الادعاء راداً عليهما : أنَّ ترتيب الأحاديث على الأبواب الفقهية قد تمَّ على يدي الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن الماجِشُون[4] ، ثم صوَّب الشيخ تاريخَ وفاة ابن أبي ذئب التي أرَّخها جولد زيهر سنة ١٣٠هـ ، مع أن الصواب ١٥٩هـ[5] .

تصويبه أخطاء « بروكلمان » في كتابه « تاريخ الأدب العربي » :

نسب المستشرقُ بروكلمان « صحيفة همام بن منبه » إلى

= إلى فلسطين ، فمصر ، حيث لازم بعضَ علماء الأزهر ، عُيِّن أستاذاً في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها عام ١٩٢٠م . له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية ، في الإسلام ، والفقه ، والأدب العربي .

(١) أفادني الدكتور محمد عجاج الخطيب ـ حفظه الله تعالى ـ بإفادةٍ قيمةٍ: أنَّ أول من رتَّب الحديث على الأبواب هو : عامر بن شراحيل (المتوفى سنة ١٠٣هـ) ، قال : « هذا باب من الطلاق جسيم إذا اعتدّت المرأة ورثت . وللإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (المتوفى سنة ١٢٢هـ) مسندٌ رتَّبه على أبواب العلم .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، المعروف بـ : « ابن أبي ذئب » ، تابعيٌّ من رواة الحديث ، من أهل المدينة ، كان من أورع الناس وأفضلهم في عصره ، توفي سنة ١٥٩هـ .

(٣) كارل بروكلمان (C. Brockelmmann) ألمانيٌّ ، تخرَّج باللغات السامية على أعلام المستشرقين أمثال : « نولدكه » ، ونبغ فيها ، وطارت له شهرة في فقه العربية وقراءتها قراءةً فصيحةً وكتابتها سليمةً ، وفي التاريخ الإسلامي وفي تاريخ الأدب العربي ، حتى عُدَّ مرجعاً بين المستشرقين ، وعُيِّن أستاذاً لها في عدة جامعات أوروبة ، كما أنه أُنتخب عضواً في المجامع الاستشراقية والعلمية في كل من الغرب والشرق ، ومن أشهر آثاره : « تاريخ الأدب العربي » . توفي سنة ١٩٥٦م .

(٤) من حُفّاظ الحديث الثقات ، كان وقوراً عاقلاً ثقةً ، يُعَدّ من فقهاء المدينة ، له تصانيف ، توفي ببغداد سنة ١٦٤هـ .

(٥) انظر : « الإمام أبو حنيفة وتدوين الفقه الإسلامي » ص : ٣٣ .

عبد الوهاب بن محمد إسحاق بن مَنْدَة[1] في كتابه « تاريخ الأدب العربي » ، ويقول بكل ثقة : إنها من مؤلفاته !

فردَّ الشيخ على مغالطته الفاحشة هذه مصوِّباً إياها : إن صاحب الصحيفة هو هَمَّام بن منبِّه[2] لا غيره كما هو معروف ، والذي رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه (المتوفى سنة ٥٨هـ) ، وإضافةً إلى ذلك فقد صوَّب الشيخ تاريخَ وفاة همام بن منبه عند بروكلمان في كتابه المذكور ، والذي أرَّخه ١٥١هـ ، مع أن الصحيح ١٠١هـ[3] .

رده على المستشرقين في زعمهم أنَّ الفقه الإسلامي متأثر بالقانون الرومي :

وفي حسبان بعض الغربيين : أنَّ المسلمين لم يكونوا قادرين على القيام بعملٍ عظيمٍ أو تحقيقٍ علميٍّ ، فرأوا أنَّ « الفقه الإسلامي » ما هو إلا نسخة محرَّفة من « القانون الرومي » ، وأنه ليس هو من وضع المسلمين أصلاً ، إنما هو من فضل الحضارة الرومية على الإسلام . كذلك من دعايات المستشرقين الكاذبة أيضاً : أنَّ فقهاء المسلمين استفادوا في تدوين الفقه الإسلامي من القانون الرومي ، فالقانون الإسلامي متأصّلٌ ومتأثّرٌ بالقانون الرومي .

فأقول : لا يخفى على دارس التاريخ : أنَّ الإمام أبي حنيفة

---

(١) من كبار حفاظ الحديث ، الراحلين في طلبه ، المكثرين من التصنيف فيه ، توفي سنة ٣٩٥هـ .

(٢) من ثقات التابعين ، من أبناء الفرس في صنعاء . كان يغزو . لازم أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ فأخذ عنه نحو (١٤٠) حديثاً ، وصنَّفه في رسالة عُرفت بـ : « صحيفة همام بن منبه » ، توفي سنة ١٠١هـ .

(٣) انظر « صحيفة همام بن منبه » (ص : ١٦ ـ ١٧) .

(المتوفى سنة ١٥٠هـ) رحمه الله تعالى ـ والذي يرجع إليه الفضل في تدوين الفقه الإسلامي ـ كان فارسيَّ الأصل ، وعربيَّ النشأة ، لكنه عاش حياته كلها في بلاد العراق والحجاز التي كان يسودها الإسلام ، وما كان المسلمون في حاجة إلى قانون مستورد وقتئذ ، وقد كان العلماء يحتكمون في قضايا المسلمين إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو إلى أقوال أصحابه رضي الله عنهم ، فلم يكن في ذاك العصر أيُّ أثرٍ من آثار القانون الرومي في تلك البلاد ، أو مترجَمٌ منه شيءٌ إلى العربية . وقد كتب الشيخ حميد الله في هذا الموضوع بحثاً علمياً قيماً باللغة الأردية بعنوان : « الإمام أبو حنيفة وتدوين الفقه الإسلامي » ، وبعضُ ما جاء فيه من النقاط المهمة جديرٌ بالنقل هنا ، يقول رحمه الله تعالى :

« أنا على علمٍ تامٍّ بأنَّ القانون الرومي كان مقسَّماً إلى ثلاثة أبواب : الأول القانون الشخصي ، والثاني : قانون الأشياء ، والثالث : قانون المعاملات . وكان من أصول وأساسيات هذا القانون الفصلُ بين العبادات والمعاملات ، بينما القانون الإسلامي الذي دوَّنه الإمام أبو حنيفة ؛ كان مقسَّماً إلى العبادات والمعاملات والجنايات ، فترتيبُ أبواب القانون الرومي على العكس تماماً عن ترتيب أبواب القانون الإسلامي في الأصول والأساس ، وبذلك يتضح الفرق الواسع بين القانون الرومي والقانون الإسلامي[1] .

ثم الشكوك والشبهات التي أثارها المستشرقون حول تدوين الفقه الإسلامي لا دليل لهم في زعمهم ذاك ، سوى هذه الحجة

---

(١) انظر : « الإمام أبو حنيفة وتدوين الفقه الإسلامي » ص : ٥١ و«Codification of Muslim Law by Imam Abu Hanifa» PP:37 .

الضئيلة بأن المسلمين فتحوا بلاد الروم قبل تدوين الفقه الإسلامي ، ومن الممكن أنهم قد استفادوا من القانون الرومي ، فأبطل الشيخ حميد الله هذه الحجة أيضاً بتقديم عدة ردود عليها ، وهي كما يلي :

١ ـ إنَّ مصدر القانون الإسلامي الذي يُعتمد عليه بعد كتاب الله هو سنة النبي ﷺ ولا ثالثَ له ، والنبيُّ ﷺ لم يرحل قطّ بعد بعثته إلى تلك البلاد التي كان يسودها القانون الرومي آنذاك ، ولا علاقة له مع اللغة التي وُضع فيها القانون الرومي .

٢ ـ كان مهبط الوحي ومنبت الإسلام هو الحجاز ، ومن البديهي أن القانون الإسلامي لم يتأثر إلا بعادات أهل الحجاز ، وكانت منطقة الحجاز بعيدةً كل البعد عن التأثير الرومي .

٣ ـ إنَّ جميع المذاهب الفقهية ـ من الموجودة والمهجورة ـ كلها نشأت في بلاد غير رومية كالحجاز والعراق وفارس ، فكيف تتأثر تلك المذاهب بالقانون الرومي الذي كان حِلْسَ بلاد الروم فقط ؟

٤ ـ من المحتمل أن يعترض أحدُ هؤلاء المستشرقين أنَّ علماء الإسلام قد تأثّروا في تدوين الفقه بالقانون الرُّومي ، لأجل أنَّ دمشق التي كانت جزءاً لا يتجزّأ من بلاد الروم قبل الإسلام ، قد كان يسودها القانون الرومي ، ثم أصبحت عاصمةً للدولة الأموية بعد الفتوحات الإسلامية .

فنردُّ عليهم قائلين : بأنَّ علماء ذاك العصر ـ والذي

كانت دمشق فيه حاضرةَ الدولة الإسلامية ـ قد ركَّزوا في دراساتهم التي اهتمّوا بها غاية الاهتمام ، وأَوْلوها جُلَّ جهودهم وعنايتهم هي تلك العلوم المتعلّقة بتفسير كتاب الله وشرحِ السنة النبوية وتدوينِ تاريخ الإسلام ، والخوضِ في المجالات العلمية البحتة كعلوم الطِّبّ والفلسفة وغيرِها أكثرَ بكثيرٍ من تركيزهم على العلوم الفقهية وما يُصاحِبها من مذاهب شتّى وفروعٍ مختلفةٍ .

٥ ـ لا يوجد في الفقه الإسلامي أيُّ مصطلحٍ معرَّباً من اللغات الأخرى ، بخلاف مصطلحات الطِّب والمنطق والفلسفة والجغرافية والرياضيات التي عُرِّبت من اللغات الكثيرة ، بينما مصطلحات الفقه الإسلامي كلها مأخوذة ومستمدة من القرآن والحديث .

٦ ـ لا نجد دليلاً على أنَّ أيَّ كتابٍ من كتب القانون الأجنبي قد تُرجم إلى اللغة العربية إبان تدوين الفقه الإسلامي بخلاف العلوم الأخرى ، كذلك لم يكن يوجد في ذاك الوقت أيُّ فقيهٍ بارزٍ من فقهاء الإسلام أتقن اللغات اللاتينية واليونانية والسريانية لدراسة القانون الرومي .

٧ ـ جميع الفقهاء المشهورين قد وُلدوا في بلاد غير رومية، وكان أكثرهم من بلاد الحجاز وفارس والترك والشام.

٨ ـ لقد أخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أصولَ الضرائب من بلاد غير رومية ، وكانت هذه الطريقةُ رائجةً في بلاد فارس وحدها .

٩ ـ لمَّا خرج المسلمون للجهاد في عصر الخلافة الراشدة غلبوا على الروم وفارس وغيرها من البلاد في زمن واحد ، فادِّعاءُ المستشرقين بأنّ المسلمين تأثـروا بالروم دون البلاد الأخرى ؛ ترجيحٌ بغير مرجِّح وقولٌ بلا دليل .

١٠ ـ إنَّ الحضارة الإسلامية تختلف كل الاختلاف عن الحضارة الرومية في عقيدتها وحدودها وقوانينها .

١١ ـ لـم يكـن القـانـون الـرومـي سـائـداً فـي دولـة البيزنطيين التي فتحها المسلمون في البداية ، اللهم إلا في بعض المناطق التي كان القانون فيها في أيدي الأساقفة ورجال الكنيسة وحدهم ، بينما العامة من المسيحيين لم يكونوا يرجعون إليهم لأجل أنَّ القانون الذي يحتكمون إليه كان غيرَ مسيحيٍّ[١] .

وقد أتى الشيخ بالدلائل القاطعة والحجج الدامغة لإثبات أن الفقه الإسلامي مأخوذ من الكتاب والسنة وحدهما بأسلوب علمي رصين مقنع ، والذي يدلُّ على سعة اطلاعه على القانون الرومي والإسلامي معاً وعلى مصادرهما أيضاً . فبعد هذه الردود الواضحة لم يبق لدى المستشرقين أيُّ مدخل ليدخلوا هذا الموضوع معترضين أو مشكِّكين في أصالة الفقه الإسلامي بزعمهم بأنه متأثرٌ أو مأخوذٌ من القانون الرومي .

---

(١) انظر : « الإمام أبو حنيفة وتدوين الفقه الإسلامي » ص : ٥٧ و٥٩ ، وانظر كذلك :
«Codification of Muslim Law by Imam Abu Hanifa» PP: 39-40.

إثباته صحة الرسائل النبوية :

لقد أثارت فئةٌ من المستشرقين الشبهات حول ستة رسائل من العهد النبوي ، فألف الشيخ كتاباً قيماً باللغة الفرنسية في الرد عليهم وإزالة شبهاتهم حولها باسم : «Six Orginiaux Des Diplomatiques Du Prophete De Islam»، وردَّ فيه رداً علمياً على من يشكّون في صحتها من المستشرقين أمثال : فلايشر(١)، والكايتاني(٢)، وبيكر(٣)، ونولدكه(٤)، ودنلوب(٥)

---

(١) فلايشر (H.L.Fleischer) : من كبار المستشرقين المُلِمِّين بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية ، عُرف بعُلوّ كعبه في العلوم والمعارف ، عُيِّن أستاذاً للغات الشرقية في جامعة درسدن ، أسَّس الجمعية الشرقية الألمانية في هالة عام ١٨٤٥م ، والتي قد نشرت الكثير من الكتب العربية المشهورة ، وقد نال طلابه على يده شهرةً واسعةً ، وعُرف في ألمانيا بأنه مؤسِّس الدراسات العربية المنظَّمة ، وله مصنفات كثيرة ، منها : « تاريخ العرب قبل الإسلام » ، توفي سنة ١٨٨٨م .

(٢) الكايتاني ، الأميرليوني (Leone Caetani) : من روما ، تخرَّج في جامعاتها ، وتعلَّم سبعَ لغات منها العربية والفارسية ، وتقلَّد سفارةَ إيطاليا في واشنطن ، ورحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان، وجمع مكتبةً شرقيةً زاخرةً بالمخطوطات النفيسة، وعُدَّ بمؤلفاته أكبرَ مستشرقٍ في التاريخ العربي ، ومرجعاً صحيحاً لكثير من العلماء لما اشتهر به من عُمقٍ وسعةٍ ودقةٍ ، وله مؤلفات كثيرة وترجمات عديدة، توفي سنة ١٩٢٦م.

(٣) بيكر، كارل هنريخ (C.H.Becker) : من أمستردم، تخرَّج باللغات الشرقية على المستشرقين: بتسولد ويوليوس بارث، وعُيِّن أستاذاً لها في جامعة هامبورج ثم في جامعة بون ، وقد اشتهر بتضلُّعه في التاريخ الإسلامي ، وبدراسته عن أثر العوامل الاقتصادية والتفاصيل التاريخية والعناصر الإغريقية والنصرانية في الحضارة الإسلامية، كما عُني بتاريخ مصر الإسلامي ، وأنشأ مجلّة « الإسلام » باسم (Islam der) ، عُدَّ مؤرخاً بحَّاثةً من الطراز الأول ، وله مؤلفات وتحقيقات كثيرة ، توفي سنة ١٩٣٣م .

(٤) نولدكه ، ث (Th. Noldeke) : من هامبورج ، تعلَّم اللغات السامية والفارسية والتركية والسِّنْسكريتية ، ودَرَس في جامعات ليبزيج وفيينا وليدن وبرلين . وعُيِّن أستاذاً للغات السامية والتاريخ الإسلامي في جوتنجين ، ثم في عدة جامعات في أوروبة ، أنشأ مركزاً للدراسات الإسلامية في ألمانيا ، وقد تخرَّج عليه كبارُ المستشرقين أمثال بروكلمان ، توفي سنة ١٩٣٠م .

(٥) دنلوب ، دوجلاس مورتون (Morton Douglas Dunlop) : من بيزلي من أعمال =

وغيرهم .

تصحيحه لأخطاء المستشرقين في ترجمة « صحيح البخاري » إلى الفرنسية :

ترجمت جماعةٌ من المستشرقين « صحيحَ البخاري » إلى الفرنسية ، ولكن وقعت في الترجمة أخطاء كثيرة ، منها ما كانت عمداً ، ومنها ما كانت سهواً ، فقام الشيخ بتصحيح أخطائهم وتحريفاتهم في هذه الترجمة دون أيِّ نقدٍ لاذعٍ لهم ، وقد اكتفى بتنبيهات لطيفة إلى أخطائهم في الترجمة ؛ لأنه كان يعترف بأنَّ عملية ترجمة هذا الكتاب إلى الفرنسية ليست بتلك السهولة التي قد تتبادر إلى الذهن ، فجهدهم مشكور من هذه الناحية وإن لم تكن تلك الترجمة قد خلت من دسائسهم وتحريفاتهم التي وقعت بتعمد كان أو سهواً . وقد طُبع هذا التصحيح في باريس في (٦٠٠) صفحة .

رده على المستشرق « شاخت » :

وُجِّهت إلى الشيخ دعوةٌ للمشاركة في حفل ذكر « الإمام السَّرَخْسِي »[1] ، والذي انعقد بأنقرة في تركيا ، وكان من المشاركين فيه المستشرق يوسف شاخت[2] . فلما ألقى شاخت محاضرته أدلى

= رينفوشاير ، تخرَّج بالدراسات الكلاسيكية من جامعة أكسفورد ، وبالدراسات العبرية والعربية من جامعة جلاسجو ، وبالعربية والاستشراق من جامعة بون ، عُيِّن أستاذاً في عدة من الجامعات الأوروبية ، وكانت أكثر عنايته بتاريخ العرب والفلسفة العربية وإسبانيا المسلمة ، توفي بعد الثمانينات .

(١) هو محمد بن أحمد بن سَهْل ، أبو بكر السَّرْخسي ، الملقَّب بـ : « شمس الأئمة » ، من كبار الأحناف ، ومن علماءهم المجتهدين ، من أشهر كتبه : « المبسوط » في الفقه والتشريع ، أملاه وهو سجينٌ ، توفي سنة ٤٨٣هـ .

(٢) يوسف شاخت ، مستشرقٌ هولنديٌّ ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، =

فيها ببعض آرائه في نقد الحديث والفقه ، والتي تخبَّط فيها خبط عشواء كعادته . فقام الشيخ بتصحيح أخطائه والردِّ عليه رداً مفحماً في ذاك الحفل ، فقبل منه شاخت تلك الردود شاكراً ، وسجَّلها عنده[1] .

وغيرُ ذلك من الردود والانتقادات الكثيرة له على المستشرقين ، والتي نجدها في ثنايا كتبه ومقالاته وبحوثه وتحقيقاته ، ومن الصَّعب حصرُ جميعها هاهنا لعدم سعة المقام إلى ذلك .

= درس اللغات الشرقية ، وتخصَّص بالعربية ، قام بتدريس اللغات الشرقية مدةً في الجامعة المصرية . درَّس في جامعة أكسفورد وجامعة الجزائر فجامعة ليدن (بهولندا) ، له مؤلفات باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية في تاريخ الأدب العربي ، والفقه الإسلامي . وهو أحدُ محرِّري « دائرة المعارف الإسلامية » ، ومعروفٌ بتحامله الشديد على الإسلام والمسلمين . توفي سنة ١٩٧٠م .

(١) انظر مقال الدكتور عبد الرحمن مؤمن ، المنشور في مجلة « المآثر » الصادرة عن أعظم كره (الهند) ، عدد مايو ، ويونيو ، عام ٢٠٠٣م ، ص : ٦٤ .

اعتناؤه بالمخطوطات جمعاً وتحقيقاً

لقد ترك العلماء المسلمون نتاجاً فكرياً ضخماً في شتَّى حقول العلم والمعرفة الإنسانية مستمدين أصولهم في ذلك كله من القرآن الكريم والسنة النبوية مع إعمال عقولهم في فهمهما وحسن الاستنباط منهما ، ورغم أنهم لم يهملوا العلوم الدنيوية المادية كعلم الطِّبّ والفلك والرياضيات وغيرها ، إلا أنَّ أكثر نتاجهم الفكري يتعلق بعلوم القرآن والعقائد والحديث والفقه وأصولهما حيث أنَّ نظام الدولة وكيان المجتمع وشخصية الفرد يقوم على هذه العلوم . وقد تعرَّضت هذه المؤلفات إلى عوادي الزمن ، ففقد كثيرٌ منها إما بسبب اجتياح الغزاة للعالم الإسلامي كما حدث في غزو المغول للعراق ، وكما حدث في الأندلس بعد سيطرة الإسبان عليها وإحراقهم لآلاف الكتب العربية ، أو بسبب الفتن الداخلية والعصبيات العقدية والمذهبية ، أو بسبب إهمالها وعدم العناية بها من الآفات الطبيعية .

لكن رغم ذلك كله فقد سلمت ملايين المؤلفات ووصلت إلينا كاملةً كانت أم ناقصةً ، وقد طُبع عدد كبير منها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على تفاوت في مستوى النشر من الناحية العلمية ، فبعضها حُقِّق تحقيقاً علمياً رصيناً ، وبعضها لم يكن كذلك بل كان لأجل مقاصد تجارية ، لكن رغم ذلك فإن عدداً ضخماً من

المخطوطات النادرة لا تزال غيرَ منشورةٍ بل هي في عداد المفقودات ، وتُعتبر بعض هذه المخطوطات ذات قيمة علمية رفيعة جداً لكونها أصولاً في الفنون التي تناولتها .

ومما يدعو إلى الغرابة ويدفع المرءَ للأسف على إهمال أفراد أمتنا ؛ إذ إن هناك تقصير واضح في تحقيق الكثير من المخطوطات النادرة وإخراجها من ظلمات خزائنها لترى النورَ عن طريق تحقيقها فطباعتها فنشرها ، وعلى سبيل المثال : أليس من الأمور المستغربة أن يقرأ العرب فترةً طويلةً أقدمَ كتابٍ في الأنساب العربية وهو « جمهرة أنساب العرب » لهشام بن محمد المعروف بابن الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) باللغة الألمانية ـ وإن كان هذا الكتاب قد صدر أخيراً بالعربية ـ !؛ لأن الألمان ترجموه إلى لغتهم ونشروه قبل أن يفكر العرب في نشره ؟ ثم أليس من التقصير أن ينشر اليهود كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ) ويضعون عليه عبارة « طُبع في أورشليم » ونحن نقرأ طبعته مغرمين لأنها الوحيدة التي في مكتباتنا ، ولم نقدم على نشره سوى ما يتعلق بالسيرة النبوية التي أخرجها الشيخ حميد الله[١] رغم أهميته في دراسة تأريخنا باعتباره المصدر الثاني في ضخامته بعد الطبري ؟ والأمثلة على ذلك كثيرة .

لقد بدأت الكتب تُطبع في المطابع منذ أن اخترعت الطباعة على يد جوهانس جوتنبرج[٢] في إطار الحضارة الغربية سنة ١٤٤٢م ، ثم

---

(١) سيأتي ذكره في ضمن تعريف تحقيقات الشيخ ، في الفصل الثالث ، في صفحة (١٦٧) .

(٢) ألمانيٌّ ، والذي اخترع القالبَ المطبعيَّ الذي جعل الطباعة من حروف معدنية متحرّكة آلية لأول مرة ، توفي في عام ١٤٦٨م .

في أعقاب اتصال الغرب بالشرق وسيطرته السياسية والعسكرية على العالم الإسلامي ، وربما قبل ذلك تمَّت دراسة مجموعات كبيرة من المخطوطات العربية من قبل المستشرقين الذين كانوا قد أتقنوا العربية إما في بلادهم ، أو تعلموها عند قدومهم في الحملات العسكرية والمهمات الدبلوماسية إلى منطقة العالم الإسلامي . وكان هؤلاء المستشرقون يمتلكون حماساً عجيباً في الاهتمام بالكتب العلمية والمخطوطات النادرة ، ويبذلون لأجلها الغالي والثمين من أموالهم فيقومون في بعض الأحيان بشراء النسخ الأصلية لتلك المخطوطات ، وهذا هو السببُ الذي جعل بعضَ المخطوطات لا توجد إلا في مكتبات ومتاحف الغرب ، مثل : مكتبة المتحف البريطاني ، ومكتبة شستربتي في دبلن بأيرلندا ، ومكتبة برلين الغربية ، ومكتبة هالا في ألمانيا الشرقية ، ومكتبة لايبسك في ألمانيا الشرقية ، وفي مراكز الاستشراق الروسية ، وفي مكتبة الأسكوريال الإسبانية في دير الأسكوريال القريبة من مدريد ، وفي المكتبة الوطنية في باريس ، ومكتبة ليدن في هولندا . فالزائر لهذه المكتبات يمكن أن يجد مخطوطات نادرة لا وجود لها في مكتبات العالم الإسلامي الشرقي ، وهذا لأنهم كانوا يشترون هذه المخطوطات وينقلونها إلى بلادهم ، أو تقع بأيديهم ضمن غنائم الحرب في الحملات العسكرية[1] .

وقد وصلت إلى بلاد شبه القارة الهندية نفائسُ المخطوطات ونوادرُها بوسائل كثيرة وطرق شتّى في عدة مراحل تاريخية لهذه

(١) انظر : « مناهج البحث وتحقيق التراث » للدكتور أكرم ضياء العمري ، ص : ١١٩ - ١٢٠ .

البلاد ، فمن هذه المخطوطات ما حملها العلماء الفارّون من هجوم التتار على بغداد ، ومنها ما نسخها علماؤنا الهنود في أثناء رحلاتهم إلى البلاد العربية ، ومنها ما اشتراها الملوك والأمراء أمثال الأمير صديق حسن خان القَنُّوجي(١) ، فهكذا تواجدت على هذه البقعة مكتبات كثيرة تناثرت في أرجائها المعمورة(٢) ، والتي لا تزال تحوي

---

(١) أحدُ كبار العلماء في العالم الإسلامي ، وأميرُ ولاية « بهوفال » الإسلامية ، وكان من هؤلاء الأفذاذ النوابغ الذين جمعوا بين أشتات الفضائل ، وأنواع المحامد والشمائل ، جمع بين الرئاستين العلمية والعملية لا يأتي إلا لأفراد الناس في فترات قليلة ، وقد استطاع في عهد إمارته أن يشتري المخطوطات النفيسة والنادرة بأثمان خيالية ، ومن مآثره التي لا تُنسى ولا يغمط حقّها : أنه أول من طَبَع « تفسير ابن كثير » (مع كتابه : فتح البيان) ، و« فتح الباري » للحافظ ابن حجر ، في مطبعة بولاق في مصر ، وأهداهما إلى أهل العلم ، والمشتغلين بالحديث في العالم الإسلامي كلّه . وله من المؤلَّفات ما تزيد على ثلاثمئة ، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٣٠٧هـ .

(٢) من أشهرها :

١ـ دار الكتب الآصفية في حيدر آباد : والتي تُعتبر من أجمع دور الكتب في العالم لنفائس المخطوطات .

٢ـ ومكتبة متحف سالارْ جَنْغ : وهي من المكتبات الشهيرة في الهند ، تمتلك (٧٦٥٠) مخطوطة نادرة .

٣ـ ومكتبة دار العلوم لندوة العلماء : والتي تمتلك خمسة آلاف مخطوطة ، منها ألفان بالعربية في مختلف علوم العربية الإسلامية .

٤ـ ومكتبة رضا في رامفور : والتي تمتلك من المخطوطات ما يزيد على عشرة آلاف مخطوطة .

٥ـ ومكتبة خدابخش في بَتْنَه : والتي تمتلك نفائسَ المخطوطات ونوادرها في مختلف العلوم والفنون من التفسير والحديث والفقه والعقائد وسائر العلوم الإسلامية ، ماتزيد على ثلاثة آلاف وثمانمئة وعشرين مخطوطة .

٦ـ ومكتبة طُونْك : فيها عدد كبير من المخطوطات النفيسة في مختلف العلوم والفنون ، ولكنها غير معروفة .

وغير ذلك المكتبات الكثيرة مثل : مكتبة الجمعية الآسيوية في كَلْكَتَّه ، ومكتبة بوهار في كلكتّه ، وخزانة المولوي فيروز في مومباي ، والمكتبة العمومية في بانليبور ، =

بين جنباتها الكثيرَ من نفائس المخطوطات ونوادر الكتب التي يندر نظيرها اليوم في العالم الإسلامي كله .

وقد عُرف أفراد أسرة الشيخ حميد الله بولعهم الشديد بجمع نوادر المخطوطات واقتناء نفائس الكتب ، فتواجدت في هذه الأسرة مكتبات قيمة تزخر بها ، وقد نسخها كثيرٌ من أفرادهم وحفظوها في مكتباتهم الخاصة ، ويبلغ عدد مجموعة تلك المخطوطات والكتب المنسوخة بالأيدي أكثر من خمسين ألف مخطوطة وكتاب ، وكان من أهم هذه المخطوطات في مكتبات هذه الأسرة المخطوطات التالية :

١ ـ مخطوطة كتاب « غريب الحديث » للإمام أبي عُبَيد القاسم بن سلام الهَرَوي (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ)، وهو أقدمُ كتابٍ وصل إلينا في غريب الحديث ومفرداته ، وقد حقَّق هذه المخطوطةَ الدكتور محمد عبد المعيد خان (المتوفى سنة ١٩٧٣م)، وقامت بطباعتها دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الدَّكَن).

٢ ـ ومخطوطة « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للحافظ أبي يوسف جمال الدين المِزّي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٢هـ) ، والتي حقَّقها بعد الشيخُ عبد الصمد شرف الدين (المتوفى سنة ١٤١٦هـ) معتمداً على هذه النسخة التي كانت ملكاً لأفراد أسرة الشيخ ، ثم قام بنشرها من مطبعة الدار القيمة بممباي (الهند) عام ١٩٦٥م ، في أربع عشرة مجلدةً .

= ومكتبة حكومة الهند الشرقية في مَدْراس .

٣ ـ ومخطوطة « كتاب أحكام أهل الذِّمة » للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكرالمعروف بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة الدمشقي (المتوفى سنة ٧٥١هـ) ، والتي نُسخت عام سنة ٨٦٩هـ ، وهي مخطوطة فريدة لا يوجد لها مثيلٌ في العالم ، وقد أعطاها الشيخ حميد الله إلى صديقه الفاضل العالم الشهيد الدكتور صبحي الصالح (المتوفى سنة ١٤٠٧هـ) ليقوم بتحقيقها ، فطُبعت بتحقيقه الدقيق وتعليقاته الطيبة في مجلدتين مع مقدمة علمية قيمة للشيخ .

٤ ـ ومخطوطة كتاب « المصباح المضيء في كُتّاب النبيّ العربي الأُمِّي » لابن حديدة الأنصاري (المتوفى سنة ٧٨٣هـ) ، وهي مخطوطة وحيدة فريدة تمتلكها هذه الأسرة ، وقد طبعتها دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد .

٥ ـ ومخطوطة تفسير « تبصير الرحمان وتيسير المنان » للشيخ مخدوم علاء الدين علي بن أحمد المهائمي (المتوفى سنة ٨٣٥هـ) ، والتي طُبعت في دلهي عام ١٢٨٦هـ في مجلدتين ، ثم صدرت له طبعةٌ عن مطبعة بولاق عام ١٢٩٥هـ ، من أهمِّ ميزات هذا التفسير : أنَّ صاحبه اهتم فيه اهتماماً كبيراً بعلم المناسبات ؛ حيث أبان فيه وجود المناسبة بين الآيات القرآنية مع بعضها البعض ، وكذلك المناسبات بين سور القرآن مع بعضها البعض .

وغير ذلك من المخطوطات الكثيرة التي يصعب حصرها

هاهنا ، وقد صَوَّرَتْ بعضُ المكتبات الكبرى والمنظَّمات الثقافية ومراكز البحث والتحقيق الموقَّرة في العالم (مثل : دائرة المعارف العثمانية ، ومجلس إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد ، ومنظَّمة يونيسكو العالمية ، ومكتبة جامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومركز جمعة الماجد للثقافة بدبي وغيرها) أهمَّ مخطوطات مكتبات هذه الأسرة ، وقد ضمَّ أحدُ أفاضل هذه الأسرة بعضَ مكتباتها إلى مكتبة واحدة ، والتي تقع في مدينة « حيدرآباد » وتُعرَف بـ« المكتبة السعيدية » ، وهي الآن في حيازة الأستاذ أحمد عطاء الله وإخوته ، وكلهم أبناء أخي الشيخ .

فلا غرابة في توارث الشيخ حميد الله هذا الشغفَ بالمخطوطات والولعَ بها جمعاً وتحقيقاً ؛ إذ هو من نبغاء هذه الأسرة العلمية ، ثم إنَّ تلمذته على المحقق البارع العلامة الجليل الشيخ أبي الوفاء الأفغاني[١] وملازمته له طيلة أيام دراسته في المدرسة النظامية وفي الجامعة العثمانية ؛ مكَّنته من التعامل مع المخطوطات نسخاً وتحقيقاً في سِنِّه المبكر . وعندما بعثته الجامعة العثمانية إلى تركيا في عام ١٩٣٢م للاطلاع على المخطوطات الموجودة في مكتباتها ؛ أُتيحت له فرصةٌ جيدةٌ للاطلاع على نوادر المخطوطات ونفائسها ، وكثيرٌ منها لم يَسْبِق الاطلاعُ عليها لأحد غيره . ثم سنحت له فرصةُ زيارةِ هذه البلاد مراراً وتكراراً كأستاذ زائر في جامعاتها ، أو ضيفٍ مشاركٍ في الندوات والمؤتمرات العلمية المنعقدة فيها بين الحين والآخر ، فاستطاع الشيخ خلال هذه الزيارات لهذه البلاد أن يغربل مكتباتها

(١) لقد سبقت ترجمته في الفصل الأول ، انظر صفحة (٣٧) .

بحثاً عن المخطوطات والكتب ، فكان من عادته عقب كلِّ زيارةِ مكتبةٍ من مكتبات هذه البلاد أن يكتب رسالةً إمّا إلى أستاذه الكبير وشيخه الجليل الشيخ أبي الوفاء الأفغاني ، أو إلى المحدِّث الكبير والمحقق البارع الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي[1] ، يُطلعهما فيها على ما وقعتْ له من النوادر والنفائس من المخطوطات في مكتبات تركيا ، كما يدلُّ على ذلك الكثير من المراسلات التي كانت بينه وبين هذين الشيخين الجليلين .

كما اكتشف الشيخ أثناء زياراته لمكتبات تركيا كثيراً من المخطوطات النادرة التي كان في حسبان كبار العلماء : أنها من المفقودات أو المجهولات ، فعلى سبيل المثال : الجزء الثالث من « تاريخ بخارى » الذي كانت تبحث عنه دائرةُ المعارف العثمانية بحيدرآباد منذ أمد طويل في ذلك الوقت ، لكنها لم تظفر به ، فوجده الشيخ في مكتبة أحمد الثالث في توب قبو سراي ، كما وجد فيها « التواريخ والأنساب » للإمام البخاري ، و« الكنى والأسامي »

---

(١) هو المحدِّثُ الجليل ، والمحقّقُ الضليع ، والعلامةُ البحَّاثة النقَّادة ، والحافظ الحُجَّةَ : الشيخ حبيب الرحمن بن محمد صابر عناية الله الأعظمي ، من أكبر المحدِّثين في عصره على الإطلاق ، درس العلومَ الإسلامية والعربية على أساتذة أجلاء في دار العلوم دِيُوبند وغيرها ، وقضى شَطْرَ عمره في التدريس والتأليف ، اشتهر في العالم الإسلامي بتمكُّنه من جميع فنون الحديث .
وقف على نفائس مخطوطات فحقَّقها ، منها : « مسند الحُمَيْدي » ، و« المصنَّف » لعبد الرَّزَّاق ، و« السُّنَن » للحافظ سعيد بن منصور ، و« الزهد والرقائق » لعبد الله بن المبارك ، و« مجمع بحار الأنوار » للشيخ محمد طاهر الفَتَّني ، و« المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لابن حجر العسقلاني ، و« المصنَّف » لابن أبي بكر شيبة وغيرها . ومن تأليفاته : « الحاوي على رجال الطحاوي » .
توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمسقط رأسه « مَئوْ » عام ١٤١٢هـ . (انظر ترجمته الموسَّعة في كتابنا « أعلام المحدِّثين في الهند » ص : ١٣٤ ـ ١٥١) .

للإمام مسلم ، وكذلك وجد في مكتبة جامع السلطان سليم بأدِرْنة نسخةً نادرةً لـ : « كتاب المبسوط » للإمام السرخسي ، و« مشكل الآثار » للإمام الطحاوي ، وغير ذلك من المخطوطات الكثيرة التي يرجع إليه الفضل في كشفها في مكتبات تركيا . كما سلَّم الشيخ كثيراً من تلك المخطوطات إلى دائرة المعارف العثمانية للتحقيق والطباعة ، وقد استطاعت دائرة المعارف أن تحصل بواسطته على الكثير من نوادر المخطوطات من المكتبات في تركيا وفي أوروبة .

وأما المخطوطات التي كشفها الشيخ لأول مرة ثم طبعها بتحقيقه وتعليقاته فهي كما يلي :

١ ـ **صحيفة همَّام بن مُنَبِّه** : للتابعي الجليل همام بن منبه (المتوفى سنة ١٠١هـ) .

٢ ـ **سيرة ابن إسحاق المعروفة بـ : « كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي »** : لمحمد بن إسحاق بن يسار المدني (المتوفى سنة ١٥١هـ) .

٣ ـ **السير الكبير** : للإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن بن فَرْقَد الشَّيْباني (المتوفى سنة ١٨٩هـ) .

٤ ـ **كتاب الردة** : لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧هـ) .

٥ ـ **كتاب الأمثال وما جاء : اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسمّيا به** : لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥هـ) .

٦ ـ **كتاب الأنواء في مواسم العرب** : لأبي محمد عبد الله بن

مسلم المعروف بابن قتيبة الدِّيْنَوَرِي (المتوفى سنة ٢٦٧هـ) .

٧ ـ **أنساب الأشراف** : لأبي الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩هـ) .

٨ ـ **كتاب النبات** : لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى سنة ٢٨٢هـ) .

٩ ـ **كتاب المعتمد في أصول الفقه** : للقاضي أبي الحسين البصري المعتزلي (المتوفى سنة ٤٢٦هـ) .

١٠ ـ **غياث الأمم** : لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (المتوفى سنة ٤٧٢هـ) ، لم يُطبع .

١١ ـ **كتاب الذخائر والتحف** : للقاضي رشيد بن زبير الغساني (المتوفى سنة ٥٦٣هـ) .

١٢ ـ **كتاب السرد والفرد في صحائف الأخبار ونسخها المنقولة عن سيد المرسلين محمَّد ﷺ** : لأبي الخير أحمد إسماعيل بن يوسف الطالقائي القزويني (المتوفى سنة ٥٩٠هـ) .

١٣ ـ **معدن الجواهر في تاريخ البصرة والجزائر (جزائر الخليج العربي الفارسي)** : لابن العراق نعمان بن محمد (من علماء القرن العاشر الهجري) .

وسيأتي تعريفُ كلٍّ من هذه المخطوطات في الفصل الثالث .

تضلُّعه من لغات العالم الراقية

اللغة أيّاً كانت تُعتبر أقوى أداةٍ للإفصاح والتعبير عما يجول في الخواطر ويستكين بالضمائر من أحاسيس ومشاعر ، وبها يتمكن الإنسانُ من الإفادة والإبانة للمعاني السامية والعواطف النبيلة ، فكلما ازدادت دائرةُ الإلمام باللغات ؛ توسعت لدى الإنسان المعارف ، وتفتحت عليه عوالم الحكمة الغامضة . ومعرفة اللغات نعمةٌ من نِعَمِ الله عزَّ وجلَّ العزيزة على الإنسان كما جاء في معرض خطاب سليمان عليه السلام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النمل : الآية : ١٦] .

ثم إنَّ تعلُّم اللغات هو من حثّ النبيِّ ﷺ كما جاء في حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أتُحْسِنُ السُّرْيانيّة ؟ » قلت: لا ، قال : « فتعلَّمْها ، فإنه تأتينا كتبٌ » ، قال: فتعلّمتُها في سبعة عشر يوماً(١). وفي رواية عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلَّم السريانية »(٢) ، وذلك لأن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يتحدث إلى من ينطق بغير العربية ؛ طلب ترجماناً له إلى العربية .

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه : (١٦/ ٨٤) برقم : (٧١٣٦) .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الاستئذان ، باب ماجاء في تعليم السريانية ، برقم (٢٧١٥) .

وديننا الإسلامي دينٌ عالميٌّ ، حيث تتطلب عالمية هذا الدين أن يعمَّ نوره كلَّ بقعة من بقاع الأرض المعمورة ، فالمسلمون مطالبون بأن يقوموا بنشر رسالته السمحة في العالم كله ، وأن يحملوا لواء هذه الشريعة الغرَّاء من أقصى الأرض إلى أقصاها ، فيبلِّغوها إلى كافة الناس على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم ، ومن هذا المنطلق نجد الشيخ حميد الله قد أدرك هذه الحقيقة إدراكاً جاداً حيث كرَّس حياته منذ مقتبل عمره وعنفوان شبابه لتعلم اللغات الأجنبية الواحدة تلو الأخرى ، وكان حريصاً أشدَّ الحرص على إتقانها ، والتعمُّق في إدراكها .

وقد بدأ الشيخ رحلته هذه من اللغة الأردية فالفارسية ثم العربية ، أما الأردية فقد كانت هي لغته الأم ، والتي ينطق بها معظم المسلمين في بلاد شبه القارة الهندية ، وأما الفارسية فقد كانت هي لغة الأدب والشعر ، وكان لا بد من تعلُّمها في المدارس الابتدائية في عصره ليحسِّن بها الطالبُ اللغةَ الأرديةَ لكونها مشتقةً من الفارسية . أما العربية فهي بوصفها حاملةً للرسالة السماوية ، ومبلغةً للوحي الإلهي ، ومعجزته الخالدة ، فلا أشرف ولا أعظم من تعلُّمها وإتقانها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣] ، فكانت هذه اللغات الثلاث ـ الأردية والفارسية والعربية ـ من اللغات اللازمة تعلُّمها في جميع مدارس شبه القارة الهندية آنذاك . فلا غرابة في تضلُّع الشيخ من هذه اللغات التي كانت بالنسبة له بمثابة لغته الأمِّ ، بل العجبُ والغرابةُ في إتقانه للغات التي تختلف كلَّ الاختلاف عن لغاته المألوفة كالإنكليزية والألمانية والفرنسية والتركية والإيطالية واليابانية ، والتي كان

يتحدَّث بها كأنه من أهلها ، وقد قال ذلك هو بنفسه راداً على سؤالٍ في حوارٍ أُجري معه في باكستان : « أعرف ثماني لغات ، وأستطيع القراءة في بعض اللغات الأخرى »[1] ، أظنُّ أنه استثنى في مقولته هذه اللغةَ الأردية والفارسية والعربية .

وقد سخر ـ رحمه الله تعالى ـ معرفةَ اللغات في خدمة الإسلام والمسلمين ، تشهد بذلك مؤلفاته القيمة ، ومقالاته العلمية الوفيرة ، ودراساته الدقيقة باللغات العالمية المختلفة .

(١) آثار الدكتور حميد الله (بالأردية) : ص : ١٣٧ .

الفَصْلُ الثّالث

تعريفٌ بمؤلّفاته وتحقيقاته

(أ) من مؤلفاته :

١ ـ القرآن في كل لسان .

٢ ـ مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة .

٣ ـ ميادين الحرب في العهد النبوي .

٤ ـ نظام التربية والتعليم في العهد النبوي ﷺ .

٥ ـ هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي ؟

٦ ـ التعريف بالإسلام .

٧ ـ خُطب بهاولفور .

(ب) من تحقيقاته :

١ ـ صحيفة همام بن منبه .

٢ ـ سيرة ابن إسحاق .

٣ ـ السير الكبير : للإمام محمد بن الحسن الشيباني .

٤ ـ كتاب الردة : للواقدي .

٥ ـ الأمثال وما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسمّيا به : لابن جعفر البغدادي .

٦ ـ أنساب الأشراف : للبلاذري .

٧ ـ كتاب الأنواء في مواسم العرب : لابن قتيبة .

٨ ـ كتاب النبات : لأبي حنيفة الدينوري .

٩ ـ كتاب المعتمد في أصول الفقه : للقاضي أبي الحسن البصري .

١٠ ـ كتاب الذخائر والتُّحف : للغساني .

١١ ـ كتاب السرد والفرد في صحائف الأخبار ونسخها المنقولة عن سيد المرسلين محمد ﷺ : لأبي الخير القزويني .

١٢ ـ كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر : لابن العراق .

محمد حميد الله مؤلِّفاً ومحقِّقاً

لقد كانت بدايات محاولات الشيخ العلمية للتأليف منذ بدأ في طلب العلم ، ثم نضجت بقلمه مهنةُ التأليف حتى بلغت خلال ستين سنة من عمره أكثر من مئة وخمسين كتاباً ، وألف مقالةٍ علميةٍ في شتَّى العلوم والفنون ، وذلك في سبع لغات عالمية مختلفة . وقد أعدَّ أحدُ الباحثين فهرساً لكتبه ومؤلَّفاته ومقالاته العلمية فبلغ عددُ صفحات البحث ما يقارب ثمانين صفحةً ، تناولت هذه التأليفاتُ الكثيرةُ مختلفَ الموضوعات ، أهمّها ما يتعلّق بالحديث النبوي ، والسيرة النبوية ، والقانون الإسلامي ، والدعوة الإسلامية ، والدفاع عن الإسلام ، وعلم التاريخ ، واللغات ، بالإضافة إلى ذلك تطرَّق إلى شتّى الموضوعات العلمية في الطِّبّ والاقتصاد وغيرهما .

كما أنه حقَّق لأول مرةٍ عدداً من الكتب النفيسة والنادرة للعلماء القدامى في مختلف العلوم والفنون التي لم تكن ترى النورَ منذ قرون متطاولة ، فقدَّمها ـ رحمه الله تعالى ـ بتحقيقه وتعليقاته في حُلّةٍ جميلةٍ من الطباعة ، إلى أبناء العصر ليستفيدوا منها دون عناءٍ ومشقّةٍ .

كما شارك ـ رحمه الله تعالى ـ في إعداد « دائرة المعارف الإسلامية » باللغة الأردية عام ١٩٦٥م تلبيةً لرغبة لجنتها التابعة

لجامعة بنجاب في لاهور (باكستان) ، وذلك بتحرير (٣٢) مادةً في الموضوعات المختلفة .

كذلك له مشاركةٌ في إعداد بعض الموسوعات العالمية بتحرير المواد فيها وخاصةً ما يتعلق بالإسلام ، مثل : « موسوعة الأطلس الكبير للأديان » بالفرنسية ، والتي قد صدرت عام ١٩٨٨م ، كذلك « الدليل الديني لفرنسا » بالفرنسية ، والذي صدر في باريس عام ١٩٦١م .

قمتُ في هذا الفصل بتعريف أشهر مؤلفاته ـ دون التعرُّضِ للحديث عن مؤلفاته باللغات الأخرى ، وذلك لكثرتها ثم عدم سعة المكان هنا للتعريف عنها ـ منها ما كتبه بالعربية ، ومنها ما هي معرَّبةٌ ، كما عرّفتُ بأهمِّ تلك الكتب التي كانت له ريادةٌ في كشفها ، وسبقٌ في تحقيقها .

(أ) من مؤلفاته :

١ـ القرآن في كلِّ لسان

لقد كان للشيخ حميد الله اهتمامٌ خاصٌّ بترجمات القرآن الكريم في اللغات المختلفة ، وقد ألَّف في ذلك هذا الكتابَ الذي يحوي كلَّ ما يتعلق بالتفصيل عن ترجمات القرآن في (٢٣) لغةً من لغات العالم ، وقد قدَّم فيه ترجمةَ سورة الفاتحة كنموذجٍ للترجمة في كلّ لغةٍ من تلك اللغات .

قامت بإصدار أول طبعةٍ لهذا الكتاب اللجنةُ العالمية للدراسات القرآنية بحيدرآباد (الدَّكَنْ) عام ١٩٣٩م ، ثم توالت طبعاته فصدر ثانيها عام ١٣٦٥هـ ، وحوت هذه الطبعة تفاصيل ترجمة القرآن إلى (٤٣) لغة من اللغات العالمية ، ثم كانت الطبعة الثالثة عام ١٣٦٦م ، والتي حوت جميعَ ما يتعلق بتفاصيل ترجمة القرآن الكريم إلى (٦٧) لغة من اللغات العالمية .

وبعد برهةٍ من الزمن تجمَّعت لدى الشيخ تفاصيل ترجمة القرآن الكريم إلى (١٥٠) لغة من لغات العالم ، فقام بنشر هذه المادة العلمية على دفعات مختلفة في مجلة « إسلام فرنسا » الصادرة بباريس ، وقد قام كذلك بنشر مقالة أسماها « ترجمات القرآن في

اللغات الإفريقية » عام ١٨٦٨م ، وذلك في مجلة « مسلم دائجست » الصادرة بدربن (في جنوب إفريقية) .

كما أنه قام بطباعة ونشر كتاب باللغة التركية بعنوان : « قرآن كريم تاريخي وتوركجه تفسير لد ببليو غرافياسي » عام ١٩٦٥م ، بمدينة إستانبول ، والذي حوى تفاصيلَ ترجمات القرآن الكريم وخاصةً ترجمة سورة الفاتحة بالتركية .

٢ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة

لا شكَّ أنَّ العهد النبوي ـ على صاحبه الصلاة والسلام ـ كان عهداً ذا نتائج هامة في تاريخ العالم السياسي والديني والاقتصادي وغيرذلك . ولمّا كان غير ممكن أن نفهم الحالة السياسية في عصر من العصور إلا بمراجعة الوثائق الرسمية التي تتعلق بذلك العصر ؛ كان من الضروري أن تُجمَع الوثائق المتعلقة بالعصر النبوي حتى يتسنَّى لنا أن نفهمه فهماً صحيحاً ، فقيَّض الله لهذا العمل العظيم الشيخَ حميد الله ، والذي اختار هذا الموضوعَ لرسالته الجامعية التي تقدَّم بها في جامعة السوربون لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب ، واستطاع أن يجمع فيها جميعَ تلك الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، وإليك بعضَ التعريف بهذا الكتاب القيِّم الذي يُعَدُّ من أهمِّ وأنفس الكتب التي صدرت في هذا القرن .

لقد كتب النبيُّ ﷺ المحالفات والمعاهدات والمراسلات مع القبائل والملوك ، ويقال : إنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ كانت عنده نسخٌ للعهود والمواثيق ملءَ صندوقٍ ، لكنها احترقت حين احترق الديوان يوم الجماجم سنة ٨٢ للهجرة ، وما بقي منها بعد ذلك قضت عليه صروفُ الزمن ، وغارات التَّتار ،

ولكن حفظ لنا رواةُ الحديث والمؤرِّخون جملةً صالحةً منها كما يظهر ذلك في « تذكرة المصادر » التي ألحقها المؤلِّف في آخره .

قسَّم المؤلف هذا الكتاب إلى قسمين ، الأول منهما يحتوي على الوثائق التي تتعلق بالعهد النبوي ، أما الثاني فإنه يحتوي على وثائق من عهد الخلفاء الراشدين ، ثم قسَّم كِلا القسمين إلى فروعٍ عديدةٍ من حيث الأحوال الجغرافية والسياسية .

كان عصر النبي ﷺ قبل الهجرة عهد تمهيد وتجربة ، ولا يصحُّ أن يقال : إنَّ الجماعة الإسلامية بمكة كانت حينئذ دولة من الدول ، فإنه لم يكن لها كيانٌ سياسيٌّ ، ولا نظامٌ إداريٌّ . ولا تصادف في هذا العصر ما يُطلق عليه اسم السياسة الخارجية سوى بيعتي العَقَبة الأولى والثانية ، واللتين أسَّستا بنيان الدولة الإسلامية ، وكان لهما أثرٌ عظيمٌ فيما بعد ، إلا أنهما لم تُكتَبا في قرطاسٍ ولم تُوخَذا إلا سِرّاً ، وهاتان البيعتان تتعلقان بروابط المسلمين مع أهل المدينة ، وكانت نهايتهما الهجرة ، ووضعُ الدستور الأساسي الذي ذكره المؤلف في هذا الكتاب تحت رقم : (١) .

ولمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ؛ وجد هناك عدةَ قبائل يهودية ، فعاهدهم ، فدخلوا في دولةٍ وفاقيةٍ تحت رياسته ﷺ، وقد ذكر المؤلف الوثائقَ التي تتعلق بهم مع ما يتعلق بيهود خَيْبَر وتَيْمَاء وغيرهما في محلٍّ واحدٍ للروابط الأكيدة فيما بينها .

وكانت هجرة مسلمي مكة وقيامُ دولةٍ إسلاميةٍ بالمدينة سبباً لتوتُّر العلاقات بين المسلمين وقريش ، فنشأت حروبٌ بينهم ، ووقعت وقائعُ بدر ، وأُحد ، والخندق ، والحُدَيْبية ، وفتح مكة ، فجمع المؤلفُ الوثائقَ المتعلقة بهذه الأمور في فصلٍ خاصٍّ به .

ولم تبدأ علاقات المسلمين السياسية مع الرُّوم والفرس ومَن تحتهم من الحبشة والغساسنة وأهل البحرين وعُمان واليمن ونَجْران وحضرموت ومَهرة وغيرها إلا بعد الحديبية ، فذكر المؤلف الوثائق المتصلة بهم في فصلين .

وخصَّ المؤلف فصلاً من فصول هذا الكتاب بقبائل العرب ، وجمع جميعَ هذه الوثائق المتعلقة بهذه القبائل ، ثم أورد الكتبَ التي أرسلها النبيُّ ﷺ إلى عُمَّاله وقتَ ردّة اليمن واليَمامة ، وأضاف إليها بعضَ ما كتبه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ من الوثائق المتصلة بهذه الفترة .

ولمَّا حجَّ النبي ﷺ حجةَ الوداع في آخر السنة العاشرة للهجرة ، وخطب خطبته المشهورة في عَرَفة على جبل الرَّحمة ، وبيَّن فيها حقوقَ المسلمين وفرائضهم الأساسية ، فلم يدع شيئاً له أهميةٌ إلا بلَّغه ، فأضاف المؤلفُ هذه الخطبةَ العظيمة المكانة ، الغزيرة المعاني في آخر الوثائق المتعلقة بالعهد النبوي .

أمَّا القسم الثاني من هذا الكتاب فهو يتعلَّق بوثائق عهد الخلفاء الراشدين ، وقد رتَّبها في فصلين ، أولهما : الوثائق المتعلقة بالروم ، وثانيهما : الوثائق المتعلقة بفارس (إيران) . وقد ترك المؤلف كثيراً من الوثائق التي ذكرها الواقديُّ والأزديُّ في الفتوح لعدم كونها مقصودةً بالذات ، وما ذكره المؤلف من وثائق تتعلق بالخلافة الراشدة إلا إتماماً للبيان ، وتكملةً للمغزى ، كما حذف من الوثائق ما لم يجده في الكتب الموثوقِ بها .

أما ترتيب موضوعات الوثائق في هذا الكتاب فهو كما يلي :

١ ـ المعاهدات الجديدة أو تجديد ما سبق من المعاهدات .

٢ ـ الدعوة إلى الإسلام .

٣ ـ تولية العُمّال وذكرُ واجباتهم ، وكيف ينبغي لهم أن يتصرفوا في أمر من الأمور .

٤ ـ العطايا من الأراضي ، أو الغَلاَّت أو غيرها .

٥ ـ كُتُب الأمان والتوصية .

٦ ـ ما ذُكر فيه من استثناء بعض الأوامر في حقِّ أُناس معيَّنين .

٧ ـ المتفرّقات مثل الكتب التي جاءت في ردِّ ما كتبه النبي ﷺ[1] .

وألحق المؤلف بآخر الكتاب قائمةً لبعض الكتب المنسوبة إلى النبي ﷺ ككتب عهوده للنصارى والمجوس وغيرهما ، وإنما ذكره المؤلف كأنموذجٍ في الوضع والاختلاق .

كما سبق أن ذكرتُ أنَّ هذا الكتاب في الحقيقة رسالةٌ جامعيةٌ للشيخ ، والتي قدَّمها بالفرنسية إلى جامعة السوربون في عام١٩٣٣م ، لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب ، والتي طُبعت في باريس عام ١٩٣٥م . ثم نقلها الشيخ إلى العربية ، وطُبعت في القاهرة عام ١٩٤١م مع بعض الإضافات . ثم رغبت في طباعته لجنةُ التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٦م ، فكانت طبعتها مُوسَّعةً ومُزوَّدةً بالإضافات المهمة . ثم صدرت له طبعاتٌ كثيرةٌ عن بيروت ، ومن أحسنها طبعة دار النفائس التي قد طُبعت أكثر من ثلاث طبعات إلى الآن .

---

(١) انظر مقدمة المؤلف للكتاب للطبعة الأولى والثالثة .

٣ ـ ميادين الحرب في العهد النبوي

هذا الكتاب فريدٌ من نوعه ، ولم يسبقه أحدٌ في التأليف عن هذا الموضوع سواءٌ أكان ذلك بالعربية أم بالأردية .

ومما دفع الشيخَ حميد الله لتأليف هذا الكتاب أنه قرأ أيام دراسته في جامعة السوربون مقالاً بالفرنسية ، والذي كانت له صلةٌ بغزوات الرسول ﷺ ، فكتب إثر قراءته لهذا المقال بحثاً بالفرنسية مضيفاً إليه المواد العلمية والتاريخية الغزيرة حول الموضوع ، كما أضاف بعضَ الخرائط بمناسبة الحديث عن ميادين الحرب في العهد النبوي .

ثم اتفق له أن يزور أماكن الغزوات في رحلةٍ له إلى الحجاز عام ١٩٣٣م ، واستطاع في تلك الزيارة أن يصوِّر تلك الأماكنَ ويرسم خرائطها بدقة ليلحقها بالكتاب ولتتمثَّل للقارىء أماكنُ تلك الغزوات أو ميادينها عند قراءة هذا الكتاب ، وتُشعره بأنه شاهدُ عينٍ لها .

يحتوي هذا الكتاب القيِّم على ثمانية أبواب ، وقد تحدَّث الشيخ في الباب الأول عن ماهية الأسباب التي دفعت النبيَّ ﷺ إلى تلك الحروب ، وفي الباب الثاني تكلَّم عن غزوة بدر ، وفي الباب الثالث ألقى الضوءَ على آثار ميدان غزوة بدر الموجودة اليوم ، ويتعلق الباب الرابع بغزوة أُحد ، والخامس بغزوة الخندق ، والسادس بفتح مكة ، والسابع بغزوتي حُنين والطائف ، والثامن بالحروب مع اليهود .

نقل الشيخ هذا المقال إلى الإنكليزية، ثم نُقل منها إلى عدة لغات عالمية كالفارسية والأردية والتركية ، أما بالعربية فقد نقله إليها الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم وطبعه في القاهرة عام ١٩٥٤م .

٤ ـ نظام التربية والتعليم في عهد النبيّ ﷺ

لقد أُلّفت في هذا الموضوع كتبٌ كثيرةٌ ، منها : « جامع بيان العلم وفضله » لحافظ المغرب الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي المعروف بابن عبد البَرِّ (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) ، والذي يحتوي في طياته على نفائس المعلومات عن العلم وفضيلته التي ثبتت بالكتاب والسنة ، كما يشتمل هذا الكتاب على الآداب في التعليم والتعلم .

والكتاب الثاني الذي استرعى انتباهَ الباحثين والعلماء في هذا الموضوع ، هو : « تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم » للقاضي بدر الدين إبراهيم سعد الله المعروف بابن جَمَاعة (المتوفى سنة ٧٣٣هـ) ، والذي يتضمن الكلامَ عن فضيلة العلم وفضل العالم والصفات التي يجب أن يتحلّى بها المتعلم ، كما يتضمن الكلامَ عن كفاءة المعلِّم ومسؤوليته ، ويشتمل على بعض الإشارات اللطيفة إلى منهج التربية ومراحله ، وكلُّ ذلك في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتجارب المؤلف الشخصية .

أمَّا كتاب الشيخ حميد الله الذي نحن في صدد الحديث عنه هنا فإنه يمتاز عن الكتب سالفة الذكر بالشمول والإحاطة والتفصيل والإبانة ، يقول الشيخ في مقدمة هذا الكتاب : « لقد بُعث النبيُّ ﷺ

قبل الهجرة معلِّماً إلى المدينة المنورة ، وهذا من حُسن الصُّدفة أنَّ أعماله كلَّها قد احتفظ بها التاريخ ، وأنَّ النبي ﷺ بالرغم من كافة المشاغل المتراكمة عليه بعد الهجرة ؛ قد صبَّ قصارى جهده في القضاء على الأمية في المدينة المنورة ، وكلَّف سعيدَ بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بصفة خاصة أن يدرِّب أهلَ المدينة المنورة على القراءة والكتابة ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على أهمية التعليم القصوى عند النبي ﷺ حتى إنه جعل الاهتمامَ به من أولوياته بعد الهجرة » .

يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أبواب :

يشتمل الباب الأول على توطئةٍ وحديثٍ عن العرب البائدة والعرب الحاضرة .

وأما الباب الثاني فإنه يشتمل على الحديث عن منهج التربية والعصر الجاهلي ، والدراسة عن المدارس والمراكز العلمية قبل الإسلام ، والمنتديات الأدبية ، وعن النزعات والاتجاهات العلمية لأهل الطائف ، كما يشتمل هذا البابُ على دراسةٍ مهمةٍ عن تعليم المرأة في أيام الجاهلية ، وعن الخط العربي في ذلك العصر مشيراً إلى بعض المصطلحات العلمية التي كانت العرب تستخدمها في حياتها اليومية العادية .

وأما الباب الثالث فهو يتعلق بنظام التعليم في عصر الإسلام ، ومباحثُ هذا الباب تحتوي على جوهر الكتاب ، وقد بحث فيه المؤلفُ عن الحالة العلمية قبل الهجرة النبوية ، والمدارس الإسلامية وما يتبعها من دُور إقامة ، وجامعة الصُّفة الإسلامية المؤقَّتة ،

واختيار المسلمين حديثي العهد بالإسلام طيبة الطيبة داراً لإقامتهم ، ودورَهم المهم في تطوير الحالة العلمية فيها ، وبداية تدوين القرآن الكريم وبداية تدوين الحديث الشريف ، وتطوُّر الخط الإسلامي ، وحركة الترجمة ، ومناهـج التعليم ، وكتاتيب العلم ، وعن التعليم النسوي ، وغير ذلك من الموضوعات المفيدة للغاية ، والتي تمَّ إلقاء الضوء عليها بكلٍّ وضوح وشفافية . كما تعرض المؤلِّف في هذا الباب للحديث عن الشعر وفلسفة الدراسة والتعليم المهني .

طُبع هذا الكتاب في شركة الحبيب بحيدرآباد (الدكن) عام ١٩٧٤م ، ثم صدرت له عدة طبعات من الهند وباكستان .

٥ ـ هل للقانون الرُّومي تأثيرٌ على الفقه الإسلامي ؟

هذا كتابٌ قيِّمٌ فريدٌ في موضوعه ، تناول فيه المؤلف موضوعاً ساخناً أثاره بعض المستشرقين في أوائل القرن العشرين ، وهو أنَّ الفقه الإسلامي متأثرٌ بالقانون الرُّومي ، وأنَّ المسلمين لم يكن لهم دورٌ في تأسيسه وتدوينه !

فـردَّ المؤلف في هذا الكتاب على مزاعم هؤلاء ، ودحضَ آراءهم بحُجَجٍ وأدلةٍ في غاية القوَّة والوُضوح ، فقد بيَّن ـ رحمه الله تعالى ـ : أنَّ هناك فروقاً أساسيةً بين القانون الإسلامي والقانون الرومي ، فإذا كان أهل الروم عُبّاد الأوثان ، فإنَّ المسلمين هم أهل التوحيد الخالص ، والذين لا يُشركون مع الله تبارك وتعالى آلهةً أخرى .

كما أنَّ النظام الاجتماعي الروماني قائمٌ على جبروت الكنيسة ، وطغيان بابواتها ، بينما هذا الطغيان لم يكن له وجودٌ لدى العرب لا في عصر الجاهلية ولا حينما أشرق نور الإسلام على أرض الجزيرة .

كذلك فإنَّ أحكام النكاح والعبيد وما احتوته من جبرٍ للحقوق وظلمٍ على العباد في القانون الرومي لم تكن لتُشبه يوماً ما أحكام النكاح والعبيد في الإسلام ، والتي اتصفت بالعدل والإنصاف

وإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه ، والبُعدِ كلَّ البُعد عن ظلم العِباد والجور في الحقوق .

ومن الأدلة القوية جداً على اختلاف القانون الإسلامي عن الرومي : أنَّ مصطلحات الفقه الإسلامي لم تكن يوماً من الأيام معرَّبةً عن لغات أُخَر ، بل إنها مصطلحاتٌ عربيةٌ إسلاميةٌ خالصةٌ مستمدَّةٌ ومأخوذةٌ من نبع الكتاب والسنة بخلاف العلوم الأخرى كالطِّبّ والمنطق والفلسفة والرياضيات وعلم الجغرافيا وغير ذلك ؛ إذ نجد فيها الكثيرَ من المصطلحات المعرَّبة عن لغات مختلفة كالرومية والفارسية .

كما أنَّ العصر الذهبي الزاهر للفقه الإسلامي والذي تمَّ فيه تدوين هذا العلم وازدهاره لا نجد فيه أيَّ كتابِ فقهٍ مُترجَمٍ أو مُعرَّبٍ عن لغة أجنبية أخرى ، كما أننا لا نجد أيَّ فقيهٍ قد بذل أدنى جهدٍ في تعلُّم لغةٍ أجنبيةٍ لأجل ترجمة كتب الفقه فيها إلى اللغة العربية .

وغير ذلك من الموضوعات المفيدة التي تحدَّث عنها المؤلف في هذا الكتاب ، والتي قد لا يجدها القارىء في كتاب غيره .

طُبع هذا الكتاب في دارالبحوث الإسلامية بالكويت .

٦ ـ التعريف بالإسلام

هذا الكتاب شاملٌ للتعريف بالإسلام وحضارته وأساسياته الفكرية على نحو موجز سهل ، قصد به المؤلفُ دعوةَ غير المسلمين من الأعاجم إلى الإسلام ، ووضع بين أيديهم تاريخ الحضارة الإسلامية ومرتكزاتها . وعرض كلَّ ذلك على نحو فلسفي بسيط ، بيَّن فيه المقاصدَ الرائعة للديانة الإسلامية العالمية التي بدت في الكتاب ديناً وسطاً يدعو إلى التسامح والمحبة ، كما يتفق مع فطرة الإنسان السليمة . فجاء هذا الكتاب ثمرةً لتصور مؤلفه عن الإسلام ، وعن الله عزَّ وجلَّ ، وعن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والرسالة النبوية ، والحضارة الإسلامية ، قدَّمه من خلال واجب الدعوة التي يراها لزاماً على كلِّ مسلمٍ مخلصٍ « بلِّغوا عني ولو آية ، فرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ »[١] .

ينقسم هذا الكتاب إلى سبعة عشر فصلاً ، أوجز المؤلف السيرة النبوية في الفصل الأول ، مركِّزاً على المفاصل الحساسة فيها دون التفاصيل ، ثم دلف مباشرةً إلى الفصل الثاني فخصَّصه لتدوين القرآن الكريم ، واستطرد منه إلى تدوين الحديث الشريف . وتوقَّف في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، برقم : (٣٢٧٤) .

الفصل الثالث عند مفهوم الحياة في الإسلام . بينما تناول في الفصل الرابع أُسُسَ العقيدة الإسلامية ، وانتقل منها إلى العبادات في الفصل الخامس فأشار إلى رموزها ومقاصدها .

وفي الفصلين السادس والسابع تحدَّث المؤلفُ عن ثقافة الحياة الروحية والأخلاق الإسلامية . وخصَّص الفصلَ الثامن للبحث في النظام السياسي الإسلامي والحكومة المسلمة . ودرس في الفصل التاسع النظام القضائي الإسلامي وأُسُسَ التشريع والقانون الدولي والعقوبات. ولخَّص في الفصل العاشر النظام الاقتصادي الإسلامي . وتكلم عن المرأةَ في الفصل الحادي عشر ، بينما أوجز الحديث في الفصل الذي يليه عن التشريعات الخاصة بغير المسلمين . ولم ينس في الفصل الثالث عشر الكلامَ عن إسهام المسلمين في جميع العلوم بالإضافة إلى إسهامهم في الفنون. وعرض في الفصل الرابع عشر تاريخ الإسلام العام من عهد الخلفاء الراشدين حتى الوقت الراهن . انتقل بعده ليقدِّم صورةً عن حياة المسلم اليومية في الفصل الخامس عشر مع ملاحظات حولها . أتبعه بكلامٍ عن الأعياد الإسلامية في الفصل الذي يليه ، وختم الكتابَ بفصلٍ عن الصلاة في المناطق غير العادية الآخذة بالاتجاه نحو القطبين .

لا شكَّ : أنَّ الكتاب بهذا الشمول اعتصارٌ للتعريف بالإسلام وما أحدثه من تغيراتٍ في الحياة ، وإنْ كان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ قصد في هذا الكتاب غيرَ المسلمين ليعرفهم بديننا عقيدةً وتاريخاً وحضارةً ، ولكن لا غنى عنه للمسلمين الذين يريدون الوقوف على تعريفٍ عامٍّ بالدين الإسلامي ، ولا يريدون الرجوع إلى الكتب المطوَّلة[١] .

---

(١) من مقدمة المترجمين للكتاب بتصرُّفٍ يسيرٍ .

وقد ألف الشيخ هذا الكتاب بالفرنسية ، وقد نُقل منها إلى عدة لغات عالمية في فترة قصيرة جدّاً ، حتى إنه عُدَّ من أفضل الكتب التي تناولت التعريف بالإسلام ، لذا وجد الباحثان الشهيران : الدكتور نزار أباظة ، والأستاذ محمد الصباغ ضرورةً قائمةً لترجمة هذا الكتاب القيم إلى العربية ، نظراً لأهميته وإفادته ، فقاما بتعريبه أحسن قيامٍ ملتزمَين فيه الدقة الحرفية ، كما علّقا على بعض عبارات المؤلف تعليقاتٍ مفيدةً يتَّضِح فيها مراده .

طُبع هذا الكتاب في دارالفكر بدمشق عام ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م في (٣١٤) صفحة .

٧ـ خُطَب بَهَاوَلْـفُور

هذه المجموعة المباركة من الخُطب العلمية الفكرية ، والتي ألقاها الشيخ حميد الله في الجامعة الإسلامية ببهاولفور في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري ، وهي في الحقيقة خزانة الفكر والبصيرة ، وإهداءٌ قيِّمٌ منه إلى هذا القرن الهجري الجديد .

تُعتبر هذه الخطبُ بحقٍّ نسيجاً علمياً فكرياً قد رُصِّع بلآلىء الحكمة وجواهر البصيرة ، وفي نفس الوقت نُمِّق بلمعان الجِدِّية والحداثة التي تقتضيها ظروف العصر ، وليس من الغريب أن نقول : إنَّ هذه الخُطَب هي عصارةُ حياةٍ مديدةٍ قضاها الشيخ في فنّ التحقيق والدراسات الإسلامية . وكانت موضوعات الخطب متنوّعة ، فكانت أول خطبة ألقاها بعنوان : « تاريخ القرآن الكريم » ، والخطبة الثانية بعنوان : « تاريخ الحديث النبوي الشريف » ، والثالثة بعنوان : « تاريخ الفقه الإسلامي »، والرابعة بعنوان: « تاريخ أصول الفقه والاجتهاد »، والخامسة بعنوان : « القانون الإسلامي بين الدول » ، والسادسة بعنوان : « الدين في ضوء العقائد والعبادات والتصوف » ، والسابعة بعنوان : « الدولة والإدارة والتنسيق في العهد النبوي » ، والثامنة بعنوان : « نظام الدفاع والغزوات في العهد

النبوي » ، والتاسعة بعنوان : « نظام التعليم في العهد النبوي » ، والعاشرة بعنوان : « نظام التشريع والقضاء في العهد النبوي » ، والحادية عشرة بعنوان : « نظام المالية والتقويم في العهد النبوي » ، والثانية عشرة بعنوان : « نشر الإسلام والتعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي » .

تُعتبر هذه الخُطب من إنجازات الشيخ العلمية العظيمة ، والتي فتحت اتجاهاً جديداً في مجال تحقيق العلوم الإسلامية ، وهي إن دلَّت على شيء ؛ فإنها تدلُّ على دقة تحليلاته وعُمقها .

قامت الجامعة الإسلامية بطباعة هذه المحاضرات في ثوبٍ قشيبٍ عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ، ثم من أجل إصرار الطلبة على طباعتها مرةً أخرى أعادت الجامعةُ طباعتها وبيعها بثمنٍ رمزيٍّ زهيدٍ بحيث يكون في متناول كل طالبِ علمٍ راغبٍ ، وباحثِ فكرٍ جادٍّ .

مؤلَّفاته في لغات أخرى

غيرُ ذلك له كتبٌ ومؤلَّفات كثيرة في موضوعات متنوعة ولغات مختلفة ، وقد اخترتُ منها للتعريف في الصفحات السابقة الكُتُبَ التي ألَّفها بالعربية ، ثم الكتب التي عُرِّبَتْ أو في طور التعريب ، وأذكر فيما يلي بعض كتبه التي لها رواجٌ وقبولٌ كبيران في اللغات التي ألَّفها :

١ ـ نبيُّ الإسلام : حياته وأعماله : (بالفرنسية) .

٢ ـ لماذا نصوم ؟ (بالفرنسية) .

٣ ـ صنعة الكتابة في عهد الرسول ﷺ (بالأردية والفرنسية) .

٤ ـ تصحيح ترجمة « صحيح البخاري » : (بالفرنسية) .

٥ ـ ست رسائل دبلوماسية لنبيِّ الإسلام : (بالفرنسية) .

٦ ـ فهرس تراجم القرآن الكريم (وهو في عدة لغات) : ذكر فيه أكثر من (١٢٠) ترجمةً .

٧ ـ نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي : (بالأردية) .

٨ ـ الإمام أبو حنيفة وتدوين الفقه الإسلامي : (بالإنكليزية والأردية) .

(ب) من تحقيقاته :

١ ـ صحيفة هَمَّام بن مُنَبِّه

للتابعي الجليل هَمَّام بن مُنَبِّه بن كامل بن شيخ اليَمَاني أبي عقبة الصَّنْعاني (المتوفى سنة ١٠١هـ)

هذه الصحيفة رواها همَّامٌ بن مُنَبِّه عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه (المتوفى سنة ٥٨هـ) ، ثم نُسبت إلى همام ، وهي في الحقيقة صحيفةُ أبي هريرة لهمام .

ولهذه الصحيفة مكانةٌ خاصةٌ وأهمية كبيرة في تاريخ كتابة الحديث وتدوينه ؛ لأنها وصلت إلينا كاملةً سالمةً كما رواها ودوَّنها همام عن أبي هريرة ، ولأنها حُجَّةٌ قاطعةٌ ودليلٌ ساطعٌ على أنَّ الحديث كان قد كُتب في عصر مبكِّر .

عثر الشيخ حميد الله على نسخةٍ لمخطوطة هذه الصحيفة في برلين أيام دراسته فيها ، والتي كانت منسوخةً في بداية القرن الثاني عشر للهجرة . ثم اهتدى إلى نسخةٍ أخرى لها في المكتبة الظاهرية بدمشق ، والتي كانت منسوخةً في القرن السادس للهجرة ، فقام الشيخ بمقابلة هاتين النسختين مع بعضهما البعض ، وحقَّق المخطوطةَ تحقيقاً علمياً دقيقاً ، وعلَّق عليها تعليقات مفيدةً ، ومما

زادنا ثقةً بما جاء فيها أنها برمتها ماثلةٌ في « مسند الإمام أحمد » ، وأنَّ كثيراً من أحاديثها مرويةٌ في « صحيح البخاري » في أبوابها المتفرقة ، أما عدد أحاديث هذه الصحيفة فهو (١٣٨) حديثاً .

كذلك كتب الشيخ مقدمةً قيمةً نفيسةً لهذا الكتاب حول تاريخ تدوين الحديث وكتابته في العهد النبوي الشريف ، وأثبت بالبراهين والأدلة بأنَّ كتابة الحديث كانت قد بدأت في عصر النبي ﷺ ، وأنّه ﷺ كتب كتاباً للمهاجرين والأنصار واليهود للتعامل بينهم ، والذي يُعتبر أول وثيقةٍ دستوريةٍ للدولة الإسلامية التي كان يقودها النبي ﷺ ، ثم ذكر أنه بالإضافة إلى كون أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كاتباً لأحاديث الرسول ﷺ ؛ كان هناك أصحابٌ آخرون للرسول ﷺ يكتبون الأحاديث .

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ الشيخ حميد الله كان أولَ من قام بإزالة شُبُهات وشكوك المستشرقين حول « تدوين الحديث النبوي » ، حيث زعموا : أنه بدأ في القرن الثاني والثالث الهجري ، لذا لا يمكن الاعتماد الكامل عليه . فأزال الشيخ هذا الزعمَ الخاطىء والشبهةَ الفاسدة عن أذهان المستشرقين بتقديم الشواهد القاطعة والدلائل المفحمة على بدء تدوين الحديث في العهد النبوي في مقدمته لهذه الصحيفة . ولم يُبالِغ العالم الشهيد الدكتور صُبحي الصالح (المتوفى سنة ١٤٠٧ هـ) حين قال : إنَّ : « الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي في نظري الرائدُ الأولُ في تحقيق تدوين الحديث منذ أن نشر صحيفةَ همام بن منبه »[١] .

---

(١) انظر مقدمته لكتابه : « علوم الحديث ومصطلحه » .

طُبعت هذه الصحيفة في مجلة « المجمع العلمي العربي » الصادرة عن دمشق عام ١٣٧٢م (١٩٥٣م) بعنوان : « أقدمُ تدوينٍ في الحديث النبوي (صحيفة همَّام بن مُنَبِّه) المؤلَّفة قبل سنة ٥٨ للهجرة » . ثم طبعها المركز الثقافي الإسلامي بباريس عام ١٩٧٩م ، في (٧٤) صفحة . ثم صدرت لها طبعاتٌ عديدةٌ في البلاد العربية من دُور النشر المختلفة . كما نُقلت هذه الصحيفة مع مقدمة الشيخ إلى كثير من اللغات العالمية ، منها : الإنكليزية ، والفرنسية ، والأردية ، والتركية ، والفارسية .

٢ ـ سيــرة ابن إسحــاق

المسمَّاة بـ : « كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي »

لمحمَّد بن إسحاق بن يَسَار المدني (المتوفى سنة ١٥١هـ)

يُعَدُّ هذا الكتابُ من أولى المصادر المعتمدة في السيرة النبوية ، ومحمد بن إسحاق هو تلميذُ الإمام محمد بن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤هـ) الذي هو أولُ مَن بدأ بتدوين الحديث الشريف بإيعازٍ من الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (المتوفى سنة ١٠١هـ) .

قَسَّم ابن إسحاق هذا الكتابَ إلى ثلاثة أقسام : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازي .

فالمبتدأ عالجَ فيه ما كان من أحداثٍ ورُسُلٍ ووحيٍ قبل الإسلام ، واعتمد في ذلك على وهب بن منبِّه ، وكعب الأحبار ، وكُتب اليهود والنصارى التي وصلت إلى أيدي العرب والمسلمين ، أو عن طريق أهل الكتابين الذين دخلوا في الإسلام . كما عرض في هذا القسم تاريخَ القبائل العربية وبعض أحداثها . والأسانيد نادرةٌ في هذا القسم ، وهي في أغلب الأحيان في الفصل الأول .

أما القسم الثاني ـ المبعث ـ فهو يشمل حياةَ النبي ﷺ في مكة

والهجرة . وفي هذا القسم يروي ابن إسحاق بأسانيده ، ويُرسل ويسوق الخبر بلا إسنادٍ ، كذلك هو تفرَّد في هذا القسم برواية المعاهدة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين المشركين واليهود في المدينة .

وفي القسم الثالث الذي عرض فيه لغزوات النبي ﷺ وحروبه بشكل رئيسي ، وأحداث الجماعة المسلمة بشكل عام إلى مرض النبي ﷺ ووفاته .

وكان يسلك في هذا القسم مسلكَ التقسيم للأحداث على السنين ، ويبرز أسانيده ورواته الذين روى عنهم ، ويستخدم منهجاً محدَّداً لعرض الغزوات الفعلية ، حيث يقدّم ملخصاً حاوياً للمحتويات في المقدمة ، ويتبعه خبراً جماعياً مؤلَّفاً من أقوال أوثق أساتيذه ـ كالزهري ، وحميد الطويل ، وعاصم بن عمر ، وعبد الله ابن أبي بكر ـ ثم يكمل الخبر الرئيس بالأخبار الفردية التي جمعها من المراجع الأخرى »[1] .

وقد اعتمد على كتاب ابن إسحاق هذا كلُّ مَن ألَّف في السيرة بدءاً من ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٣هـ) ، وقد كان لهذا الكتاب صيتٌ عظيمٌ في كل عصرٍ في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد قام بتهذيبه ابنُ هشام باسم « السيرة النبوية » وفاق بذلك ابنَ إسحاق ، واعتنى الناس بهذا الأخير وأهملوا الكتابَ الأول ، ومع وجود تأليف ابن هشام لا ينبغي أن يُغفل عن أصل هذا الكتاب لأمرين مهمَّين :

---

(١) انظر : « مصادر السيرة النبوية وتقويمها » للدكتور فاروق حمادة ، ص : ٩٠ ـ ٩١ .

الأول : أنَّ ابن هشام ـ مع سعة علمه ودقة نظره ـ أهمل أشياءً من كتاب ابن إسحاق وحذفها ، مع أنَّ لها أهميةً لا تقلُّ عن أهمية ما أثبت ، نذكر على سبيل المثال المقطع (١٩٢) من هذا الكتاب : « إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء » .

وثانياً : كانت هناك أشعارٌ كثيرةٌ في أصل الكتاب ، حذفها ابن هشام على أساس أنه لا يصحُّ نسبتها إلى من نسبها ابنُ إسحاق إليهم ، ونحن لا نخالف ابنَ هشام في نقده العلمي ، ولكن نقول : لو لم تكن هذه الأشعارُ في العصر النبوي ، لا يخالف كذلك أنها لا تتأخَّر عن عصر ابن إسحاق ، أي أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي . فكلُّ من يشتغل بآداب ذلك العصر يتأسَّف على صنيع ابن هشام في حذفها[١] .

وكان كتابُ ابن إسحاق يُعتبر من عداد المفقودات مدةً طويلةً لدى الكثير من العلماء المحقِّقين ، وقد قيَّض الله الشيخ حميد الله للبحث عن هذا الكتاب الجليل ويسَّر له ذلك ، فقد وجد نسخةً خطيةً من هذا الكتاب في المكتبة الظاهرية بدمشق ، والتي كانت منسوخةً من عام ٤٥٤هـ ، كما وجد نسخةً خطيةً أخرى في مكتبة جامع القروين بفاس ، والتي كانت منسوخةً من عام ٤٦٥هـ ، فقام بالمقابلة بين هاتين النسختين مع مقابلة بعض المصادر القديمة للسيرة ، وصبر ـ رحمه الله تعالى ـ صبر الكرام في التصحيح والمراجعة مع صعوبة هذا العمل بسبب إقامته في بلد ـ أي : باريس ـ

---

(١) انظر مقدمة المحقق للكتاب .

لم يكن يتوفَّر فيه كثيرٌ من المصادر المهمة في السيرة ، والتي استعان بها في مقابلة وتصحيح نسخ مخطوطة هذا الكتاب ، وقدَّم لهذا الكتاب مقدمةً علميةً ضافيةً ، جاء فيها بحثٌ عميقٌ عن التاريخ عند المسلمين ، كما كتب ترجمةً وافيةً لابن إسحاق .

قام بطبع هذا الكتاب معهدُ الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) في (٣٩٥) صفحة . فلا شكّ أنّ نشره لَيُعَدُّ حدثاً مهماً في تاريخ إحياء التراث العربي ؛ إذ طالما تطلعت إليه نفوس العلماء والباحثين منذ قرون طويلة .

٣ ـ السِّيَر الكبير

للإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن بن فَرْقَد الشَّيباني

(المتوفى سنة ١٨٩هـ)

هذا الكتاب آخرُ تصنيفٍ صنَّفه الإمام محمد الشيباني ، وهو من جملة الكتب التي تبرز فيها شخصيته محدِّثاً وراويةً ، فإنك تراه يعزِّز كل قول بنصوص وآثار . ومن الموضوعات التي اعتنى بها كثيراً في هذا الكتاب موضوع « الأمان » ، فقد عقد باباً مفصَّلاً فيه ، وأفاض في بحثه ، وبنى مسائله على أصول فقهية ونحوية مهمة ، لذلك نوَّه الإمام السَّرَخْسي بهذا الجانب في شرح هذا الكتاب ، فقال : « اعلم بأن أدقَّ مسائل هذا الكتاب وألطفها في أبواب الأمان . فقد جمع بين دقائق علم النحو ودقائق أصول الفقه . . . وقيل : من أراد امتحان المتبحرين في النحو فعليه بأمان السير »[١] .

يختلف الإمام محمد في هذا الكتاب مع شيخه الإمام أبي حنيفة في بعض المسائل ، لكنه لم يلتزم بأن ينصَّ على الخلاف .

وللأسف . . . لم يصل إلينا متن هذا الكتاب بنصِّه ، والذي وصل إلينا منه إنما هو ما أملاه الإمام السرخسي مع شرحه .

---

(١) شرح السير الكبير : (١/ ٤) .

قام الشيخ حميد الله بتحقيق هذا الكتاب ، ثم ترجمه إلى الفرنسية في خمس مجلدات ، والتي طُبعت في تركيا ، أما الكتاب الأصل فلم يطبعه ، لعلَّ الشيـخ قام بتحقيق هذا الكتاب ليبني عليه الترجمة بالفرنسية ، والله أعلم .

٤ ـ كتاب الـرِّدّة ونبذة من فتوح العراق

لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقِد الوَاقِدِيّ (المتوفى سنة ٢٠٧هـ)

هذا الكتاب له مكانةٌ علميةٌ كبيرةٌ في تاريخنا الإسلامي المجيد ؛ لكونه أولَ كتابٍ يذكر الحروب التي وقعت في أواخر حياة رسول الله ﷺ ، وأوائل خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد مَنَّ الله على الإسلام والمسلمين بأبي بكر الصديق في تلك الآونة الحرجة الصعبة عند وفاة النبي ﷺ ، فقاد ـ رضي الله عنه ـ الأمةَ إلى أقوم طريقٍ عندما منعت بعضُ قبائل العرب أداء الزكاة عدا قريش وثقيف ، قال قتادة ـ رضي الله عنه ـ « لما توفي رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب كلها إلا ثلاثة مساجد ، مكة والمدينة والبحرين ، فقالوا : أمّا الصلاة فإننا نصلِّي ، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا منا »[١] ، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ « لما توفي رسول الله ﷺ ، اشرأبَّ النفاق بالمدينة ، وارتدَّت العربُ قاطبةً ، وانحازت الأنصار ، وصار المسلمون كالغنم السائبة في الليلة الماطرة ، حتى جمعهم الله على أبي بكر ، فلقد نزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها »[٢] .

---

(١) تاريخ دمشق : (٣٠/٣١٩) .

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة : ص : ٩٩ .

وكان المرتدون فريقين : فريقاً بذلوا الصلاة ومنعوا الزكاة ، وفريقاً كفروا بالدين كله ، وآمنوا بشريعة الطواغيت (مُسَيْلَمة ، وطُلَيحة ، والأسود) ، فأما الفريق الأول فقال : نؤمن بالله ونشهد أنَّ محمداً رسول الله ، ولكنا لا نعطيكم أموالنا ، فصرَّحوا لأبي بكر بأنهم يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة . فردَّ عليهم أبو بكر قائلاً : « والله لو منعوني عناقاً[1] لقاتلتُهم على منعها »[2] . فجادله في ذلك كثيرٌ من الصحابة الذين كانوا يرون أنَّ اللِّين أولى ، وأبو بكر ماضٍ في الذي شرح الله صدرَه من الحقِّ ، لا يضعف ولا يني ، ولقد قال له عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : يا خليفة رسول الله ! تألف الناس ، وارفق بهم ! فقال : رجوتُ نُصرتك وجئتني بخذلانك ؟ أجبّارٌ في الجاهلية وخوّارٌ في الإسلام ، إنه انقطع الوحي ، وتمَّ الدينُ ، أوَ ينقض ؛ وأنا حيٌّ[3] ؟!

وكان إنكار أداء الزكاة في رأي أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ارتداداً ، والارتدادُ عقوبته القتل والقتال ؛ إذ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فبدأ ـ رضي الله عنه ـ القتالَ مع المرتدين الذي استمرَّ طويلاً ، والذي عُرف في التاريخ بـ « حروب الردة » ، وكان فيها فتحٌ للإسلام عظيمٌ ، فتحه الله على أبي بكر ، ليكون معجزةً من معجزات النبوة .

---

(١) وهي الأنثى من أولاد المعز

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١/٢٨٩) برقم : (٩٤١) .

(٣) الرياض النضرة : ص : ٤٥ .

يتناول هذا الكتابُ جميعَ حروب الردة ، كما يتناول أيضاً بدايات الفتوحات الإسلامية في العراق ، وأولَ الحروب مع الفرس ، وقد ألَّف الواقديُّ هذا الكتاب في أواخر القرن الثاني للهجرة بأسلوبه القصصي الموجَّه إلى العامة والذي يجمع بين الشعر والنثر ، ويروي الأحداث عن ابن الأعثم الكوفي دون إشارة إلى سلسلة الرواة وتمحيص نصوصهم ، مع المحافظة في نفس الوقت على الأمانة العلمية وجوهرِ الوقائع والأحداث .

وكانت لمخطوطة هذا الكتاب نسخةٌ فريدةٌ في العالم ، عثر عليها الشيخ حميد الله في مكتبة خدا بخش خان الشهيرة في بلدة « بَتْنَهْ » في الهند ، فقام بتحقيقها والتعليق عليها ، كما قدَّم لها بمقدمةٍ قيمةٍ كعادته ، بحث فيها عن علم التاريخ عند المسلمين ، وأحوال الواقدي ، كذلك قام بتبويب الأحاديث وفهرسة الكتاب .

طبعت هذا الكتابَ المؤسَّسةُ العالمية للنشر في باريس عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) .

٥ ـ رسالتان لابن حبيب

صاحبُ هاتين الرسالتين هو : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥هـ) من كبار القدماء المسلمين ، ولكن الذي يؤسف عليه حقاً : أنه لم يصل إلينا من مؤلفاته إلا الشيء اليسير ، مع أنه كان قد ألَّف أكثر من أربعين كتاباً كما ذكره الشيخ حميد الله في كلمة الختام لكتابه الشهير بـ : « المحبّر »[١] .

وقد عثر الشيخُ حميد الله على رسالتي ابن حبيب في إحدى المجموعات في خزانة كتب طوب قبو سراي في تركيا ، وقام بتحقيقهما ، أما الرسالة الأولى فهي بعنوان : « كتاب الأمثال » ، وهي عبارة عن اقتباساتٍ من كتب الأوائل في هذا الموضوع ، أما الرسالة الأخرى فهي بعنوان : « كتاب ما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسُمّيا به » ، والتي تناول فيها المؤلفُ موضوعاً طريفاً كما هو ظاهرٌ من عنوانها ، وقد كان من شأن العرب إذا اجتمع اسمان : مذكَّر ومؤنَّث ، أو كنية واسم ، أن يغلِّبوا الاسم على الكنية ، والمذكَّرَ على المؤنَّث ، وإذا اجتمع اسمان أحدهما أشهر من صاحبه ؛ غلَّبوا المشهور منهما .

---

(١) طُبع في دائرة المعارف بحيدر آباد (الدكن) عام ١٣٦١هـ .

نُشرت هاتين الرسالتين بتحقيق الشيخ في مجلة « المجمع العلمي العراقي » ، في المجلد (٤) صفحة (٣٥ ـ ٤٥) عام ١٩٥٦م .

٦ ـ أنساب الأشراف

لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المعروف بالبَلاذُرِيّ
(المتوفى سنة ٢٧٩هـ)

يتناول هذا الكتابُ أنسابَ أشراف العرب ويشرحها ، ويتناول الأخبارَ ويستقصي في ذلك ، فهو من جهةٍ يُعَدّ كتابَ أنسابٍ ، ومن جهةٍ أخرى يعد كتابَ أخبارٍ .

والبلاذُري لم يُرد بعنوان كتابه : (أنساب الأشراف) أن يترجم لآل البيت فقط كما يُظَنّ ، بل بدأه بذكر نسب نوح عليه السلام ، ثم تكلَّم عن العرب ونزل إلى عدنان الذي هو رأس عمود نسب الرسول ﷺ ، وظلَّ ينـزل إلى أجداد النبي واحداً واحداً ، ذاكراً ما يتصل بكل جدٍّ على حدة ، ثم أبناءه باختصارٍ حتى وصل إلى مولد الرسول ، فتناول أبناء الجدّ الأول عبد المُطَّلِب واحداً واحداً فبنيهم وبني أبنائهم ومن نزل ، وهكذا يظلُّ متتبعاً عمود النسب حتى ينتهي إلى نسب قيس . ثم ينزل متتبعاً نسل قيس حتى يصل إلى ثقيف وهكذا دواليك .

يذكر فيه المؤلفُ الخبرَ برواياته المختلفة بالأسانيد ، ويعقد تراجمَ مطوَّلةً لبعض الأعلام الذين اشتهروا من الحكّام والعلماء والأدباء .

يختلف هذا الكتاب عن كتب التاريخ ، فالبلاذري لا يسوق الحوادث على تسلسل الأعوام ، ولا بتتبع تسلسل الحكام ، كما هو يختلف أيضاً عن كتب الأنساب ، فلا يسرد فيه البلاذري النسبَ موجزاً ، ولم يقتصر في ترجمته للحاكمين على مبدأ حياتهم ومنتهاها باختصارٍ ، بل هو صاحبُ طريقةٍ وأسلوبٍ ، إنه يجمع بين التاريخ والتراجم والأدب وتشابُك الأنساب .

يقال لم تكن لهذا الكتاب نسخةٌ كاملةٌ في جميع العراق ـ محلّ تأليفه ـ في القرن الخامس الهجري حتى عثر محمد بن أحمد البخاري (المتوفى سنة ٤٨٣هـ) على نسخةٍ منه في عشرين مجلداً في مصر ، والنُّسّاخ ينقلونه في مجلدتين ، أو أربعة ، أو عشرين حسب حاجاتهم . أما في عصرنا هذا فلم توجد له نسخةٌ إلا في إستنبول ، والتي كانت في مجلدتين ضخمتين من القطع الكبير في مكتبة رئيس الكتاب (الموجودة الآن في بناء المكاتب المسمَّى بسليمانية) ، ونسختان ناقصتان في مكتبات برلين وصنعاء ، أما في برلين فلا يوجد إلا المجلد الحادي عشر ، وقد حقَّقه ونشره المستشرق ألوارت في جرائفسوالد سنة ١٨٨٣م . وحصل الشيخ حميد الله على جميع نسخ هذا الكتاب من برلين وإستنبول ، وقام بتحقيق الجزء الأول منه بغاية الدقة والأمانة ، وقد تعمَّد فيه على تقليل الحواشي والاكتفاء بما لا بد منه ، وذلك نظراً إلى ضخامته .

طبعت هذا الكتاب دارُ المعارف بمصر عام ١٩٥٩م في سلسلتها النفيسة « ذخائر العرب » برقم (٢٧) .

٧ ـ كتاب الأنواء في مواسم العرب

لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدِّيْنَوَري (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)

لقد كان الأعراب في صحاريهم يستدلُّون بالشمس والقمر والنجوم ، فسمّوا أعظمها وأشدّها نوراً بأسماء عادية مأخوذة من الحياة اليومية ، وتداولت بينهم معرفتها منذ أقدم الزمان ، ثم لاحظوا أنَّ بعض النجوم تطلع أو تسقط ، ويحدث مع طلوعها أو سقوطها حوادث تمسُّ الحياة البدوية من نتاج المواشي ومعالجة النخيل وهطول المطر إلى غير ذلك ، مما يهتم به البدوي أشدَّ الاهتمام ؛ فشاهدوا أنَّ تلك النجوم الخاصة تتقارن اثنين اثنين ، حتى يطلع أحدها في المشرق غداةً حينما يسقط أخوه في المغرب ، فسمّو الطالع : « رقيباً » ، كأنه يرقب سقوطَ الآخر ، وسمّوا الساقط : « نوءاً » من « ناءَ » ، وإنما قيل : « ناء » إذا سقط ؛ لأنه يميل ، والميلُ هو النّواء ، ومعنى قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ [القصص : ٧٦] ، أي : لتميل بها من ثقلها . وكذلك عدّوا في السنة الشمسية عدداً غير معلومٍ ـ والذي يكاد يكون (٢٨) ـ من أوقات مختلفة المدة ، يدلُّ على ابتدائها سقوط نجم معلوم ؛ وأطلقوا على كل واحد منها اسم النوء (وجمعه : أنواء) ، فنشأ من ملاحظاتهم أسجاعٌ تخصُّ طلوع الرقائب وسقوط الأنواء ، وتُشير إلى الحوادث التي يمتاز بها كلّ نوءٍ .

عندما كانت مبادىء علم الهيئة تنتشر في الدوائر العربية بفضل المؤلفات المنقولة إلى لغة الضاد ؛ كان العلماء المتخصِّصون بالنجوم والشعر واللغة يجمعون ما يقدرون عليه من الوثائق الصحيحة المحفوظة في صدور الأعراب خاصةً ، والعرب عامةً ، ولم يلبث بعضهم أن دوَّنوا كتباً قائمة على مفهومٍ بسيطٍ واحدٍ كالخيل والإبل والمطر وغيرها[١] .

ومن المعلوم : أنَّ تلك الآثار المتقدمة المحتوية على أشعار ومصطلحات قديمة ، هي التي مكَّنتْ اللُّغويِّين والمتأخرين من تدوين قواميسهم الضافية . وهكذا انقاد العلماء إلى طلب الأشعار والأسجاع والألفاظ المتعلقة بالنجوم وتدوينها في كتبٍ يُسَمّى كل واحد منها بـ : « كتاب الأنواء » . والراجح : أنَّ أول من اعتنى بجمع المعلومات عن الأنواء هم اللغويون والأدباء ، ثم استفاد منهم آخرون مثل : الفقهاء والنباتيين وأصحاب الخراج والمال ، ومؤلفي الجغرافيا وغيرهم ، ولكن للأسف . . . لم يبق اليوم من كتب هؤلاء غير الأسماء ، ما عدا كتاب ابن قتيبة الفذّ الفريد هذا ، والذي قام بتحقيه لأول مرة الشيخ حميد الله ،والذي نحن في صدد تعريفه هاهنا .

ومما يجدر بي هنا أن أدع ابنَ قتيبة نفسَه ليعرِّفنا بهذا الكتاب القيم من محتواه ومنهجه مما كتبه في مقدمته ، فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ بعد البسملة : « هذا كتابٌ أخبرتُ فيه بمذاهب العرب في علم النجوم : مطالعها ، ومساقطها ، وصفاتها ، وصورها ،

---

(١) انظر مقدمة المحقق للكتاب .

وأسماء منازل القمر منها ، وأنوائها ، وفرق ما بين يمانِيِّها وشامِيِّها ، والأزمنة وفصولها ، والأمطار وأوقاتها ، واختلاف أسمائها في الفصول ، وأوقات التبدِّي لتتبع مساقط الغيث وارتياد الكلأ وأوقات حضور المياه ، وما أودعته العرب أسجاعها في طلوع كل نجمٍ من الدلالات على الحوادث عند طلوعه ، وعن الرياح وأفعالها ، وتحديد مهابّها ، وأوقات بوارحها ، وعن الفلك والقطب والمجرَّة والبروج والنجوم والخُنَّس والشمس والقمر ودراري الكواكب ومشاهيرها والاهتداء بها ، وعن السحاب ومخايله ماطِره ومُخلِفه ، والبروق خلّبها وصادقها ، وأمارات خصب الزمان وجدوبته ، إلى غير ذلك .

وقد قيّدتُ بهذا الكتاب أطرافاً من هذا الفنِّ ، أدركتُ بعضها بالتوقيف ، وبعضها بالاعتبار ، واستخرجتُ بعضها من الأشعار ، ونبّهتُ على إغفال من أغفل من الشعراء وخالف ما عليه أكثرهم لشبهةٍ دخلتْ عليه . . . . . » .

لقد عثر الشيخ حميد الله على ثلاث نسخ لمخطوطة هذا الكتاب في بعض كبرى المكتبات العالمية ، كمكتبة بودلين في أوكسفورد ببريطانية ، ودار الكتب المصرية بالقاهرة ، وقام بتحقيق الكتاب بمقابلة تلك النسخ مع بعضها البعض ، وله تعليقاتٌ مفيدةٌ عليه ، والتي تدلُّ على سعة اطلاعه على علم الفلك ، كما كتب له مقدمةً علميةً مسهبةً حول الأنواء والكتب التي أُلِّفت فيها قبل ابن قتيبة .

طُبع هذا الكتاب في دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الدكن) عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) في (٢٥٠) صفحة .

٨ـ كتاب النَّبات

لأبي حنيفة أحمد داود بن وَنَنْدَ الدِّيْنَوَري (المتوفى سنة ٢٨٢هـ)

لقد ألَّف أبوحنيفة كتباً كثيرةً ، ولكن معظمها اليوم في عداد المفقودات ما عدا كتابين له ، الأول : « كتاب الأخبار الطوال » ، والثاني « كتاب النبات » ، وألف الكتابَ الثاني في ست مجلدات على ترتيب الحروف الأبجدية ، والذي يُعتبر موسوعةً في بابه وإماماً في محرابه ، وعرَّف فيه آلافاً من أنواع وأقسام الشُّجيرات والنباتات ، وبيَّن فوائدَ كلٍّ منها .

ولكن للأسف . . . لا توجد لهذا الكتابِ القيِّم نسخٌ سليمةٌ في مكتبات العالم ، وحتى التي وُجد منها إلى الآن فهي ناقصةٌ أو متفرّقةٌ في المكتبات المختلفة ، وقد ذكر عبد القادر البغدادي في « خزانة الأدب »[1] أنَّ هذا الكتاب كان في ست مجلدات كبار .

عثر الشيخ حميد الله على المجلد الثالث من هذا الكتاب في مكتبة جامعة ييل (Yale) في أمريكا ، والمجلدِ الخامس في مكتبة جامعة إستنبول ، وبعضِ المجلداتِ الباقية في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وقد جمع جميعَ نسخ الكتاب ،

---

(١) ١/١١ .

وقابل كلَّ واحدٍ منها مع بعضها البعض ، وحقَّقها تحقيقاً علمياً دقيقاً ، كما قدَّم للكتاب مقدمةً ضافيةً ، والتي تتضمَّن بحثاً علمياً قيماً بعنوان : « علم النبات عند المسلمين ومكانة الدينوري فيه » ، وقد جاء فيه تعريفٌ جامعٌ لتطوُّر علم النبات عند المسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام إلى عصر الدينوري ، كما اشتمل هذا التعريفُ على مقارنةٍ بين كتاب ذيوسقوريدس وبين كتاب الدينوري .

طُبع هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٧٣م ، ثم أعيدت طباعته في بيت الحكمة في كراتشي بباكستان عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) .

٩ ـ كتاب المعتمد في أصول الفقه

للقاضي أبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي
(المتوفى سنة ٤٣٦هـ)

وهو أحدُ الكتب الأربعة التي يدور حولها علمُ أصول الفقه عند جمهور الأصوليين ، وهي : « المعتمد » للقاضي عبد الجبار الهمداني (المتوفى سنة ٤١٥هـ) ، و« الوصية » لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُوَيني (المتوفى سنة ٤٧٢هـ) ، و « المستضيء » لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥هـ) ، والرابع هذا الكتاب الذي نحن في صدد الحديث عنه .

يتراءى لي أن أنقل هنا مقدمة مؤلف هذا الكتاب ليأخذ القارىء الصورةَ عنه ، يقول ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الحمدلة والصلاة والسلام على النبي ﷺ : « . . . الذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب في أصول الفقه ، بعد شرحي (كتاب العهد) واستقصاء القول فيه : أني سلكتُ في (الشرح) مسلكَ الكتاب في ترتيب أبوابه ، وتكرارِ كثيرٍ من مسائله ، وشرحِ أبوابٍ لا تليق بأصول الفقه من دقيق الكلام ، نحو القول في أقسام العلوم ، وحدِّ الضروري منها والمكتسب ، وتوليدِ النظر العلمَ ونفي توليده النظرَ ، إلى غير

ذلك . فطال الكتاب بذلك وبذكر ألفاظ (العهد) على وجهها ، وتأويلِ كثيرٍ منها .

فأحببتُ أن أؤلِّف كتاباً مرتّبةً أبوابه غير مكرَّرة ، وأعدل فيه عن ذكر ما لا يليق بأصول الفقه من دقيق الكلام إذا كان ذلك من علمٍ آخر ، لا يجوز خلطُه بهذا العلم ؛ وإن يعلق به من وجهٍ بعيدٍ ، فإنه لم يجز أن يُذكَر في كتب الفقه التوحيدُ والعدل ، وأصول الفقه ـ مع كون الفقه مبنياً على ذلك مع شدة اتصاله به ـ فبأن لا يجوز ذكر هذه الأبواب في أصول الفقه ـ على بُعد تعلُّقها به ، ومع أنه لا يقف عليها فهمُ الغرض بالكتاب ـ أولى . وأيضاً فإنَّ القارىء لهذه الأبواب في أصول الفقه إن كان عارفاً بالكلام ؛ فقد عرفها على أتمِّ استقصاءٍ . وليس يستفيد من هذه الأبواب شيئاً ، وإن كان غير عارفٍ بالكلام ؛ صعب عليه فهمها ، وإن شرحتُ له فيعظم ضجره وملُلُه ؛ إذ كان قد صرف عنايته وشغل زمانه بما يصعب عليه فهمه ، وليس بمدركٍ منه غرضه ؛ فكان الأولى حذفُ هذه الأبواب من أصول الفقه .

فحداني إلى تأليف هذا الكتاب ما ذكرتُه ، وأن يقدم هذا الكتاب أيضاً زياداتٍ لا توجد في (الشرح)، وأنا ـ إن شاء الله ـ أذكر الغرضَ بهذا الكتاب. ثم أذكر أقسامه، وعددَ أبوابه، وترتيبها، ثم أشرع في الكلام فيها بمعونة الله وحسن توفيقه » .

عثر الشيخ حميد الله على ثلاثة نسخ من مخطوطة هذا الكتاب في مكتبات : إستانبول ، ومصر ، واليمن ، وقابل كلَّ واحدةٍ منها مع الأخرى مقابلةً دقيقةً للغاية ، وأخرج الكتاب بتحقيقه الدقيق ، وتعليقاته المفيدة ، وملاحظاته القيمة ، كما كتب له مقدمةً علميةً

قيمةً بالفرنسية ، ردَّ فيها على زعم بعض العلماء في إنكار المعتزلة الحديثَ .

طبع هذا الكتابَ المجمعُ العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق في عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م في مجلدتين ضخمتين ، وكان لهذا الكتاب أكبرُ الأثر عند كل دارسٍ لعلم أصول الفقه في الجامعات الإسلامية والمراكز الاستشراقية في العالم .

١٠ـ كتاب الذخائر والتُّحَف

للقاضي الرشيد بن زبير الغساني (المتوفى سنة ٥٦٣هـ)

هذا كتابٌ نادرٌ فريدٌ ، لم يعن بموضوعه إلا القلائل ، وهو يدور على أمرين هامين :

الأول : الحضارة الإسلامية العربية تبدو من خلال الذخائر والتُّحَف التي وُجدت في قصور الخلفاء والملوك والولاة والقواد والناس ، والهدايا التي تبادلوها ، والولائم التي أقاموها .

والثاني : الصلات الدبلوماسية بين ملوك العرب وملوك أوروبة والهند ، والرسائل التي تراسلوا بها ، والتحف التي تهادوها .

فالكتاب في ناحيته الأولى يقدِّم موادَ خصبةً لدراسة الحضارة العربية الإسلامية في جوانبها الاقتصادي والفني والخلقي ، ويُظهر عبقريةَ العرب والمستعربين في الإبداع الفني . وهو في ناحيته الثانية يكشف لنا صفحاتٍ جديدةً عن عِزّ العرب وصلاتهم بملوك الأرض .

والناحيتان مهمتان ، وكلتاهما جديرة بالعناية .

وثمة شأنٌ آخر للكتاب يبدو في أنَّ مؤلفه شاهد بنفسه وسمع بعضَ ما كتبه مما كان في عصره ، وأنه استمدَّ البعضَ الآخر من مصادر مفقودة لا نجدها بين أيدينا . الأمر الذي جعله مرجعاً في هذا

البـاب الحضـاري . فنقـل عنـه المقـريـزيُّ وابـن تغـري بـردي ، والقَلْقَشَنْدِي ، والغزولي وغيرهم[1] .

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب : « هذا كتابٌ فيه ذكرُ الهدايا ، والتّحفِ العظيمة الأقدار ، والنَّفقاتِ في الولائم ، والدَّعواتِ ، والإِعذارات ، والحذاقاتِ ، والأَيام المشهودة ، والاجتماعات في الأوقات المعهودة ، وغرائب الموجودات ، والذَّخائر المصونات الموجودات بعد الوفيات ، والمغانم والفتوحات ، والكنوز والدَّفائن ، والنَّفقات ، وما أُخرج من خزائن قصر الإمام المستنصر بالله في أيام الفتنة في سنة ستّين وسنة إحدى وستّين وأربعمئة » .

حقَّق الشيخ حميد الله هذا الكتابَ عن نسخةٍ فريدةٍ ، فقوَّم نصوصه ـ على صعوبتها ـ ، وحقَّق الألفاظَ الحضارية فيه على كثرتها . وزاد في صعوبة التحقيق : أنَّ المخطوطة فريدة لم يقع المحقق على أختٍ لها . ومع ذلك فقد بَذَل أكبر الجهد وأنفق كثيراً من الوقت ؛ ليكون النَّصُّ صحيحاً أقرب ما يكون إلى الصحة .

طُبع هذا الكتاب في دائرة المطبوعات والنشر بالكويت عام ١٩٥٩م ، ثم نشرته وزارة الأعلام في الكويت في سلسلتها « التراث العربي » بتقديم الدكتور صلاح الدين المنجد عام ١٩٨٤م .

---

(١) انظر مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد ، ص : ٥ ـ ٦ .

١١ـ كتاب السَّرد والفرد في صحائف الأخبار ونسخها المنقولة عن سيد المرسلين محمَّد ﷺ

لأبي الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطَّالقائي القزويني (المتوفى سنة ٥٩٠هـ)

يحتوي هذا الكتابُ على (٤٣٦) رواية ، والتي تشمل إحدى عشرة صحيفةً ، وكلها تتضمَّن الأخبارَ والآثار عن النبي ﷺ بالأسانيد المسندة بين المؤلف وأصحاب تلك الروايات ، جمعها المؤلِّفُ ليسهل على طلاب علم الحديث حفظُها كما ذكر ذلك في مقدمته له ، وهو يعني بعنوان الكتاب : « السرد والفرد » سردَ الأحاديث المتعدّدة بالأسانيد المنقولة المتفقة عليها .

أما الصحائف التي احتواها هذا الكتاب مع الروايات فهي كما يلي :

١ ـ صحيفة همَّام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، والتي تشمل (١١٨) رواية .

٢ ـ صحيفة كلثوم بن محمد عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، والتي تشمل (٦٦) رواية .

٣ ـ صحيفة عبد الرَّزّاق عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، والتي تشمل (٤٧) رواية .

٤ ـ صحيفة حُمَيد الطَّويل عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، والتي تشمل (١٠) روايات .

٥ ـ صحيفةٌ من طريق أهل البيت عن عليٍّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والتي تشمل (١٩) رواية .

٦ ـ صحيفة إلياس وخضر عليهما السلام عن النبي ﷺ ، والتي تشمل (٢١) رواية .

٧ ـ صحيفة الأشجّ عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، والتي تشمل (٢٠) رواية .

٨ ـ صحيفة جعفر بن نِسْطور الرُّومي ، والتي تشمل (١١) رواية .

٩ ـ صحيفة خِرَاش عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، والتي تشمل (١٤) رواية .

١٠ ـ صحيفة عبد الرَّزّاق عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، والتي تشمل (٢٧) رواية .

١١ ـ صحيفة جُوَيرية بنت أسماء عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، والتي تشمل (٨٣) رواية .

ومجموعُ الروايات كلها تبلغ (٤٣٦) رواية .

وكانت هذه المخطوطة مِن نَسخ عام ٥٩٩هـ ، وقد عثر عليها الشيخ حميد الله في مكتبة السُّليمانية بإستنبول في خزانة وزير شهيد علي باشا ، ثم قام بتحقيقها وترقيم أحاديثها ، والتي بلغت (٤٥٤) حديثاً ، كما أنه قام بإضافة مقدمة علمية إلى الكتاب ، والتي زادت في قيمة الكتاب ،

حيث عرَّف فيها بجميع الصحائف التي يشتمل عليها هذا الكتاب ، وألقى فيها الضوءَ على تاريخ تدوين الحديث .

طبعه المجلس الوطني للهجرة بإسلام آباد مع الترجمة الإنكليزية عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) في (١٠٢) صفحة .

١٢ـ كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر
(جزائر الخليج العربي الفارسي)

للشيخ نعمان بن محمد بن العراق (من علماء القرن العاشر للهجرة)

تمتاز مدينة « البصرة » بمزايا كثيرة ، منها : أنها أولُ مدينةٍ مصَّرها العربُ بعد إسلامهم فأنشؤوها ما بين سنوات ١٤ و ١٧ للهجرة ، وهذا قبل تأسيس « الكوفة » . وقد كانت البصرة مرفأً لسفن الهند والصين قبل الإسلام ، وكانوا يسمّونها في تلك الفترة : « الأبلة » ، و« أرض الهند » ، و« فرج الهند » ، والتي كانت من أكبر موانيء العالم في العصر العباسي ، كما ازدادت أهميةُ هذه المدينة في القرون الأولى من الإسلام ـ خصوصاً في العصرين الأموي والعباسي ـ لنشاطها الثقافي والعلمي والأدبي والاقتصادي ، وازدهرت سلطتها وتفوَّقت مثل الكوفة على سائر البلاد العربية في العلوم العربية والمذاهب النحوية والمسائل اللغوية .

لقد ألَّف العلماءُ عدةَ مؤلفاتٍ عن هذه المدينة في فضائلها ومزاياها ، كما ذكرها ابن النديم في فهرسته ، وياقوت الحموي في معجمه في عدة مواضع من كتابيهما ، لكن للأسف لم يصل إلينا منها أثرٌ رغم تمادي القرون سِوى هذا الكتاب ، والذي يحتوي على الجزأين ، الجزء الأول وهو يحوي أكثرَ الكتاب ، ويفصِّل لنا عن

البصرة ، أما الجزء الثاني فهو ربعْ الكتاب ، يذكر فيه المؤلف الجزائر والقرى الموجودة في خليج فارس وعلى شط العرب ، وهذه القرى هي التي افتقرت إلى البصرة لمفادها الاقتصادي وشؤونها المالية ، مثل : دبي ، والبحرين ، وعُمان ومواضع أخرى .

كما يبحث هذا الكتاب عن تاريخ تمصير البلدة ، وعن كثير من الرجال الذين ساهموا في رفع مكانتها وعلوِّ منزلتها من القضاة والفقهاء والمحدِّثين . كذلك يشتمل الكتاب على نصوصٍ من المؤلفات القديمة في الموضوع ، خصوصاً من الكتب التي أُلِّفت في القرن الثالث من الهجرة ، وليس فيه ذكرٌ للذين اشتهروا من رجال البصرة بعد القرن الثالث إلا بعض مَن كان من معاصري المؤلف .

وكانت لهذا الكتاب مخطوطةٌ وحيدةٌ في العالم ، ولم يهتد إليها بروكلمان ليُشير إليها في كتابه « تاريخ الأدب العربي » ، ولا الأستاذ فؤاد سزكين في استدراكه عليه في « تاريخ التراث العربي » ، وقد عثر عليها الشيخ حميد الله خلال زيارة له لتركيا عام ١٩٥١م ، في مكتبة يوسف آغا الواقعة في بلدة « قونية » . وقد أعيا الشيخَ تحقيقُ هذه المخطوطة بسبب كثرة الخرم فيها ، فاستعان في إثبات كثيرٍ من عباراتها من كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ، والذي كان من علماء القرن التاسع للهجرة ، وحاول جاهداً تصحيح بعض أخطائها مستعيناً ببعض مصادر التاريخ القديمة ، وعلّق عليها تعليقاتٍ مفيدةً ، كما أنه استدرك على المؤلف بعضَ ما لم يذكره في هذا الكتاب مما ينبغي ذكرُه ، مثل رسالة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى واليه في البصرة أبو موسى الأشعري ـ رضي الله

عنه ـ في آداب القضاء وسياسة العدل ، مع أنها أثمن وثيقة « بصرية » في تاريخ الإسلام .

وقد طُبع هذا الكتاب في مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد بباكستان عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) .

. . . .

أما المخطوطات التي حقَّقها الشيخ ولكنها لم تُطبع إلى الآن فهي قد تكون كثيرة ، ولم يعرف عنها أحدٌ غيره بسبب انعزاله عن الأقارب والأصدقاء في بلدٍ ناءٍ بعيدٍ ، لكن يوجد من بينها بعضُ المخطوطات المحقَّقة لدى ورثته ، تنتظر أن ترى نورَ الطباعة مثل : « غياث الأمم » : لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُـوَيْني (المتوفى سنة ٤٧٢هـ) ، وغير ذلك من المخطوطات التي لم أستطع الاطلاع عليها .

○○○

مقالاته وبحوثه

لقد كتب الشيخ حميد الله مئاتٍ من المقالات والأبحاث القيمة في موضوعاتٍ متنوّعةٍ باللغات العديدة ، ويبلغ مجموعُ ذلك حسب إحصاء بعض الباحثين نحو ألف مقالة وبحث ، وأكثرها بالأردية والفرنسية ، ثم الإنكليزية والتركية ، أمَّا ماكتبه بالعربية فهو لا يتجاوز عن أربعين مقالًا ، وإنْ كان هذا العددُ من حيث الكمية قليلاً جداً ، لكنه من حيث القيمة العلمية وما يحويه من المواد التاريخية والأدبية مُحِقٌّ لأن نعتبره في عداد نفائس المقالات وجياد الأبحاث كتلك التي كانت تدبِّجها أقلام أبرع محقِّقي العرب في مجلات المجامع العلمية العربية في كلٍّ من دمشق ، والعراق ، ومصر ، أمثال : العلامة بهجة البيطار(١) ، والعلامة بهجة الأثري(٢) والأستاذ عبد السَّلام هارون(٣) ، والعلامة عبد العزيز

---

(١) هو العلامة الكبير ، المفسِّر النحوي : الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي الميداني ، من كبار علماء العرب والمسلمين لعصره . تولَّى تدريسَ مادة التفسير في جامعة دمشق مدةً طويلةً ، وأسهم في أعمال مجمع اللغة العربية التحقيقية ، وكان من أبرز أعضائه وكبار الكُتَّاب لمجلته . توفي سنة ١٣٩٦هـ .

(٢) هو العالم المحقق ، والأديب المؤرِّخ : العلامة الشيخ محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر ، المعروف بالأثري ، وكان من أنبغ تلاميذ العلامة السيد محمود شكري الآلوسي ، الذي لقَّبه بـ : « الأثري » لُولوعه بالحديث النبوي الشريف . كان من الكُتّاب المتقنين الغياري على نقاء اللغة العربية وأصالةِ كلماتها وتعبيراتها ، وكان عضواً لمجامع اللغة العربية بدمشق وبغداد والقاهرة . توفي سنة ١٤١٦هـ .

(٣) هو العلامة البحَّاثة ، الأديب اللغوي : الأستاذ عبد السلام بن محمد هارون ، من =

المَيْمَني[١] ، والشيخ حَمْد الجاسر[٢] ، والعلامة محمود محمد شاكر[٣] ، والأستاذ صلاح الدين المنجِّد[٤] ـ رحمهم الله جميعاً ـ ومَن على شاكلتهم .

وقد عثرتُ على عناوين بعض المقالات في مذكّرةٍ للشيخ ،

= شيوخ المحقِّقين . تخرَّج في الأزهر وفي جامعة القاهرة . كان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . حصل على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨١م . حقَّق نحو (١١٥) كتاباً من بينها أغلب كتب الجاحظ ، وله مؤلَّفات قيمة ، توفي سنة ١٤٠٨هـ .

(١) هو العالم الكبير ، المحقّق البارع ، اللُّغَوي الأديب : الشيخ عبد العزيز بن عبد الكريم المَيْمَني الرَّاجْكُوتي ، كان يحفظ نحواً من مئة ألف بيت من غرره ، برع بفقه اللغة والأدب ، عُيِّن أستاذاً في جامعة عليكره الإسلامية بالهند لتدريس اللغة العربية ، ثم رئيساً لقسمها . انتقل إلى باكستان وتولّى في جامعاتها تدريس اللغة العربية مدةً ، كان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق . توفي سنة ١٣٩٩هـ .

(٢) هو علامة الجزيرة العربية: الشيخ حَمْد بن محمد بن جاسر، من كبار المؤرخين والجغرافيين والباحثين في هذا العصر ، تخرَّج في المعهد الإسلامي السعودي بمكة المكرمة ، أنشأ صحيفة « اليمامة » عام ١٣٧٢هـ ، فكانت أولَ صحيفةٍ صدرت عن السعودية . انصبَّت جهوده على تحقيق كتب التراث والبحثِ في مجال الجغرافية ولا سيما جغرافية الجزيرة العربية إلى جانب العناية بالأدب والفكر الإسلامي . كان عضواً في عدة مجامع للغة العربية . وله عشرات المصنَّفات تأليفاً وتحقيقاً ، توفي سنه ١٤٢١هـ .

(٣) هو الأديب الضليع ، الناقد البصير : الأستاذ محمود محمد شاكر ، أستاذٌ جليلٌ من طرازٍ نادرٍ ، كان مرجعاً ثرّاً للعلماء والباحثين في شؤون اللغة والأدب . نال جائزةَ الملك فيصل العالمية في الأدب سنة ١٤٠٣هـ . له بحوثٌ قيمةٌ ومؤلَّفاتٌ نفيسةٌ في الأدب والتاريخ والنقد ، والتي تدلُّ على بُعد غوره في فهم التراث العربي حقَّ الفهم . توفي سنة ١٤١٨هـ .

(٤) هو العالم المؤرِّخ ، المحقق الضليع : الأستاذ صلاح الدين المنجد الدمشقي . درس على كبار علمائها أمثال العلامة محمد بهجة البيطار وغيره . عمل مديراً لمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة حتى عام ١٩٦١ ، وجلب للمعهد نفائسَ ونوادر من المخطوطات ، وكان له مهابةٌ عند الناس وقدرٌ لاشتغاله بعلم المخطوطات وتحقيق الكتب ، وقد لعب دوراً مميزاً وبارزاً في المحافظة على المخطوطات ، وحفظِ التراث الأصيل من الضياع والإهمال والسرقة والسطو . وقد أصدر عشرات الكتب واكتشف وحقّق مئات المخطوطات العربية والإسلامية .

والتي عرضها عليَّ ابن أخيه الأستاذ أحمد عطاء الله ، والتي سجَّل فيها الشيخ عناوين جميع المقالات والبحوث ـ التي نُشرت له في كبرى المجلات والجرائد الصادرة من بلاد الشرق والغرب في لغاتهما المختلفة ـ مع ذكر مكان الإصدار وتاريخ النشر ، ومما تراءى لي أن أنقل في هذا المقام عناوين تلك المقالات ، لعلَّه يكون فيه فائدة لمن له صلةٌ بمجالات التحقيق والبحوث العلمية ، فمنها ما يلي :

١ ـ **أقدم دستورٍ مسجَّلٍ في العالم : وثيقة مهمة للعصر النبوي** : تقدَّم به في مؤتمر دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الدكن) عام ١٩٣٨م .

٢ ـ **مملكة حيدرآباد الدَّكَنْ (المملكة الآصفية)** : نُشر في بغداد عام ١٩٤٨م .

٣ ـ « **دارم** » و « **توث** » : نُشر في مجلة « المجمع العربي العلمي » الصادرة عن دمشق ، في المجلد : (٢٩) عدد عام ١٩٥٤م ، ص : ٤٧٦ .

٤ ـ **شجر دارم ، ومزيتها** : نُشر في مجلة « المجمع العربي العلمي » الصادرة عن دمشق ، في عدد كانون الثاني لعام ١٩٥٥م ، في المجلد : ٣٠ ، ص : ٦٩٤ .

٥ ـ **أفكار أبي حنيفة الدينوري في العلوم الطبيعية** : نُشر في مجلة « المجمع العربي العلمي » الصادرة عن دمشق ، في المجلد : ٣٩ ، لعام ١٩٥٦م ، ص : ٤٠٩ ـ ٤١٥ .

٦ ـ **المخطوطات العربية في باريس** : نُشر في « مجلة معهد

المخطوطات » الصادرة عن القاهرة ، في المجلد : ٢/ ٢ لعام ١٩٥٦م .

٧ ـ **أفكار ابن رشد في فلسفة الحقوق والقانون** : نُشر في الكتاب الذهبي للمهرجان التذكاري ، المطبوع في تطوان (المغرب) عام ١٩٦١م .

٨ ـ **استدراك من كتاب النبات للدينوري** : نُشر في « مجلة المجمع العربي العلمي » الصادرة عن دمشق ، في المجلد : ٣٦ لعام ١٩٦١م .

٩ ـ **حول ذبائح أهل الكتاب** : نُشر في مجلة « الحجّ » الصادرة عن مكة المكرمة في المجلد : ٥ ، عدد : ٥/ أغسطس لعام ١٩٦١م .

١٠ ـ **الألمان في خدمة القرآن** : نُشر في مجلة « الفكر والفن » الصادرة عن هامبورغ في ألمانيا ، العدد الثاني لعام ١٩٦٣م ، ص : ١٧ ـ ٢٣ .

١١ ـ **صنعة الكتابة في عهد الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم** : نُشر في مجلة « الفكر والفن » الصادرة عن هامبورغ في ألمانيا ، العدد الثالث لعام ١٩٦٤م ، ص : ٢١ ـ ٢٧ .

١٢ ـ **مواقيت الصوم والصلاة في المناطق غير المعتدلة** : نُشر في مجلة « المسلمون » الصادرة عن جنيف (سويسرا) في المجلد الخامس لعام ١٩٦٤م .

١٣ ـ **مِنْ أسرار الصلاة وحكمتها** : نُشر في مجلة « البعث

الإسلامي » الصادرة عن دارالعلوم لندوة العلماء بلكنؤ (الهند) في المجلد : ٩/٤ ، عدد ديسمبر لعام ١٩٦٤م ، ص : ٤٢ـ٤٦ .

١٤ ـ **نظام التعليم في عهد الرسول ﷺ** : نُشر في مجلة « البعث الإسلامي » المذكورة ، في المجلد : ٩/٩ ، عدد يونيو لعام ١٩٦٥م ، ص : ٣٥ـ٤٥ .

١٥ ـ **ولكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ** : نُشر في مجلة « البعث الإسلامي » المذكورة في المجلد : ٩/٥ ، عدد يوليو لعام ١٩٦٥م ، ص : ٣٥ـ٤٠ .

١٦ ـ **كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري المشهور بكتاب سياسة القضاء وتدبير الحكم** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد (باكستان) .

١٧ ـ **هل تأثَّر الفقه الإسلامي بالقانون الرُّومي ؟** : نُشر في مجلة « الوعي الإسلامي » الصادرة عن الكويت ، عدد : فبراير لعام ١٩٦٦م .

١٨ ـ **الأواصر القومية في نظر الإسلام** : نُشر في مجلة « البعث الإسلامي » الصادرة عن دار العلوم لندوة العلماء بلكهنؤ (الهند) في المجلد : ١٥/٢ ، عدد : ٢/ أكتوبر لعام ١٩٦٦م .

١٩ ـ **السِّير أو القانون الدولي** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية

بإسلام آباد (باكستان) في المجلد : ٣/٣ ، عدد سبتمبر لعام ١٩٦٨م .

٢٠ ـ **حول موضوع الزيِّ الإسلامي (الحجاب)** : نُشر في مجلة « الشهاب » الصادرة عن بيروت في المجلد : ٢/١٥ ، عدد : ١٥ ديسمبر لعام ١٩٦٨م .

٢١ ـ **علم النبات عند المسلمين ومكانة الدينوري فيه** : نُشر في مجلة « الفكر الإسلامي » الصادرة عن بيروت في المجلد : ١/٧ أيار ، ص : ١٣ ـ ٢٨ ، والمجلد : ١/٨ حزيران ، ص : ١٤/٢٧ ، والمجلد : ١/ ٩ تموز ، ص : ١٣ ـ ٣٤ ، والمجلد : ١/ ١٠ آب ، ص : ١١ ـ ١٨ تشرين الأول من أعداد عام ١٩٧٠م .

٢٢ ـ **المخطوطات الجديدة من أنساب الأشراف للبلاذُري** : نُشر في « مجلة معهد المخطوطات» الصادرة عن القاهرة، في المجلد: ٦/ ١ـ٧، لعام ١٩٧٠م.

٢٣ ـ **صلات أرنست رنان مع جمال الدين الأفغاني** : نُشر في مجلة « الفكر الإسلامي » الصادرة عن بيروت ، في المجلد : ٢/ ٢ عدد فبراير لعام ١٩٧١م .

٢٤ ـ **توحيد الأحكام وتدوين الفقه على أيدي الأئمة : زيد ابن علي وأبي حنيفة ومالك والشافعي** : نُشر في مجلة « الإيمان » الصادرة عن الرباط (المغرب) ، في عدد /١٥ أغسطس لعام ١٩٧١م .

٢٥ ـ **آراء كتاب « جنبي » في بعض المسائل الفقهية المتأثرة**

بعلم الهيئة الجديدة : نُشر في مجلة « إسلام تقيقلري تستمس توسو دركيسي » الصادرة عن كلية الآداب في جامعة إستنبول (تركيا) في المجلد : ٣/٤ لعام ١٩٧١م .

٢٦ ـ **فقهاء إيران قبل الطُّوسي** : وهو بحث نفيس نُشر في تقرير « المؤتمر للذكرى الألفية للشيخ الطوسي » والذي كان انعقد في مشهد عام ١٩٧٢م ، ثم نشرته مجلة « الوعي الإسلامي » الصادرة عن الكويت ، في المجلد : ٨ عدد يوليو لعام ١٩٧٢م .

٢٧ ـ **الحجر الأسود يمين الله في الأرض** : نُشر في مجلة « الفكر الإسلامي » الصادرة عن بيروت ، في المجلد : ٣/ ١٠ ، عدد أكتوبر لعام ١٩٧٢م .

٢٨ ـ **النفط في معرفة المسلمين** : نُشر في مجلة « العلم » الصادرة عن تونس في المجلد : ١/ ٧ عدد عام ١٩٧٢م .

٢٩ ـ **مشاورات دينية** : نُشر في مجلة « الرائد » الصادرة عن آخن بألمانية الغربية عدد ديسمبر لعام ١٩٧٢م .

٣٠ ـ **كتاب معدن الجواهر في تاريخ البصرة والجزائر** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد (باكستان) في المجلد : ٧/ ١ عدد مارس لعام ١٩٧٢م ، ص : ٥ ـ ٣٧ .

٣١ ـ **كتاب الشعاعات للكندي** : نُشر في مجلة « العلم » الصادرة عن تونس العدد : ٩/ ١٤ لعام ١٩٦١ و١٩٧٢م .

٣٢ ـ تراجم القرآن الكريم في اللغات الأجنبية : نُشر في « المجلة العربية » الصادرة عن الرياض ، في عدد مايو ويونيو لعام ١٩٧٧م .

٣٣ ـ تعقيبٌ على رسالة الكندي في كتابات « الشعاعات » : نُشر في مجلة « المجمع العلمي العربي » الصادرة عن دمشق في المجلد : ٥٢ لعام ١٩٧٧م ص : ٥٠١ . ثم نُشر في مجلة « المجمع العلمي الهندي » الصادرة عن جامعة عليكره الإسلامية في عليكره (الهند) في المجلد : ١ ـ ٢/ ٣ عدد يوليو لعام ١٩٧٨م ، ص : ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

٣٤ ـ نشاط المسلمين البحري : نُشر في مجلة « مجمع اللغة العربية » الصادرة عن دمشق في المجلد : ٥٤ لعام ١٩٧٩م ، ص : ٩٢٦ .

٣٥ ـ استدراكاتٌ على مقال « أحكام ترجمة القرآن وتاريخها » : نُشر في مجلة « مجمع اللغة العربية » الصادرة عن دمشق في المجلد : ٥٥ ، لعام ١٩٨٠م ، ص : ٣٢٦ .

٣٦ ـ (إيشارب) (الشرب) : نُشر في مجلة « مجمع اللغة العربية » الصادرة عن دمشق في المجلد : ٥٨ لعام ١٩٨٣م ، ص : ٢٠٢ .

٣٧ ـ خلق الكائنات وأصل الأنواع حسب القرآن والمفكرين المسلمين : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية »

الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد (باكستان) في المجلد : ١٦/ ٤ عدد ديسمبر لعام ١٩٨١م ص : ٣٤ـ٥٨ .

٣٨ ـ **الاجتهاد في عصر الصحابة** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » المذكورة ، في المجلد : ١٩/ ٤ عدد يوليو وسبتمبر لعام ١٩٨٤م ، ص : ٢٣ـ٤٠ .

٣٩ ـ **تدوين القرآن الكريم وتراجمه** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية « المذكورة ، في المجلد : ١٩/ ٥ عدد أكتوبر وديسمبر لعام ١٩٨٤م ، ص : ٥ ـ ٢٦ .

٤٠ ـ **أقدم آثار تدوين الحديث كتابةً** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » المذكورة ، في المجلد : ٢٠/ ١ عدد يناير ومارس لعام ١٩٨٥م ، ص : ٥ ـ ٢٠ .

٤١ ـ **هل خالف النبيُّ عليه الصلاة والسلام أوامر الآية مثنى وثلاث ورباع ؟** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » المذكورة ، في المجلد : ٢٤/ ٤ ، عدد أكتوبر وديسمبر لعام ١٩٨٩م ، ص : ٥ ـ ١٢ .

٤٢ ـ **فتح الأندلس في خلافة سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة ٢٧ للهجرة** : نُشر في مجلة « الدراسات الإسلامية » المذكورة في عدد الربيع والصيف عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) ص : (١١ ـ ١٨) .

٤٣ ـ **قصص القرآن أهدافها وحكمها** : نُشر في « مجلة الكلية الشرقية » الصادرة عن جامعة البنجاب في لاهور

(باكستان) في المجلد : ١/٦٦ ، عددُ عامِ ١٩٩٣م ،
ص : ٢٩ـ٣٧ .

ooo

كلمة الختام

وبعد : فكانت هذه خلاصةٌ موجزةٌ ، ولمحاتٌ مختصرةٌ عن حياة عالمٍ موسوعيٍّ ، وداعيةٍ بصيرٍ ، ومحقِّقٍ بارعٍ ، عاش للإسلام وبه ومعه طيلةَ حياته ، وأفنى عمرَه في خدمته باللسان والقلم ، وآثر الباقي على الفاني مترفِّعاً بإيمانه الصادق فوق هذه الدنيا حقيقةً لا دعايةً ، وقد قضى أكثرَ من نصف عمره في الغرب مؤثِّراً فيها بما حمله من العلم وبما حَلاَّه ربُّه من الخُلُق ، لا متأثِّراً ببريق حضارته الزائفة مثل الكثيرين ، ولم تفارقه الدعوة إلى الله حيثما حلَّ وارتحل في بقاع تلك الأرض ولو لمدةٍ قصيرةٍ ، فكان منارةً هاديةً ، ودعوةً دائبةً ، وتعريفاً حيّاً بدينه ، ونموذجاً مثالياً لفضائله ومزاياه .

وقد حاولتُ في الفصل الأول من هذا الكتاب المتواضع أن أُبرز أهمَّ جوانب شخصية هذا العَلَم الجليل والعالم المِعْطاء ، كما سعيتُ في الفصل الثاني منه إلى التعريف به كمفسِّرٍ وداعيةٍ ومحقِّقٍ ومدافعٍ عن الإسلام ومتقنٍ للغات عديدة ، كذلك قمتُ في الفصل الثالث بتتبُّع آثاره العلمية من الكتب المؤلَّفة أو المحقَّقة ، ثم التعريفِ بكلٍّ منها ، لكني أرى من اللِّزام عليَّ أن أوضِّح هنا : أنني لم أتعرَّض في هذا الفصل للتعريف بجميع مؤلفاته وكتبه التي كتبها في غير العربية ، وذلك بسبب كثرتها في اللغات العديدة ، ثم بسبب عدم معرفتي

لكثير من تلك اللغات ، لذا اكتفيتُ فقط بتعريف الكتب التي ألَّفها وحقَّقها بالعربية ، وكذلك الكتب المعرَّبة ، ثم الكتب التي هي الآن في طور التعريب .

كما أنني أرى من الواجب عليَّ أن أعترف بتقصيري في عدم أداء حقِّ هذه الشخصيةِ الفذَّة الفريدة حيث أنني لم أستطع الإحاطةَ بجميع جوانبها التي لا زالت مخفيةً عنا لأسبابٍ قد ذكرتُها في مقدمة الكتاب ، خاصةً آثارها العلمية المنتشرة بين المطبوع والمخطوط في جميع تلك اللغات التي كان يُتقنها ويؤلِّف ويكتب فيها (كالأردية ، والفرنسية ، والإنكليزية ، والألمانية ، والتركية ، وغيرها) ، ليت الباحثين من ناطقي هذه اللغات أن يقوموا بفرز تلك الآثار ، ثم التعريف بكل واحدٍ منها في كتابٍ مستقلٍّ ، ففي ذلك وفاءٌ له ، وخدمةٌ للإسلام وتراثه .

كَتَبه

المُعْتَزُّ بالله تعالى

سيِّد عَبْدُ الماجِد الغَوْرِي

●●●

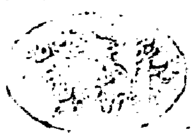
ملحق الشهادات والرسائل

- صورة إجازته في القرآن الكريم .
- صورة شهادته للماجستير من جامعة بون (ألمانية) .
- صورة شهادته للدكتوراه من جامعة السوربون (فرنسا) .
- نموذج خطِّه بالعربية .
- نموذج خطِّه بالأردية .
- نموذج خطِّه بالتركية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أودع جواهر المعاني الضيائية في قوالب زواهر المباني
من الحروف الهجائية وأنزل القرآن بلسان عربي مبين بواسطة الروح
الأمين على رسوله خاتم النبيين وهو أفصح من نطق بالضاد من بين العباد
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه (وبعد) فهذه إجازة صريحة من الفقير
إلى رحمة ربه القدير حسن بن إبراهيم الشهير بالشاعر المقرئ والمدرس بالحرم الشريف
النبوي إلى ولده الشاب الرشيد الكامل محمد حميد الله بن أبي محمد خليل الله القاطن
[حيدر] آباد دكن فإنه قرأ علي ختمة كاملة من أولها إلى آخرها بالتحرير والتدقيق
وقد استجازني فأجزته بأن يقرأ ويقرئها رواية بشروطها المعتبرة وهي تقوى الله
تعالى في السر والعلانية وأن يدعو لي بالدعوات الصالحات في الخلوات والجلوات كما أجازني
واشترط علي شيخي وأستاذي وحيد دهره وفريد عصره البصير بقلبه تغمده الله برحمته الشيخ
حسن بن محمد بيومي وهو عن الشيخ محمد سابق وهو عن الشيخ خليل المطوبسي وهو عن الشيخ علي
الأبياري وهو عن الشيخ علي الحلو بمكة المكرمة وهو عن الشيخ أحمد أبو سلمونة وهو عن الشيخ سليمان
الشباني وهو عن الشيخ أحمد الميهي عن أبيه الشيخ علي الميهي (رح الله) وهو عن سيدي محمد بن محمد
البقري عن سيدي عبد الرحمن [illegible] عن سيدي عبد الرحمن الأزهري عن سيدي سلطان المزاحي عن سيدي
أحمد المسيري عن الحصري الشهير بأولياء قبره (رح الله) فأما رواية حفص فحدثنا بها أبو الحسن
طاهر بن غلبون المقرئ قال حدثنا بها أبو الحسن علي بن محمد بن صالح الهاشمي المقرئ بالبصرة قال حدثنا بها
أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني عن أبي محمد عبيد الصباح عن حفص على عاصم وهو عاصم بن أبي النجود
وكنيته أبو بكر تابعي قرأ على أبي عبد الرحمن بن حبيب السلمي وزر بن حبيش الأسدي
على عثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت على النبي صلى الله عليه
وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العزة جل جلاله وعم نواله

راجي عفو ربه القادر حسن بن إبراهيم الشاعر



٢٤ ربيع الأول ١٣٦٦

صورة إجازته في القرآن الكريم

DIE PHILOSOPHISCHE FAKULTÄT
DER RHEINISCHEN FRIEDRICH WILHELMS-UNIVERSITÄT ZU BONN

VERLEIHT AUF GRUND DER ALS „GUT" BEFUNDENEN SCHRIFT

„DIE NEUTRALITÄT IM ISLAMISCHEN VÖLKERRECHT"

UND DER „SEHR GUT" BESTANDENEN MÜNDLICHEN PRÜFUNG

IN ISLAMKUNDE, SEMITISCHER PHILOLOGIE UND VÖLKERRECHT

DEM VERFASSER DER SCHRIFT

MUHAMMAD HAMIDULLAH

AUS HYDERABAD

DIE WÜRDE UND RECHTE EINES

DOKTORS DER PHILOSOPHIE

GEGEBEN ZU BONN AM 10 SEPTEMBER 1932

UNTER DEM REKTORAT DES PROFESSORS DER GERICHTLICHEN UND SOZIALEN MEDIZIN
DR. FRIEDRICH PIETRUSKY
UNTER DEM DEKANAT DES PROFESSORS DER ALTEN GESCHICHTE DR. FRIEDRICH OERTEL



صورة شهادته للماجستير من جامعة بون (ألمانية)



Nous, Doyen & Professeurs

Hamidullah



Nous Président du Conseil de l'Université de Paris, vu la déclaration ci-dessus, conférons

le titre de Docteur de l'Université de Paris & lui délivrons le présent dip





صورة شهادته للدكتوراه من جامعة السوربون (فرنسا)

باسمه تعالى : شاكرا ومصليا

4, Rue de Tournon,
Paris - 6

يوم الأربعاء
٢٦/٥/١٩٩٣

حضرة الأستاذ الفاضل الكريم كان الله معكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بقيتُ في المستشفى لثلاثة أشهر ولم أرجع
إلى البيت إلا منذ أسبوع ولا أزال تحت العلاج
فألتمس منكم أن تعذروني الآن - الكتب سترد
وأكرر الاعتذار فأنا في محل العذر

كان الله معكم

المفتقر إلى الله
محمد حميد الله

نموذج خطِّه بالعربية

جہاز اسفرات ہیرو
یکم فروری ۱۹۳۵

جناب صدر شعبہ کلیہ جامعہ عثمانیہ
حیدرآباد دکن

جناب والا. میری دو سالہ تعلیمی رپورٹ کی تکمیل کے لئے چند سطریں سپرد تحریر کرتا ہوں.
جیسا کہ آپ کو اس سے قبل اطلاعاً تحریر کیا گیا تھا میرا تقریری امتحان جنوری کے اواخر میں مقرر ہوا

چنانچہ ۳۱ جنوری یعنی کل صبح کے ساڑھے نو بجے سے ساڑھے بارہ بجے تک تین ممتحنوں (کی جیوری) کے سامنے جلسۂ عام میں شعبۂ ادبیات کے کمرۂ اجتماع میں تین تقریریں ہوئیں. پہلی تقریر جو ایک گھنٹے سے زائد رہی اپنے مقالے کے مستنبط نتائج کی تائید و توضیح میں کی. تینوں ممتحنوں نے باری باری سے میرے مقالے پر تنقید و جرح کی اور سوالات کئے. ان کا جواب دینے کے بعد مجھے حسب ذیل دو موضوعوں پر دو تقریریں کرنی پڑیں جن میں ایک گھنٹے سے زائد لگا:-

۱- قدیم عربی میلے (اسواق العرب)
۲- غیر جانب داری اسلامی قانون بین الممالک میں.

ان تقریروں پر بھی جرح و تنقید ہوئی اور مجھے بہت سے سوالات کا جواب دینا اور اعتراضات کو رد کرنا پڑا. اس کے بعد جیوری علاحدہ کمرے میں چلی گئی اور دس منٹ کی خفیہ بحث و تمحیص کے بعد پھر جلسہ گاہ میں آئی. اور صدر جیوری پروفیسر گوشے نے مجھ سے مخاطب ہوکر اعلان کیا کہ جامعہ پاریس نے مجھے Docteur-ès-lettres کی ڈگری عطا کی ہے اور یہ کہ میں نے یہ امتحان نہایت اعزاز (Très honorable) سے کامیاب کیا ہے. پھر جیوری نے پرجوش الفاظ میں میرے مقالے کی جلسۂ عام میں تعریف کی اور مجھے مبارکباد دی. [illegible]
کل دوپہر کو امتحان ختم ہوا اور میں نے جناب کو [illegible] تار کے ذریعہ اطلاع دی اور سہ پہر ہی کو حیدرآباد کے قصد سے وہاں سے چل پڑا چنانچہ آج یہ سطریں جہاز پر تحریر کر رہا ہوں.

اس بیان کو ختم کرنے سے پہلے ایک اور امر کی جناب کو اطلاع دینی ہے. جامعہ پیرس کے مدرسۂ اسلامیات (Institut des Études islamiques) کی آج کل نئی تنظیم ہو رہی ہے اور اس کے نائب صدر پروفیسر دامبین (Prof. Demombynes) نے نیم سرکاری طور سے ایک ملاقات میں مجھ سے بیان کیا کہ وہ تبادلۂ اساتذہ کے انتظام کرنے والے ہیں اور [illegible] انتظامات کی تکمیل [illegible]

نموذج خطّه بالأردية

4, r. Tournon
75006 - Paris
١٦ ربيع الأول ١٣٩٨

Bien cher frère
السلام عليكم ورحمة الله

Merci bien à votre lettre, reçue ce matin. Après vous avoir écrit la dernière fois, j'ai reçu le billet. Comme vous étiez à Istanbul, j'ai écrit immédiatement au doyen que je quitte Paris le 27, et arrive à Erzurum le 28 février ان شاء الله. Je ne sais pas s'il a reçu ce mot et s'il a donné des instructions.

Pour ce qui est de vos livres, l'initiation à l'Islam est disponible ici. Le texte anglais, il faut faire venir de Hyderabad ou de Pakistan. Le texte allemand est introuvable, à moins que Salih Öcgan, Ankara l'a.

La traduction française du Coran est disponible chez Maisonneuve, probablement pour 120 frs. Le livre Le Prophète de l'Islam est épuisé, est sous presse.

نموذج خطّه بالتركية

فهرس أهمّ مراجع الكتاب

أولًا : بالعربية :

١ ـ **الإسلام والمستشرقون** : للدكتور مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٢ ـ **الأعلام** : لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ـ بيروت .

٣ ـ **أعلام المحدِّثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري** : لسيد عبد الماجد الغوري ، دار ابن كثير ـ دمشق .

٤ ـ **الأنساب** : لعبد الكريم السمعاني ، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد (الهند) .

٥ ـ **تاريخ دمشق** : لابن عساكر ، دار الفكر ـ دمشق .

٦ ـ **تفسير روح المعاني** : للعلامة محمود بن عبد الله الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٧ ـ **جامع الترمذي** : للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، دار السلام ـ الرياض .

٨ ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة** : لمحيي الدين الطبري ، مطبعة القاهرة .

٩ ـ **سنن ابن ماجه** : للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، دار السلام ـ الرياض .

١٠ ـ **شرح السير الكبير** : لشمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي ، القاهرة .

١١ ـ **صحيح ابن حبان** : للإمام محمد بن حبان البستي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٢ ـ **صحيح البخاري** : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام ـ الرياض .

١٣ ـ **صحيح مسلم** : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، دار السلام ـ الرياض .

١٤ ـ **صحيفة همام بن منبه** : المنشورة في مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق ، عدد عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) .

١٥ ـ **العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج** : للشيخ عبد الفتاح أبي غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب .

١٦ ـ **علوم الحديث ومصطلحه** : **عرض ودراسة** : للدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ـ بيروت .

١٧ ـ **في ظلال القرآن** : لسيد قطب ، دار الشروق ـ القاهرة .

١٨ ـ **محمد تقي العثماني** : للأستاذ لقمان حكيم ، دار القلم ـ دمشق .

١٩ ـ **مصادر السيرة النبوية وتقويمها** : للدكتور فاروق حمادة ، دار القلم ـ دمشق .

٢٠ ـ **مصنف ابن أبي شيبة** : للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، مكتبة الرشد ـ الرياض .

٢١ ـ **المعجم الأوسط** : للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين ـ القاهرة .

٢٢ ـ **مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين** : للعلامة أبي الحسن النـدوي ، (إعداد : سيد عبد الماجد الغوري) ، دار ابن كثير ـ دمشق .

٢٣ ـ **مناهج البحث وتحقيق التراث** : للدكتور أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة .

٢٤ ـ **موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين** : للأستاذ أحمد سعيد بن سالم ، نادي المدينة المنورة الأدبي ـ المدينة المنورة .

٢٥ ـ **الموقظة في علم مصطلح الحديث** : للحافظ أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة) ، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب .

٢٦ ـ **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر** : للعلامة عبد الحي الحسني ، دائرة عرفات ـ رائي بريلي (الهند) .

ثانياً : بالأردية :

٢٧ ـ **آثار ڈاکٹر محمد حميد الله** : طبعهُ مطبعة حيدرآباد .

٢٨ ـ **امام أبو حنيفة اور تدوينِ فقه** : ڈاكٹر محمد حميد الله ، طبعهٗ حيدرآباد .

٢٩ ـ **خطباتِ بهاولپور** : ڈاكٹر محمد حميد الله ، اسلامك بك فاونڈيشن ـ نيو دلهي (الهند) .

ثالثاً : المجلاّت :

(أ) العربية :

٣٠ ـ **مجلة « الأزهر »** الصادرة عن جامعة الأزهر بالقاهرة .

٣١ ـ مجلة « **التنوير** » الصادرة عن الجامعة العثمانية بحيدرآباد (الهند) .

٣٢ ـ مجلة « **الرائد** » الشهرية ، الصادرة عن ألمانية .

٣٣ ـ مجلة « **المجمع العلمي العربي** » الصادرة عن المجمع العلمي العربي بدمشق .

(ب) بالأردية :

٣٤ ـ مجلة « **ترجمان القرآن** » الصادرة عن منصورة في باكستان .

٣٥ ـ مجلة « **العثمانية** » الصادرة عن كراتشي في باكستان .

٣٦ ـ مجلة « **فكر ونظر** » الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد (باكستان) .

٣٧ ـ مجلة « **المآثر** » الصادرة عن مئو ، في أعظم كره (الهند) .

٣٨ ـ مجلة « **معارف** » الصادرة عن دار المصنِّفين في أعظم كره (الهند) .

الفهرس

○○○

أبو الحسن الندوي

الإمام المفكر الداعية المربي الأديب

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

قدم له

الدكتور يوسف القرضاوي

سماحة الشيخ أحمد كفتارو — الدكتور وهبة الزحيلي

الدكتور مصطفى الخن — الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

أعلام المحدثين

في الهند في القرن الرابع عشر الهجري

وآثارهم في الحديث وعلومه

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

قدم له

العلامة سيد أبو الحسن الندوي و الأستاذ الدكتور نور الدين عتر

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

٢٣٠

مُحَمَّد إقبال

الشاعر المفكر الفيلسوف

تأليف

سيّد عبد الماجِد الغَوْريّ

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

كتبٌ للمؤلّف

١ ـ موسوعة علوم الحديث وفنونه (ثلاث مجلَّدات).

٢ ـ معجم المصطلحات الحديثية.

٣ ـ معجم ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل المشهورة والنَّادرة.

٤ ـ معجم ألفاظ الجرح والتعديل.

٥ ـ المدخل إلى دراسة علمٍ الجرح والتعديل.

٦ ـ المدخل إلى دراسة علوم الحديث.

٧ ـ علم الرجال: تعريفه وكُتبه.

٨ ـ المُيَسَّر في علم الرجال.

٩ ـ المُيَسَّر في علم العِلَل.

١٠ ـ المُيَسَّر فيَ علم الجرح والتعديل.

١١ ـ المُيَسَّر في علوم الحديث.

١٢ ـ علم مصطلح الحديث: نشأته وتطوُّره وتكامله.

١٣ ـ المصادر الحديث ومراجعه: دراسة وتعريف.

١٤ ـ الوجيزُ في تعريف كُتب الحديث.

١٥ ـ تعريف الدارسين بمناهج المحدِّثين.

١٦ ـ الشروح الحديثية: دراسة وتعريف.

١٧ ـ التدليس والمدلِّسون: دراسة عامة.

١٨ ـ الوَضْعُ في الحديث: تعريفه ـ أسبابه ـ طريقةُ التخلُّص منه ـ الكتب المؤلَّفة فيه.

١٩ ـ أعلام المحدِّثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري وآثارهم في الحديث وعلومه.

٢٠ ـ السنة النبوية: حجيتها وتدوينها: دراسة عامة.

٢١ ـ نماذج للدعوة الإسلامية في العصر النبويّ.

٢٢ ـ أبو الحسن النَّدْوي: الإمام، المفكِّر، الدَّاعية، المربِّي، الأديب.

٢٣ ـ العلاَّمة أبو الحسن النَّدْوي: رائد الأدب الإسلامي.

٢٤ ـ محمد إقبال: الشاعر المفكِّر الفيلسوف.

٢٥ ـ محمد حميد الله: سفير الإسلام، أمين التراث الإسلامي في الغرب.

٢٦ ـ القاديانية: مؤامرةٌ خطيرةٌ، وثورةٌ شنيعةٌ على النُّبُوَّة المحمدية.

MUHAMMED HAMEEDULLAH
A GREAT ISLAMIC SCHOLAR
By: Sayyid 'Abdul Majid Ghouri

هذا الكتاب

« . . . هذه أخي القارىء ترجَمة لرجل لا كالرجال، هو رجل صامت عن ذكر نفسه، عامل دعوته إلى هدي ربه. . . وكان في أمره كله على توجه واحد؛ هو: الدعوة، والإسلام، والعلم، والبحث العلمي، مطرحاً أهداف الدنيا، من سمعة، أو دعاية، أو مال، أو شهرة، سالكاً طريق الزهاد، باذلاً ما لديه من مال، كما بذل ما عنده من علم وعرفان.

إنها ترجمة تفيض لها المشاعر حباً وإعظاماً، وتقديراً أو عبراً أو خشوعاً، لما فيها من المواقف، وفضائل العلم والعمل والعبادة، مما يجعلها غنية بالدروس التي ينبغي الوقوف عندها، وما أكثرها، مما يضيق المقام عن بسطها، لكن لابد لنا من وقفات مع نماذج منها، تمسُّ إليها حاجة عصرنا أكثر من غيرها، ويغفل الناس والمربون عنها. . . والدروسُ في حياة هذا الهُمَام كثيرة.

وهذا الكتاب - للأخ الكريم، صديق اليوم وتلميذ الأمس الوفيّ: السيد عبد الماجد الغَوْري - بين يديك، تأمّلْه وتأمّلْه، وخُذْ منه لحياتك في الدنيا والآخرة.

الأستاذ الدكتور نور الدين عتر

« . . . هذه ترجمة ضافية لأحد أكابر علماء الإسلام المعاصرين من بلاد شبه القارة الهندية. . وقد أثمرت جهوده فأسلم على يديه أكثر من ثلاثين ألف فرنسي - وقيل نحو خمسين ألفاً - بينهم مفكرون وأعلام ومثقفون وطلبة، وقد أتقن نحوَ عشر لغات عالمية، ولم يدَّخر وسعاً في خدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء على علم وبصيرة، بسكينة وهدوء وتواضع متجنباً السمعةَ والشهرة، إنه أحدُ النماذج الإسلامية الفاعلة المعاصرة، التي عاشت في الغرب للإسلام بلسانها وقلمها ودلالة حالها.

وما ذكرته غيض من فيض قدَّمه الأستاذ سيد عبد الماجد الغَوْري النَّدوي في كتابه القيِّم: «محمد حميد الله: سفير الإسلام وأمين التراث الإسلامي في الغرب». . . وقد بذل مؤلِّفُ الكتاب جهداً كبيراً في سبيل جمع هذه الترجمة. . . ».

الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب



دمشق - ص.ب ٣١١
بيروت - ص.ب ١١٣/٦٣١٨
www. ibn -Katheer.com
info@ ibn-Katheer.com


9 789953 520223